بسم الله الرّحمان الرّحيم

"ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ
فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ، لَا تُدْرِكُهُ
الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ،قَدْ
جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ
عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ."

(سورة الأنعام 103-104-105)

صدق الله العظيم

تصدير أوّل
بقلم الدّكتور إلياس دردور

بسم اللّه الرّحمان الرّحيم
الحمد لله و الصّلاة و السّلام على خير خلق اللّه محمّد بن عبد اللّه.
و بعد، فقد طلب منّي الأستاذ الفاضل "محمّد كمال ونّاس" تقديم كتابه الموسوم "بالقول السّديد في علم التّوحيد"، فإطّلعت على مضمون الكتاب، و ما إحتواه من مباحث كلاميّة و مسائل عقائديّة خلافيّة، فوجدت أنّ المؤلّف قد أحاط بأسرارها و إستولى على جوانب مهمّة من تفاصيلها، و قد سلك في عرضِ أشهر الإتّجاهات و التيّارات الفكريّة أحسن طريق، و جمع في أثناء طَرْقِ مباحث علم التّوحيد بين التّهذيب و التّحقيق في عبارات رائقة و أسالَيب فائقة، و دعّمه بالآيات القرآنيّة و الأحاديث الصّحيحة، حتّى جاء عنوان الكتاب مطابقا لمسمّاه و لفظه مطابقا لمعناه.
فَشَكَرَ اللّه للأستاذ "محمّد كمال" سعيه و بارك جهده و جعل عمله ذخرا له.
و صلّى اللّه على محمّد و على آله و صحبه و سلّم.
و كتبه الدّكتور إلياس دردور

رئيس قسم الشّريعة جامعة الزّيتونة تونس
سوسة يوم الخميس 23 رجب 1443 هجريّة
الموافق ل 24 فيفري 2022 ميلاديّة

تصدير ثان
بقلم الدّكتور منير رويس

بسم الله الرّحمان الرّحيم، و به ثقتي و أستعين، و صلّى الله و سلّم على نبيّه المصطفى الكريم.

و بعد فقد أطلعني الأستاذ محمّد كمال ونّاس، خرّيج جامعة الزّيتونة العريقة، على مصنّفه الجديد المعنون ب"القول السّديد في علم التّوحيد"، فسارعت إلى قراءته لحسن إختيار عنوانه و طرافة موضوعه.

سارعت إلى تصفّح الكتاب ثمّ النّظر في محتواه، فإكتشفت فيه، على إختصاره، العبارات السّلسة و الموضوعات المتعدّدة، حتّى أنهيت قراءته في أسرع وقت ممكن، و خرجت بعد ذلك بجملة من الملاحظات أُجْمِلُهَا فيما يلي :

- إعتدنا أن تكون المؤلّفات الدّينيّة في بلادنا مؤلّفات فقهيّة تخصّ العبادات بالدّرجة الأولى، و يأخذ جانب العقيدة حيّزا صغيرا فيها، لكن صاحب هذا الكتاب إختار أن يهتمّ بالجانب العقديّ من جوانبه المختلفة، و تناول مسائل هامّة يحتاجها المسلمون لفهمها و ربّما مزيد البحث فيها.

- أدّى نظرنا في الكتاب إلى أنّه يتضمّن محورين أساسيّين موزّعين على فصول كثيرة، الأوّل : محور المسائل العقديّة و إختلاف علماء المسلمين فيها، و هو المحور الرئيسيّ البارز الّذي تمّ تناوله في أكثر من فصل.

و الثّاني : محور للإتّجاهات و التيّارات الفكريّة المعاصرة و موقف الإسلام منها، و هو المحور الثّاني و جاء مختصرا لكنّه جاعلا الكتاب مواكبا للعصر و للتّطوّرات الفكريّة فيه.

- إتّجاه المؤلّف إلى إيراد تعريفات لغويّة و مصطلحيّة مفيدة للقرّاء لأنّها مدعومة بشواهد من النّصوص الأصليّة (القرآن و السنّة) و المصادر المتعدّدة الّتي وقع الرّجوع إليها.

- عناية المؤلّف ببسط أهمّ الأفكار المتداولة في مسائل العقيدة بصفة واضحة و مفيدة للمثقّفين من الأساتذة و الطّلبة و الباحثين و الرّاغبين في الإطّلاع على الفكر الإسلاميّ.
- تأكيد الكتاب على قدرة الزّيتونيّين المعاصرين على التّأليف في مواضيع العقيدة، لأنّهم إستفادوا من تعلّمهم بمدارج جامعة الزّيتونة (الكليّة الزّيتونيّة للشّريعة و أصول الدّين سابقا) الّتي عملت في كلّ الأوقات على التّدريس

و البحث في مسائل العقيدة و مقارنة الأديان، و إنّنا نجد بجامعة الزّيتونة اليوم قسما خاصّا بالعقيدة و مقارنة الأديان يحمل إسم أصول الديّن، كما نجد في مدرسة الدّكتوراه بالزّيتونة جملة من الطّلبة يعدّون رسائل ماجستير و أطاريح دكتوراه في مواضيع دقيقة و عالية في الإختصاص تواكب العصر و تساهم في تطوّر الفكر الإسلاميّ.
و قد أفرزت عناية الزّيتونة بهذا الإختصاص نخبة متميّزة من الطلبة و الباحثين، دعّموا جهودهم و طموحاتهم بالقراءة و البحث، حتّى وضعوا المصنّفات، و منهم صاحب هذا الكتاب.
جزى اللّه الأستاذ محمّد كمال ونّاس على جهوده و نفع به المؤمنين، و كان سببا في ثَوْبَةِ مَنْ إنحرف بهم الفهم و غلب عليهم التّأويل الخاطئ.
إنّه وليّ ذلك و القادر عليه.

الدّكتور منير رويس
مدير المعهد العالي لأصول الدّين، سابقا جامعة الزّيتونة تونس
سوسة يوم الجمعة 22 شعبان 1443 هـ / 25 مارس 2022 م

الإهداء

إلى أحبّتي في اللّه الواحد الأحد الفرد الصّمد.
إلى ذوي العقول النيّرة، و القلوب السّليمة، و الأفئدة الصّادقة و النّفوس الطيّبة، و الأرواح الزّكية.
إلى عباد اللّه أجمعين، في مشارق الأرض و مغاربها، السّاعين إلى معرفة اللّه جلّ جلاله و جماله و كماله، الطّالبين رضاه، الرّاجين لقاه،
إلى كلّ هؤلاء أهدي كتابي هذا، سائلا اللّه سبحانه أن يكون جهدا خالصا لوجهه الكريم و عملا صالحا لخلقه في معاشهم و معادهم.
إنّه تعالى وليّ ذلك و القادر عليه.

المؤلّف : محمّد كمال ونّاس

بسم الله الرّحمان الرّحيم

مقدّمة الكتاب :

الحمد لله، أحمده حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه، حمدا يليق بجلاله و جماله و كماله القائل في كتابه العزيز: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا. الأحزاب (70 - 71)

يا ربّ لك الحمد حتّى ترضى، و لك الحمد إذا رضيت، و لك الحمد بعد الرّضى.

و أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله.

و أصلّي و أسلّم و أبارك على صفوة الخلق و خاتم النبيّين و المرسلين القائل في سنتّه المطهّرة : أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّه وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ،(رواه التّرمذيّ)

و أصلّي و أسلّم و أبارك على إخوانه الأنبياء و المرسلين و آل بيته الطّيّبين الطّاهرين، و صحابته البررة الرّاشدين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

أمّا بعد، ها نحن نعيش القرن الخامس عشر بالتّقويم الهجريّ، الموافق للقرن الواحد و العشرين بالتّقويم الميلاديّ، قرن عرفت فيه البشريّة أزمات ذات أبعاد وجوديّة و أخلاقية و إجتماعيّة و سياسيّة...

قرن إختلطت فيه المفاهيم و إختلفت فيه الموازين، و طغت عليه الجوانب الماديّة الشّهوانيّة الحيوانيّة، على الجوانب الرّوحيّة المعنويّة الإنسانيّة .

عصر كثر فيه الهرج و المرج في شتّى القضايا الحياتيّة و الأخرويّة، و بصفة خاصّة في المسائل الدّينية العقائديّة منها و التشريعيّة.

عصر تفشّت فيه مظاهر الفساد و الإفساد : إلحاد و إرتكاب للموبقات و شرب للمسكرات و تناول للمخدّرات...

عصر إنتشرت فيه الفتن ما ظهر منها و ما بطن، و أوبئة و أسقام و آلام، و شكّ و حيرة و خوف، و إنتحار و إنتقام و أسى...

كلّ هذه الفوضى الرّوحيّة و الفكريّة و الحياتيّة أدّت إلى توسعة دائرة الخلافات بين النّاس في مناحي حياتهم العقائديّة و السّلوكيّة و التّربويّة و الإجتماعيّة... و الزّجّ بالأجيال و خاصّة الفئة الشبابيّة- في متاهات كلاميّة قديمة و إنزلاقات فكريّة عديمة و سلوكات متنطّعة عقيمة ما أنزل اللّه بها من سلطان السّداد و الرّشاد.

و عليه فلا مجال للخروج من هذه الفوضى العارمة إلّا بالرّجوع إلى الحقّ و الصّواب بالإعتماد على كتاب اللّه جلّ و علا، و سنّة نبيّه المصطفى و حكمة العلماء العقلاء الّذين ذادواعن الدّين و أصّلوا المفاهيم و كشفوا زيغ الزائغين، إحقاقا للحقّ و إبطالا للباطل.

و لا يسعنا نحن أجيال هذا العصر إلّا الرّجوع إلى الحقّ فهو فضيلة بإقتفاء أثرهم و السّير على هديهم، تصحيحا للإخلالات في العقيدة و تبيانا لحقيقة الإيمان، و أركانه و مقتضياته و توضيحا لأحكام اللّه و تشريعاته، و إتّباعا للوسطيّة و الإعتدال الّتي نصّ عليها ديننا الحنيف، بعيدا على غلوّ المغالين و إنحراف المتنطّعين و كيد الكائدين.

من هنا تنزّلت هذه الرّسالة الإيمانيّة و الرّؤية التأمّليّة في الذّات الإلاهيّة و أسمائها العليّةو صفاتها السنيّة سمّيتها على بركة اللّه " القول السّديد في علم التّوحيد "، إذ لا يخفى على ذوي العقول النيّرة و أصحاب البصائر الخيّرة أنّ أسمى العلوم و أشرفها هو "علم التّوحيد " الّذي إعتنى به أئمّة أهل السنّة و الجماعة أيّما عناية علما و تعليما و تعلّما و عملا و تطبيقا و دعوة.

و قد أكّدوا في تصانيفهم على أنّ التّوحيد هو أصل كلّ صلاح كما أنّ الشّرك أصل كلّ فساد، و أنّ أوّل ما يجب أن يتعلّمه المسلم و النّطق به هو كلمة التّوحيد: « لا إله إلّا اللّه « و معناها : لا ربّ غيره و لا معبود سواه.

قال سبحانه : فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ. (سورة محمّد 19)

و قال رسولِ اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم : الإيمانُ بِضْعٌ وسَبْعونَ أو بِضْعٌ وسِتُّونَ شُعبةً: فأفضلُها قولُ لا إِلهَ إلَّا اللّه، وأدْناها إماطةُ الأذَى عَنِ الطَّريقِ. (رواه مسلم)

قالوا ذلك لتثبيت الإيمان و اليقين بربّ العالمين.
أردت بكلّ تواضع أن أواصل في نفس نهج البحث الّذي سلكه أئمّة أهل السنّة و الجماعة – قدامى و محدّثون – في علم التّوحيد، فجاء هذا الكتاب في إحدى عشر فصلا مبوّبة كالتّالي:
الفصل الأوّل : الإسلام إيمان و عمل أو عقيدة و شريعة
الفصل الثّاني : أهل السنّة و الجماعة : خصائصهم، منهجهم في البحث، أهمّ آرائهم في المسائل العقائديّة
الفصل الثّالث : أشهر الفرق الكلاميّة : نشأتها، أهمّ مقولاتها و آرائها و أشهر علمائها.
الفصل الرّابع : أشهر الإتّجاهات و التيّارات الفكريّة المعاصرة و موقف الإسلام منها.
الفصل الخامس : علم التّوحيد أفضل العلوم و أرقاها.
الفصل السّادس : في الإلاهيّات (المبحث الأوّل) : الإيمان اللّه وحده أعظم أصول الدّين.
الفصل السّابع : في الإلاهيّات (المبحث الثّاني) : معرفة اللّه سبحانه ذاتا و أسماء و صفاتا و أفعالا أسمى المعارف.
الفصل الثّامن : في الإلاهيّات (المبحث الثّالث) : مسائل عقائديّة متعلّقة بمباحث الإلاهيّات
الفصل التّاسع : في النبوّات (مبحث واحد) : الإيمان بالرّسل الكرام و الكتب المنزّلة والملائكة و الجنّ .
الفصل العاشر : في الغيبيّات أو السّمعيّات (مبحث واحد) : الإيمان بكلّ الغيبيات المتعلّقة بالموت و ما بعد الموت من حياة برزخيّة و أحوال يوم القيامة.
الفصل الحادي عشر : نواقض التّوحيد و الإيمان في نظر أهل السنّة و الجماعة.
و رسمت أهدافا سامية لبلوغها و هي كالتّالي :
أوّلا : تأصيل عقيدة التّوحيد في نفوس النّاس عامّة و النّاشئة خاصّة.
ثانيا : تصحيح جملة من المفاهيم الخاطئة للحصول على تصوّر شامل سليم للإسلام – الدّين الّذي إرتضاه اللّه لعباده–

ثالثا : إبراز أهمّ مقولات الفرق الكلاميّة ماضيا و التّيّارات الفكريّة حاضرا و مقارنتها بعقيدة أهل التّوحيد.
رابعا : التّأكيد على أنّ لسان الحال و المقال ينطق بأنّ السّلف الصّالح اهل السنّة و الجماعة تمسّكوا بالحنيفيّة السّمحاء. و هم منذ بعثة محمّد – صلّى اللّه عليه و سلّم – و إلى يوم النّاس هذا على عقيدة التّوحيد الخالص ، لا يخرجون على الحقّ و لا يخرج الحقّ عنهم.
جاء في الذّكر الحكيم قول ربّ العالمين : إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ. (يس 11)
وورد في سنّة رسوله الكريم قوله : اَلْكَلِمَةُ اَلطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ. (متّفق عليه).
هذا ما قصدت إليه صَوْنًا للدِّينِ و عَوْنًا للمتعلّمين، و ذُخْرًا للصّالحين و تَذْكِرَةً للجاهلين.
في الختام أسأل اللّه عزّ و جلّ أن يتقبّل منّا جميعا حسن القبول و الرّضا، و أن يحسّن نيّاتنا في أقوالنا و أفعالنا.
و الحمد لله ربّ العالمين في البدء و المنتهى، و صلّى اللّه و سلّم و بارك على خير خلقه أجمعين، و على آله و صحبه و من تبعه بإحسان إلى يوم الدّين، إنّه وليّ ذلك و القادر عليه.
و السّلام عليكم و رحمة اللّه و بركاته.

كتبه محمّد كمال ونّاس
بقصيبة المديوني (تونس) في : 1 رجب 1443 هجريّة
الموافق ل : 2 فيفري 2022 ميلاديّة

الفصل الأوّل
الإسلام إيمان و عمل أو عقيدة و شريعة

تمهيد :

الإسلام هو دين اللّه الّذي إرتضاه لجميع عباده الّذي أوحاه إلى نبيّه محمّد صلوات اللّه و سلامه عليه و أمره بتبليغ تعليماته العقائديّة و الشّرعيّة إلى كافّة النّاس و دعاهم إلى الإيمان بها و العمل بأحكامها.

قال سبحانه : إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ. (1)

جاء في تفسير الآية الكريمة قول المفسّر ابن كثير : (إخبار منه تعالى بأنّه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الإسلام، و هو إتّباع الرّسل فيما بعثهم اللّه به في كلّ حين، حتّى خُتِمُوا بمحمّد صلّى اللّه عليه و سلّم الّذي سدّ جميع الطّرق إليه إلّا من جهة محمّد صلّى اللّه عليه و سلّم، فمن لقي اللّه بعد بعثة محمّد بدين على غير شريعته فليس بمتقبّل...) (2)

و قال صلّى اللّه عليه و سلّم : كانَ النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وبُعِثْتُ إلى النَّاسِ عَامَّةً. (3)

و قد أكّد القرآن المجيد و هو المصدر الأساسيّ الأوّل لعقائد الدّين و لأصول أحكامه و شرائعه على التّرابط المتين بين الإيمان الخالص و العمل الصّالح، و قرن بينهما في كثير من الآيات كقوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَٰنُ وُدًّا. (4)

و قوله جلّ ذكره في قصار السّور : وَالْعَصْرِ، إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ. (5)

و عليه فمن آمن بالعقيدة و أصولها و مقتضياتها و ألغى الشّريعة و نظمها و أحكامها، أو عمل بالتّشريعات و أنكر العقائد لا يكون فهمه للإسلام فهما سليما و لا سلوكه سلوكا قويما، لأنّه لا معنى لشريعة بدون عقيدة.

1- آل عمران 19
2- تفسير ابن كثير – المجلّد ١ صفحة 272
3- أخرجه البخاري و مسلم
4- سورة مريم 97
5- سورة العصر

و إذن فإنّ الإسلام – الدّين القيّم – ينبني على دعامتين أساسيّتين متكاملتين متلازمتين هما :
– الدّعامة الأولى : الإيمان أو العقيدة أوّلا و هي الأصل.
– الدّعامة الثانية : العمل أو الشّريعة ثانيا و هي الفرع.
فما حقيقة العقيدة و مجالاتها و خصائصها و آثارها ؟ و ما حقيقة الشّريعة و مجالاتها و خصائصها و آثارها عند أهل السنّة و الجماعة ؟

1. الدّعامة الأولى : الإيمان أو العقيدة

أوّلا : الإيمان لغة و شرعا :

الإيمان لغة هو مصدر من آمَنَ يُؤْمِنُ إِيمَانًا بمعنى صَدَّقَ و إِعْتَقَدَ، يقال : آمن بالله أي صدّق به و إعتقد فيه دون شكّ أو خوف أو تَردُّدٍ.
و الإيمان شرعا هو العلم التّامّ و التّصديق الجازم بالله تعالى و ما يجب له سبحانه، و ما جاء عنه من عقائد و تشريعات، و تحقيق ذلك نيّة و قولا و عملا.

ثانيا : العقيدة لغة و شرعا :

لا يختلف المفهوم اللّغويّ و الشّرعيّ للعقيدة عن الإيمان فالعقيدة لغة هي مصدر من إعتقد يعتقد عقيدة و إعتقادا بمعنى آمن و صدّق، يقال : إعتقد في اللّه أي آمن به إيمانا صادقا لا ريب فيه و لا تردّد معه.
و العقيدة شرعا هي التّصديق بالجَنان (القلب) و النّطق باللّسان و العمل بالأركان (الجوارح).
جاء في كتاب "فتح الباري" لابن حجر العسقلانيّ في تعريف الإيمان : "هو نطق باللّسان و إعتقاد بالقلب و عمل بالجوارح، و يزيد بالطّاعة و ينقص بالمعصية" (1)

ثالثا : الإيمان يزيد و ينقص :

أجمع علماء أهل السنّة و الجماعة على القول بأنّ الإيمان يزيد بالطّاعات و ينقص بالمعاصي، فكلّما إزداد المؤمن قربة من اللّه بالإمتثال لأوامره إزداد إيمانه، و كلّما ابتعد عن اللّه بإرتكاب نواهيه نقص إيمانه.

1- فتح الباري جزء 1 صفحة 45

و من الأدلّة الّتي إعتمدوا عليها في بيان زيادة الإيمان أو نقصانه قوله سبحانه في كتابه العزيز : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ. (1)
و قوله صلّى الله عليه و سلّم : أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا. (2)
و الآيات و الأحاديث كثيرة في هذا الباب.

رابعا : أركان الإيمان أو أصول العقيدة :

لا يكتمل الإيمان الخالص إلّا بالإلتزام التّام و الكامل بستّة أمور و هي أركان الإيمان و تسمّى أيضا أصول الدّين أو أصول العقيدة كما عبّر عنها علماء التّوحيد و هي :

الأصل الأوّل : الإيمان بالله وحده و المعرفة الكاملة بدلائل وجوده و مظاهر عظمته في الكون و الخلق و الإبداع، و المعرفة التّامّة بذات الله العليا و أسمائه الحسنى و صفاته الفضلى و أعماله العظمى.

الأصل الثّاني : الإيمان بعالم الغيب (عالم ما وراء الطبيعة أو العالم غير المنظور) بما فيه من قوى الخير و الشّرّ من ملائكة و جنّ و شياطين.

الأصل الثّالث : الإيمان بكتب الله الّتي أنزلها الله على رسله لتحديد معالم الحقّ و الباطل و المعروف و المنكر.

الأصل الرّابع : الإيمان بجميع أنبياء الله و رسله الذّين أرسلهم الله لخلقه هداية لهم، و المبشّرين بثواب الله و المنذرين من عقابه.

الأصل الخامس : الإيمان باليوم الآخر و ما فيه من بعث و حساب و جزاء و ثواب و عقاب و جنّة و نار.

الأصل السّادس : الإيمان بالقضاء و القدر خيره و شرّه الّذي يسير عليه الكون في الخلق و التّدبير.

أركان ستّة لا يكتمل إيمان المؤمن إلّا بالتّصديق بها جميعا دون إستثناء.

أصول ستّة لا تتبدّل بحسب الزّمان أو المكان، و لا تتغيّر بحسب الأفراد و الشّعوب.

هذه هي العقيدة الإسلاميّة الكاملة السّليمة – عقيدة التّوحيد الخالص – الخالدة إلى أن يرث الله الأرض و من عليها.

1- سورة الأنفال 2
2- رواه التّرمذيّ في سننه

و قد إستدلّ علماء أصول الدّين على هذه الأركان الستّة للإيمان بجملة من الآيات و الأحاديث، منها قوله سبحانه : آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ. (1)

و في الحديث الصّحيح لمّا سئل رسول الله عن الإيمان قال : أَنْ تُؤْمِنَ بِالله وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّه. (2)

خامسا : منهج الأنبياء و الرّسل في تصحيح العقيدة و تثبيتها في نفوس النّاس :

لقد حرص جميع الأنبياء و المرسلين على غرس عقيدة التّوحيد في نفوس النّاس منذ آدم عليه السّلام إلى محمّد صلّى الله عليه و سلّم خاتم النبيّين و الرّسل. فكلّ الرّسالات السّماويّة الّتي تعاقبت على البشر جيلا بعد جيل تهدف إلى توجيه الإنسان إلى عقيدة سليمة صافية : إيمان جازم و إعتقاد راسخ بالله الواحد الأحد، الخالق للكون، المدبّر لشؤونه، المتصرّف فيه بمشيئته سبحانه، و إرشاده إلى تشريعات و أحكام تنظّم حياته و تسعده في معاشه و معاده.

قال جلّ ذكره : شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنا إِلَيْكَ وَما وَصَّيْنا بِهِ إِبْراهِيمَ وَمُوسى وَعِيسى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ. (3)

و من السنّة ما جاء في قوله صلّى الله عليه و سلّم : إِنَّ مَثَلِي ومثلَ الأنبياء منْ قَبلي، كَمَثَلِ رجل بنى بَيْتًا، فأحْسَنَهُ وأجْمَلَهُ، إلّا مَوْضعَ لَبِنَةٍ من زاوية، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفونَ بِهِ، ويَعْجَبونَ له، ويقُولونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هذه اللَّبِنَة؟، قال: فأنا اللَّبِنَة، وأنا خاتمُ النَّبيِّينَ. (4)

سادسا : خصائص العقيدة الإسلاميّة عند أهل السنّة و الجماعة :

تتميّز العقيدة الإسلاميّة في نظر أهل السنّة و الجماعة بجملة من الخصائص أهمّها :

<u>الخاصيّة الأولى : الربّانيّة أو التّوقيفيّة :</u>

و المقصود بها أنّ المسائل العقائديّة كلّها لها أصل واحد و هوالوحي الّذي أوحاه الله سبحانه لنبيّه الكريم، و أنّ مشكاة النبوّة قرآنا و سنّة هي المصدر الأساسيّ لكلّ العقائد الإسلاميّة.

1- سورة البقرة 284
2- رواه مسلم
3-سورة الشورى 11
4- رواه البخاري في صحيحه

قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. (1)

قال ابن عبّاس : أي لا تقولوا خلاف الكتاب و السنّة .

الخاصيّة الثّانية : الغيبيّة :

المراد بها قيام العقيدة الإسلاميّة على التّسليم بوجود علم الغيب بكلّ ما ورد من عقائد و أحكام في القرآن و السنّة دون إنكار أو تأويل لها.

قال سبحانه : الم، ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ، وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ. (2)

قال أنس بن مالك : " الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ" أي آمنوا بالله و ملائكته و رسله و اليوم الآخر و جنّته و ناره، و آمنوا بالحياة بعد الموت، كلّه غيب.

الخاصيّة الثّالثة : الوسطيّة:

و تعني التّوازن بين الأمور المتقابلة على ما تقتضيه النّصوص الشرعيّة دون إفراط أو تفريط – و خير الأمور أوسطها – و قد وصف الله الأمّة الإسلاميّة بالأمّة الوسط في قوله سبحانه : وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا. (3)

الخاصيّة الرّابعة : العقلانيّة

و هي موافقة عقيدة التّوحيد للعقل السّليم و إعلاء منزلته و توفير طاقته و تصريفها فيما يفيد.

قال جلّ ذكره : إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الألْبَابِ. (4)

و أولو الألباب هم أصحاب العقول السّليمة .

قال أبو العلاء : ما أعطي عبد بعد الإسلام أفضل من عقل صالح يرزقه.

الخاصّيّة الخامسة : الفطريّة :

و تعني أنّ الإيمان بالله وحده هو أمر طبيعيّ في الإنسان، فما من مولود يولد إلّا على الجبلّة و الحنيفيّة السّمحاء.

1- سورة الحجرات 1
2- سورة البقرة 1-2
3- سورة البقرة 142
4- سوره آل عمران 190

قال جلّ و علا : فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. (1)
قال ابن كثير : إنّه تعالى فطر خلقه على معرفته و توحيده و أنّه لا إله غيره.
الخاصيّة السّادسة : الشّموليّة
و القصد منها أنّ العقيدة الإسلاميّة جامعة شاملة لكلّ أصول الدّين، و كاملة في نظرتها للوجود كلّه و لكلّ القضايا اليقينيّة الكبرى الّتي ضلّ في تصوّرها كثير من النّاس ماضيا و حاضرا.
قال سبحانه : وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ. (2)
قال ابن مسعود : إنّ القرآن إشتمل على كلّ علم نافع من خبر ما سبق، و علم ما سيأتي، و كلّ حلال و حرام، و ما النّاس إليه محتاجون في أمر دنياهم و دينهم و معاشهم و معادهم.

2. الدّعامة الثّانية : العمل أو الشّريعة :

أوّلا : الشّريعة لغة و شرعا :

الشّريعة لغة هي مصدر من شَرَّعَ يُشَرِّعُ شَرِيعَةً و تَشْرِيعًا بمعنى أظهر و بيّن و سنّ و ضبط أحكاما و قوانين.
و الشّريعة إصطلاحا هي جملة الأحكام و القوانين و النّظم الّتي سنّها اللّه لعباده لتنظيم أمور دينهم و دنياهم.
أو هي مجموعة الأحكام و القوانين الإلاهيّة المنظّمة لعلاقة الإنسان بربّه أوّلا، و بذاته و بأسرته و بمجتمعه البشريّ و بالكون كلّه ثانيا.

ثانيا : أقسام الشّريعة الإسلاميّة :

قسّم العلماء الشّريعة إلى أبواب أساسيّة و تتمثّل في :
الباب الأوّل : العبادات
العبادات مفردها العبادة و هي صلة الإنسان بالخالق، يعبّر بها عن حمده و طاعته و محبّته لله سبحانه، عسى أن ينال رضاه، و هي كذلك وسيلة لتزكية النّفس الإنسانيّة و تقوية وازع الخير فيها.

1- سورة الرّوم 29
2- سورة النّحل 89

و أهمّ العبادات في الإسلام هي الصّلاة و كلّ ما يتعلّق بها و الزّكاة و الصوم و الحجّ و العمرة و الزّيارة و آداب الجنائز و الأضحية و النّذر...و غيرها من العبادات.

الباب الثّاني : المعاملات :

المعاملات مفردها المعاملة و هي الوسيلة الّتي تنظّم علاقة الإنسان بأخيه الإنسان و كذلك علاقته بالكون كلّه الّذي يعيش فيه.

و تشمل المعاملات الإسلاميّة فيما تشمل : كلّ ما يتعلّق بشؤون الأسرة بإعتبارها الخليّة الأساسيّة للأفراد و المجتمعات كأحكام الزّواج و الطّلاق و ما يتبعه من نفقة و حضانة...

كذلك تشمل أحكام الميراث و كلّ المعاملات الماليّة و أحكام الجهاد و الحدود و العقوبات، و كلّ النّظم المتعلّقة بالدّولة و كلّ ما له صلة بالإنسان و أخيه الإنسان و بالكون كلّه.

الباب الثّالث : الآداب و الأخلاق :

الآداب مفردها الأدب و الأخلاق مفردها الخلق و هما بمعنى واحد تقريبا.

فالأدب أو الخلق هو صفة حميدة و سلوك رفيع لصلاح الفرد و بناء مجتمع فاضل مبنيّ على التّقوى و الخير و التّعاون و المحبّة.

من أجل ذلك، كانت رسالة الإسلام حاثّة على الفضائل كالإستقامة والوعي والإحسان و الإيثار و التّعاون و التّناصح و التّسامح و الصّدق في الأقوال و الإخلاص في الأعمال...

و ناهية عن الرّذائل كالظّلم و الرّياء و الحسد و الكراهيّة و السّب و الشّتم و اللّمز و التّنابز بالألقاب و الكذب و الغشّ...

كلّ هذه التّشريعات و الأحكام الرّبّانيّة، الجامعة لأمور الدّين و الدّنيا تهدف أساسا إلى صلاح النّاس و إستقامتهم في معاشهم لنيل مرضاة الله في معادهم.

ثالثا : خصائص الشّريعة الإسلاميّة عند أهل السنّة و الجماعة :

أهمّ خصائص الشّريعة الإسلاميّة الّتي تتميّز بها عن بقيّة الشرائع الأخرى هي :

الخاصيّة الأولى : صدورها عن اللّه تعالى

إذا كانت الشّرائع الوضعيّة مصدرها البشر فإنّ الشّريعة الإسلاميّة مصدرها ربّ البشر، و هو اللّه سبحانه الّذي أوحى لرسله وحيا منزّلا إشتمل على أحكام و مبادئ قائمة على العدل و الإحسان، خالية من الظّلم و هوى النّفس.

قال تعالى : لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ. (1)

و يقصد بالميزان و القسط الحقّ و العدل و هو إتّباع الرّسل بما أخبروا به و طاعتهم بما أمروا به.

الخاصيّة الثّانية : مسايرتها للفطرة الإسلاميّة

الإسلام دين الفطرة السليمة لأنّه يراعي في تشريعاته الطبيعة الّتي جبل عليها الإنسان الميّال بطبعه إلى توحيد اللّه و إلى إشباع غرائزه كغريزة حبّ البقاء و الكسب و شهوات الأكل و الشّرب و الجنس...

و الشّريعة الإسلاميّة تقرّ هذه الغرائز و الميولات و لكنّها تدعو في نفس الوقت إلى تهذيبها و مراعاتها دون كبت أو إنكار لها لذلك شرّع اللّه الزّواج المنظّم لتكوين أسر سليمة، و حدّد ضوابط و أحكاما لتنظيم الحياة السياسيّة و الإقتصاديّة و الإجتماعية لبناء مجتمع إنسانيّ قائم على التّقى و الإخاء و الوفاء.

قال سبحانه : فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. (2)

الخاصيّة الثّالثة : شمولها لكلّ مناحي الحياة و الآخرة

لقد جاءت الشّريعة الإسلاميّة بنظام شامل كامل لجميع شؤون الحياة و الآخرة، فهي ترسم للإنسان سبيل الإيمان و تبيّن له أصول العقيدة و تنظّم صلته بالخالق و تضبط علاقاته مع غيره من البشر و سائر الكائنات.

ورد في محكم التّنزيل قوله سبحانه : مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ. (3)

1- سورة الحديد 24
2- سوره الرّوم 29
3- سورة الأنعام 39

الخاصيّة الرّابعة : عموم دعوتها

بعث اللّه سبحانه العديد من الرّسل لهداية أقوامهم خاصّة أمّا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم فقد بعثه اللّه للنّاس كافّة و دعوته عامّة لجميع الخلق.

قال جلّ ذكره مخاطبا نبيّه الكريم : قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا. (1)

و في الحديث الصحيح عن جابر بن عبد اللّه قال : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم : كَانَ الْنَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ وَ بُعِثْتُ إِلَى الْنَّاسِ عَامَّةً. (2)

الخاصيّة الخامسة : ختمها لكلّ الشّرائع السّماويّة و خلودها:

الإسلام هو آخر الرّسالات السّماويّة الموحى بها من عند اللّه تبارك و تعالى، و بإنتقال النبيّ محمّد عليه أفضل الصّلاة و أزكى التّسليم إلى الرّفيق الأعلى، إنقطع الوحي، و أصبح هذا الدّين الّذي تكفّل اللّه بحفظه هو النّاسخ لما قبله من الشّرائع و الخالد الّذي لا يتغيّر و لا يتبدّل إلى قيام السّاعة.

قال تعالى : وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ. (3)

و من سلك طريقا سوى ما شرّعه اللّه فلن يقبل منه، و من زاغ عن دين اللّه فهو من الخاسرين دنيا و آخرة.

1- سورة الأعراف 158
2- رواه الشّيخان البخاري و مسلم
3- سورة آل عمران 84

الفصل الثّاني
أهل السنّة و الجماعة : خصائصهم، منهجهم في البحث، أهمّ آرائهم في المسائل العقائديّة

تمهيد :

بعث اللّه سبحانه نبيّه محمّد عليه أفضل الصّلاة و أزكى التسليم بالهدى و الحقّ المبين، و أنزل عليه الكتاب و الحكمة، فكان مرشدا للإعتقاد السّليم و هاديا إلى الشّرع القويم.

فما من أصل من أصول الدّين، و ما من حكم من أحكام ربّ العالمين إلّا كان له شارحا و إليه داعيا صحابته الكرام الّذين فقهوا الدّين و نقلوه إلى التّابعين الّذين ورّثوه إلى جيل بعد جيل إلى يوم الدّين.

و ظلّت الدعوة الإسلاميّة تنهج هذا النّهج القويم في العصور الذّهبيّة الأولى للإسلام.

و لمّا بدأت الدّولة الإسلاميّة في الإتّساع بفتح الأمصار و دخول كثير من الأعراق و الأجناس في دين اللّه أفواجا، إمتزجت عقائدهم و أفكارهم و عاداتهم بالدّعوة الإسلاميّة الفتيّة، ممّا أدّى إلى ظهور كثير من الفرق و الملل و النّحل الّذين ضلّوا سبيل الهدى و إلتمسوا الحقّ من غير طريقه السّليم، فكان لزاما على أهل التّقوى و الصّلاح من أهل السنّة و الجماعة التّصدّي لهذه العقائد الفاسدة و الأفكار الهدّامة و الشّبهات المضلّة، و الردّ على كيد الكائدين و جدل المعاندين و زيغ الزّائغين حماية للدّين و نصرة لكتاب ربّ العالمين و سنّة سيّد المرسلين، و إرشادا للنّاس أجمعين إلى الحقّ المبين.

فمن هم أهل السنّة و الجماعة؟ و ما هي خصائصهم الّتي تميّزوا بها عن غيرهم؟ و ما هو منهجهم في البحث و ما هي أهمّ آرائهم في المسائل العقائديّة خاصّة؟

1- سورة الحديد 24
2- سوره الرّوم 29
3- سورة الأنعام 39

1- مذهب أهل السنّة و الجماعة

أوّلا : التّعريف بأهل السنّة و الجماعة

أهل السنّة و الجماعة هم المتمسّكون بكتاب اللّه و سنّة رسوله، المتّبعون للعقيدة الإسلاميّة الصحيحة – عقيدة التّوحيد – الملتزمون بمنهج الرّسول عليه الصّلاة و السّلام و أصحابه الكرام و التّابعين و تابعيهم بإحسان إلى يوم الدّين.

وقدعرّفهم ابن كثير في تفسيره بقوله: «هم المتمسّكون بكتاب اللّه وسنّة رسوله، وبما كان عليه الصّدر الأوّل من الصّحابة والتّابعين وأئمّة المسلمين في قديم الدّهر وحديثه».(1)

فكلّ من إقتدى بأهل العلم و الإتّباع من المسلمين و سار على نهجهم فهو من أهل السنّة و الجماعة، و كلّ من خالف سيرتهم و أصولهم أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو خارج عن مذهب أهل السنّة و الجماعة.

و قد تداول علماء التّوحيد تسميات أخرى لأهل السنّة و الجماعة تحمل نفس المعنى و من هذه التسميات نذكر : أهل الكتاب و السنّة و الفرقة النّاجية، و الطّائفة المنصورة، و أهل الأثر، و أهل الحديث، و السّلف الصّالح، و السلفيّة...

ثانيا : أشهر أئمة أهل السنّة و الجماعة

مذهب أهل السنّة و الجماعة مذهب واحد، يعتمد على منهج النبوّة القائم على كتاب اللّه و سنّة رسوله و إجماع أئمّة الأمّة، لا يتعصّب إلى جنس من الأجناس أو قبيلة من القبائل أو شيخ من الشّيوخ.

و لقد إتّفق كلّ علماء أهل السنّة و الجماعة على جميع الأصول و الكلّيات العامّة للعقيدة الإسلاميّة، و إختلفوا فقط في فهم بعض الفروع و الجزئيات الّتي تدخل في حيّز الإجتهاد، نظرا لإختلاف البيئات الّتي نشؤوا فيها، و هي خلافات بسيطة لا تمسّ إطلاقا بجوهر الدّين و أصوله و لا تفسد للودّ قضيّة.

فكما تنوّعت الآراء الإجتهاديّة و المدارس الفقهيّة بظهور المذاهب الفقهيّة الأربعة: الحنفيّة و المالكيّة و الشّافعيّة و الحنبليّة و غيرها... فقد تنوّعت المدارس العقائديّة و تفرّعت إلى ثلاث مدارس و هي :

1- تفسير ابن كثير 434/3

المدرسة الأولى : المدرسة الأثريّة أو السّلفيّة

إمام هذه المدرسة هو أبو عبد الله أحمد ابن حنبل الشّيباني، ولد ببغداد عاصمة الدّولة العبّاسيّة سنة 164 للهجرة، و كان من علماء السنّة و حفّاظها، رحل في طلب العلم إلى الكوفة و البصرة و مكّة و المدينة و اليمن و الشّام، و كان إماما في الزّهد و الورع و الإصداع بالحقّ، و قد صبر في المحنة حين فُرِضَ القول بخلق القرآن، فصار إمام أهل السنّة.

و قد ألّف مصنّفات عدة أهمّها :

– المسند و يحتوي على 40 ألف حديث

– الرّد على الزنادقة و الجهميّة

– كتاب السنّة...

و كانت وفاته رحمه الله ببغداد سنة 241 للهجرة.

و من أشهر أئمّة المدرسة السلفيّة بعد الإمام أحمد نذكر :

– الإمام أحمد تقيّ الدّين بن تيميّة (661 هـ /728 هـ)

– الإمام محمّد ابن القيّم الجوزيّة (691 هـ /751 هـ)

– الإمام محمّد ابن عبد الوهّاب (1115 هـ /1206 هـ)

المدرسة الثّانية : المدرسة الأشعريّة

تُنسب هذه المدرسة إلى الإمام أبو الحسن عليّ بن إسماعيل بن إسحاق الأشعريّ و ينتهي نسبه إلى الصّحابيّ الجليل أبي موسى الأشعريّ، وُلد سنة 260 للهجرة.

والده من أهل الحديث و على مذهب السّلف، أخذ عن أبيه و عن المحدّث زكريّا بن يحيى السّاجيّ علم الحديث، ثمّ تعلّم عن زوج أمّه أبي عليّ الجبائيّ و تبعه على الإعتزال أربعين سنة، ثمّ رجع عنه و عاد إلى مذهب السّلف و أهل الحديث في آخر حياته. و من أهمّ مؤلّفاته :

– كتاب الإبانة في أصول الدّيانة

– كتاب مقالات الإسلاميّين...

توفّي رحمه الله ببغداد عام 324 هجري

و من أشهر أئمّة المدرسة الأشعريّة بعد أبي الحسن نذكر :
– الإمام الطّائيّ توفّي سنة 370 هـ
– الإمام القاضي الباقلاني توفّي سنة 403 هـ
– الإمام ابن فُورَك توفّي سنة 406 هـ
– إمام الحرمين الجويني توفّي سنة 478 هـ
– الإمام أبو حامد الغزالي توفّي سنة 505 هـ
– الإمام الشّهر ستاني توفّي سنة 548 هـ
– الإمام الفخر الرّازي توفّي سنة 606 هـ...
و كما رجع الإمام الأشعريّ عن آرائه الكلاميّة إلى مذهب السّلف، فإنّ جلّ أئمّة المدرسة الأشعريّة تراجعوا عن آرائهم الكلاميّة إلى عقيدة السّلف الصّالح في آخر حياتهم.

المدرسة الثّالثة : المدرسة الماتريديّة

الماتريديّة تنسب إلى إمامها و مؤسّسها أبو منصور محمّد بن محمّد بن محمود الماتريدي نسبة إلى ماتريد و هي محلّة قرب سمرقند و كان يلقّب بإمام الهدى و إمام المتكلّمين. ولد سنة 258 للهجرة، عاصر أبا الحسن الأشعريّ، و عاش الملحمة بين أهل الحديث و أهل الكلام من المعتزلة و غيرهم، فكانت له جولاته ضدّهم و لكن بمنهاج غير منهاج الأشعري، و إن إلتقيا في كثير من النتائج، غير أنّ المصادر التّاريخيّة لا تثبت لهما لقاء أو مراسلات بينهما أو إطّلاع على ما كتباه.
و له مؤلّفات كثيرة أهمّها :
– تأويلات أهل السنّة في أصول الفقه و التّفسير
– كتاب التّوحيد في علم الكلام و هو أشهر كتبه
– كما ينسب إليه شرح كتاب "الفقه الأكبر" للإمام أبي حنيفة...
توفّي رحمه الله عام 333 هـ بسمرقند و دفن بها.
و من أشهر أئمّة المدرسة الماتريديّة بعد أبي منصور نذكر :
– نجم الدّين عمر النّسفي صاحب كتاب العقائد النّسفيّة توفّي سنة 537 هـ
– أبو محمّد نور الدّين عمر أحمد بن محمّد الصّابوني، توفّي سنة 580 هـ

– سعد الدّين التّفتازاني و توفّي عام 792 هـ
– الإمام الجرجاني توفّي سنة 816 هـ
– الكمال بن هُمَام توفّي سنة 861 هـ
– محمّد طاهر بن آصف النقشبندي توفّي سنة 1407 هـ
– إمام النّدويّة الشّيخ أبو الحسن النّدوي...

كلّ هؤلاء الأئمّة الثّقات بمختلف مدارسهم الثّلاث، أخذ عنهم تلاميذهم المبادئ و الآراء العقائديّة الّتي قرّروها، و حملوا إسم أهل السنّة و الجماعة.

ثالثا : عناية أهل السنّة و الجماعة بعلم التّوحيد و أشهر مصنّفاتهم سلفا و خلفا :

أهل السنّة و الجماعة هم أوّل من دوّن علم التّوحيد حرصا على نقاوة العقيدة الإسلاميّة من كلّ الشّوائب الّتي علقت بها، و عملوا على الرّد على الشّبهات الّتي إبتدعها أعداء الدّين، و لم يتركوا أيّ مجال لأيّ فكر دخيل على عقيدة التّوحيد، و أبطلوا كلّ العقائد الفاسدة و الإدّعاءات الكاذبة الّتي تقوّلها أصحاب الفرق الكلاميّة و التيّارات الفكريّة المعادية لعقيدة التّوحيد.

لكلّ هذه الأسباب و غيرها، سارع أئمّة أهل السنّة و الجماعة إلى البحث العميق في كلّ مسائل الإعتقاد، و كتابة المصنّفات الّتي تعدّ بعشرات الآلاف في شتّى العلوم الإسلاميّة منذ العصور الإسلاميّة الأولى.

و قد حضي علم التّوحيد خاصّة بقدر كبير من الإهتمام و العناية الفائقة من قبل علماء أهل السنّة و الجماعة سلفا و خلفا.

و إلى جانب الكتب الّتي ذكرناها سابقا، نشير هنا و بإيجاز شديد إلى أشهر المؤلّفات الّتي وضعها أئمّة أهل السنّة و الجماعة في علم التّوحيد للإنتفاع بمضامينها و تصحيح المفاهيم الخاطئة الّتي يمكن الوقوع فيها.

فمن كتب السّلف نذكر:

– الفقه الأكبر لأبي حنيفة النّعمان
– خلق أفعال العباد للإمام البخاري
– التّوحيد و إثبات صفات الرّب عزّ و جلّ لإبن خزيمة
– الفرق بين الفرق للبغداديّ

– الملل و النّحل للشّهر ستاني
– تهافت الفلاسفة لأبي حامد الغزالي
– لُمعة الإعتقاد إلى سبيل الرّشاد لإبن قدامة
– صريح السنّة لمحمّد بن جرير الطّبريّ
– الرّسالة لابن أبي زيد القيروانيّ
– الرّسالة الوافية لمذهب أهل السنّة في الإعتقادات و أصول الدّيانات لأبي عمرو المقرئ الدّاني
– الإقتصاد في الإعتقاد لعبد الغنيّ بن سرور المقدسيّ
– علامات يوم القيامة لابن كثير
– العواصم و القواسم في الذبّ عن سنّة أبي القاسم لابن الوزير اليماني...
و غيرها كثير
و من مصنّفات الخلف نذكر :
– المرشد المفيد إلى علم التّوحيد للدكتور عمر وفيق الدّاعوق
– أصول الفرق و الأديان و المذاهب الفكريّة للدكتور سفر الحوالي
– في العقيدة و المنهج للصّادق الغرياني
– الإسلام عقيدة و شريعة لمحمود شلتوت
– العقائد الإسلاميّة للسيّد سابق
– عقيدة المؤمن لأبي بكر جابر الجزائريّ
– إرشاد الأنام في عقائد الإسلام لمحمود صالح البغدادي
– تاريخ المذاهب الإسلاميّة لمحمّد أبو زهرة
– دراسات في العقيدة الإسلاميّة للدّكتور أحمد الجلي
– الشّبهات و الأخطاء الشّائعة في الفكر الإسلاميّ لأنور الجنديّ
– كبرى اليقينيّات الكونيّة للدّكتور محمّد سعيد رمضان البوطيّ
– مذاهب الإسلاميّين للدّكتور عبد الرّحمان بدوي
– نشأة الفكر الفلسفيّ في الإسلام للدّكتور سامي النّشار...
و القائمة تطول و تطول...

2- الخصائص العامّة لمذهب أهل السنّة و الجماعة :

يتميّز مذهب أهل السنّة و الجماعة عن بقيّة الفرق الكلاميّة بجملة من الخصائص الأساسيّة نجملها فيما يلي :

الخاصيّة الأولى : العمل على تثبيت عقيدة التّوحيد و إقامة شرع اللّه في كلّ زمان و مكان ، و إتّباع الكتاب و السنّة في الردّ على الشّبهات و الضّلالات، و محاربة الإبتداع في الدّين، و الحرص على الدّعوة إلى دين اللّه، و إحياء سنّة رسوله، و الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر.

الخاصيّة الثّانية: التمسّك بكتاب اللّه و سنّة رسوله و إجماع السّلف الصّالح من الأمّة بإعتبارها المصادر الأساسيّة للعقيدة الإسلاميّة أوّلا، و للأحكام الشّرعيّة ثانيا. لذلك إهتمّ أئمّة أهل الكتاب و السنّة بالقرآن الكريم إهتماما بالغا : حفظا و تلاوة و تفسيرا و عملا بما جاء فيه، و كذلك بالحديث النّبويّ الشّريف رواية و دراية و حفظا و تطبيقا و إتّباعا للسّنن و إقتداء بسيرة الصّحابة و التّابعين و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

الخاصيّة الثّالثة : الحرص على جمع كلمة المسلمين على الحقّ و العدل و الخير و النّهي القطعيّ عن الفرقة و العداوة و البغضاء، و الإتّفاق على أصول الدّين و كلّياته دون الخوض في فروعه و جزئيّاته مع مراعاة ضوابط الإختلاف.

الخاصيّة الرّابعة : القصد و التّوسّط و الإعتدال في الأمور كلّها فلا غلوّ و لا تفريط، و التّسامح و العدل و الإنصاف مع الموالين و المخالفين و المعادين، فلا تفسيق و لا تبديع و لا تكفير إلّا لمن حارب دين اللّه و خرج عن هديه و صراطه المستقيم.

قال سبحانه مؤكّدا على الأخوّة الدّينيّة : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. (1)

و قال الحبيب المصطفي : كتابُ اللّهِ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّور؛ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ. (2)

هذه أهمّ ميزات أهل السنّة و الجماعة، إنّهم حملة ميزان الوحي الإلاهي و النبوّة في جانبها العقائديّ و التّشريعيّ. إنّها دعوة إلى توحيد اللّه و الإلتزام بكتابه و سنّة رسوله للفوز بمرضاته سبحانه و نيل خيري الدّنيا و الآخرة. جعلنا اللّه من المتّقين الهداة المهتدين.

1- سورة الحجرات 10
2- رواه مسلم

3- منهج أهل السنّة و الجماعة في تقرير مسائل الإعتقاد

أوّلا : قواعد و ضوابط الإستدلال على مسائل العقيدة :

إكتفى أهل السنّة و الجماعة من القدامى (السّلف) في ثنايا مصنّفاتهم بالتّأصيل و الردّ على الشّبهات و الأباطيل، و مناظرة أعداء الدّين، و ذلك بالإستدلال بكتاب اللّه و سنّة رسوله.

و لمّا جاء دور المُحْدَثِينَ منهم (الخلف)، وضعوا منهجا علميّا لدراساتهم و ضبطوا قواعد أساسيّة للإستدلال على مسائل العقيدة، و هذه أهمّها :

القاعدة الأولى : الإيمان و التّسليم و التّعظيم لنصوص الوَحْيَيْنِ :

يجب على المسلم العلم و التّصديق الجازم و التّسليم التّام مع الإجلال و التّعظيم لكلّ ما جاء في كتاب اللّه و سنّة رسوله من عقائد و تشريعات دون ريبة أو شكّ، و دون الإيمان بالبعض و إنكار البعض.

لقد أمر اللّه المؤمنين أن يقولوا : آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا. (1)

و أمرهم كذلك بالدّخول في السّلم كافّة : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أُدْخُلوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً. (2)

قال ابن عبّاس :"أُدْخُلوا فِي السَّلْمِ كَافَّةً" يعني عرى الإسلام و شرائعه، و قوله «كَافَّةً» أي جميعا.

وورد في الحديث قوله صلّى اللّه عليه و سلّم : إِنَّ الْقُرْآنَ لَمْ يَنْزِلْ يُكَذِّبُ بَعْضُهُ بَعْضًا، بَلْ يُصَدِّقُ بَعْضُهَ بَعْضًا، فَمَا عَرَفْتُمْ مِنْهُ فَاعْمَلُوا بِهِ، وَ مَا جَهِلْتُمْ مِنْهُ فَرُدُّوهِ إِلَى عَالِمِهِ. (3)

القاعدة الثّانية : جمع النّصوص في المسألة الواحدة :

يجب على العلماء الدّارسين جمع كلّ النّصوص القرآنيّة و الحديثيّة و أقوال الصّحابة و التّابعين و الثّقات من علماء السّلف الصّالح في المسألة الواحدة سلامة من الإنحراف و بيانا للمسألة من جميع جوانبها، و ذلك بتقييد مطلقها و تخصيص عامّها و نسخ منسوخها.

قال تعالى : وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ. (4)

1- سورة آل عمران 7
2- سورة البقرة 206
3- رواه أحمد و ابن ماجه
4- سورة آل عمران 7

و في الحديث قوله عليه الصّلاة و السّلام : كَانَ الْكِتَابُ الْأَوَّلُ يَنْزِلُ مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ، وَعَلَى حَرْفٍ وَاحِدٍ، وَنَزَلَ الْقُرْآنُ مِنْ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ، عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ: زَاجِرٌ، وَآمِرٌ، وَحَلَالٌ، وَحَرَامٌ، وَمُحْكَمٌ، وَمُتَشَابِهٌ، وَأَمْثَالٌ، فَأَحِلُّوا حَلَالَهُ، وَحَرِّمُوا حَرَامَهُ، وَافْعَلُوا مَا أُمِرْتُمْ بِهِ، وَانْتَهُوا عَمَّا نُهِيتُمْ عَنْهُ، وَاعْتَبِرُوا بِأَمْثَالِهِ، وَاعْمَلُوا بِمُحْكَمِهِ، وَآمِنُوا بِمُتَشَابِهِهِ، وَقُولُوا : آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا. (1)

قال بن عبّاس : يؤمن (المسلم) بالْمُحْكَمِ و يَدِينُ بِهِ، وَ يُؤْمِنُ بِالْمُتَشَابِهِ وَ لَا يَدِينُ بِهِ، وَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَهِ كُلِّهِ. (2)

القاعدة الثّالثة : إشتمال الوحي على مسائل التّوحيد بأدلّتها :

إعتبر علماء التّوحيد من أهل الكتاب و السنّة أنّ القرآن الكريم و السنّة المطهّرة من الوحي الإلاهيّ، و أنّهما يشتملان على كلّ مسائل توحيد اللّه بأدلّتها النقليّة و العقليّة.

قال جلّ ذكره في محكم التّنزيل : وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ . (3)

و قال عليه الصّلاة و السّلام : وايمُ اللَّهِ ، لقد تركْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ.

و في رواية أخرى : لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ. (4)

القاعدة الرّابعة : حجّيّة فهم الصّحابة و السّلف الصّالح :

في صورة إختلاف المسلمين في فهم مسألة ما، فعليهم أن يردّوها إلى كتاب اللّه و سنّة رسوله و أولي الأمر منهم و هم الفقهاء من الصحابة و التّابعين و السّلف الصّالح بعدا عن الزّيغ و الهوى و الإبتداع و التفرقة. قال جلّ ذكره مخاطبا المؤمنين يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا. (5)

وجاء في الحديث الصّحيح: خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ...(6)

قال الإمام الشّافعيّ في شأن الصّحابة و التّابعين : لقد علموا ما أراد رسول اللّه عامّا و خاصّا، و عزما و إرشادا، و عرفوا من سنّته ما عرفنا و جهلنا، و هم فوقنا في كلّ علم و إجتهاد.(7)

1- رواه ابن حبّان و الطبراني و الحاكم
2- تفسير الطبري 186/3
3- سورة النحل 89
القيّم 80/1
4- أخرجه أحمد و الترمذي
5- سورة آلنّساء 58
6- رواه الشيخان
7- اعلام الموقعين لابن

القاعدة الخامسة: الإيمان بالنّصوص على ظاهرها ردّا على التّأويل السّيء:

يجب على المسلم فهم نصوص القرآن و السنّة فهما سليما دون تكلّف أو تعسّف أو تأويل سيء لدلالات ألفاظها الشّرعيّة، وذلك بالإستعانة على جمعها و الإعتماد على فهم أئمّة الإسلام من السّلف الصّالح، علما و أنّ خير تفسير هو القرآن بالقرآن و السنّة بالسنّة.

و قد ذمّ اللّه الّذين يحرّفون الكلم عن مواضعه و يتّبعون ما تشابه منه إبتغاء الفتنة و إبتغاء تأويله، و الّذين يشترون بعهد اللّه و أيمانهم ثمنا قليلا.

قال تبارك و تعالى: إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ. (1)

و عن عائشة رضي اللّه عنها أنّ النّبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال: إِذَا رَأَيْتُمْ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِيهِ (القرآن) فَهُمْ الَّذِينَ عَنَى اللَّهُ فَاحْذَرُوهُمْ. (2)

القاعدة السّادسة: درء التّعارض بين النّقل و صريح العقل:

لا تعارض بين النّقل و العقل، فإن وجد ما يوهم التّعارض بينهما، فإمّا أن يكون النّقل غير صريح، و إمّا أن يكون العقل فاسدا بفساد مقدّماته.

و لا يرى الإسلام مانعا من إعمال العقل في دائرته المشروعة، فهو دين التّدبّر و التفكّر و التأمّل.

قال جلّ ذكره: أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا. (3)

و قال رسول اللّه عليه الصّلاة و السّلام: ما لَكُم تَضرِبون كِتابَ اللّهِ بعضَه ببعض، بهذا هَلَكَ مَن كان قَبلَكُمْ. (4)

القاعدة السّابعة: موافقة النّصوص لفظا و معنى أولى من موافقتها في المعنى دون اللّفظ:

الأكمل و الأتمّ هو متابعة الكتاب و السنّة في اللّفظ و المعنى، و يكون ذلك بإعتماد و إستعمال الألفاظ و المصطلحات الشّرعيّة الواردة في كتاب اللّه و سنّة رسوله عند تقرير مسائل العقيدة و أصول الدّين، أمّا إستعمال ألفاظ لم ترد في الكتاب و السنّة فيمكن أن يؤدّي الأمر إلى الغموض و التّلبيس على المفاهيم السّليمة.

قال جلّ و علا: الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ. (5)

1- سورة آل عمران 76
2- أخرجه الشيخان و أبو داوود
3- سورة النساء 81
4- رواه ابن ماجة
5- سورة هود 1

قال ابن القيّم : إِنَّ النَّبِيَّ كَانَ يُحَافِظُ عَلَى أَلفَاظِ القُرْآنِ تَقْدِيمًا وَ تَأْخِيرًا، وَ تَعْرِيفًا وَ تَنْكِيرًا، كَمَا حَافَظَ عَلَى مَعَانِيهِ، وَ مِنْهُ قَوْلُهُ – و قد بدأ بالصّفات : أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ. (1)

القاعدة الثّامنة : الكفّ عمّا سكت عنه اللّه و رسوله و أمسك عنه السّلف الصّالح :

لقد وردت كثير من نصوص الكتاب و السنّة و أقوال الصّحابة و التّابعين و أئمّة السّلف الصّالح بالأمر بالكفّ عمّا لم يرد في الشّرع و السّكوت عمّا سكت عنه اللّه و رسوله و أمسك عنه السّلف، و ترك الخوض فيما لا علم الإنسان به من دليل أو أثر.

قال سبحانه : وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (2).

قال قتادة في بيان هذه الآية : لا تقل رأيت و لم تر، و سمعت و لم تسمع، و علمت و لم تعلم، فإنّ اللّه سائلك عن ذلك كلّه.(3)

وقال عليه الصّلاة والسّلام: إِنَّ اللّهِ فرضَ فرائضَ فلا تُضيِّعوها، وحَدَّ حدودًا فلا تعتَدوها وحرَّمَ أشياءَ فلا تنتهِكوها، وسكَتَ عَن أشياءَ رحمةً بكم غيرَ نسيانٍ فلا تَبحثوا عَنها.(4)

ثانيا : ثمار الإلتزام بهذه القواعد و الضّوابط

إذا ما إلتزمنا بهذه القواعد الّتي ضبطها أئمّة أهل السنّة و الجماعة، فإنّنا نجني نتائج حميدة و ثمارا مفيدة و هذه أهمّها :

– تحقيق كمال الدّين – إعتقادا و تشريعا – و تمام النّعمة الّتي أسبغها اللّه على عباده

– التّصديق الجازم بالوحيين – كتاب اللّه و سنّة رسوله – و تقديسها و العمل بما ورد فيها، و إتّباع السّلوك القويم و الفوز برضا ربّ العالمين.

– القناعة التامّة بمنهج السّلف الصّالح و مذهب أهل السنّة و الجماعة فهو الطّريق الأسلم و الأعلم و الأحكم و الأعقل.

– الطمأنينة و اليقين و الثّبات على هذا المذهب، و الإعتزاز بالإنتساب للدّين الحنيف، و يقابله الشكّ و الحيرة و الإضطراب لأهل الأهواء و الملل و النّحل.

– قيام الحجّة على المعاندين و المخالفين و أعداء الدّين، و الرّد على الشّبهات، و مواجهة الإنحرافات و البدع.

1- رواه مسلم
2- سورة الإسراء 3
3- تفسير ابن كثير 377/2
4- رواه الدارقنطي و الحاكم و البيهقي

– توحيد صفوف الأمّة الإسلاميّة و جمع كلمتها على التّقوى و الحقّ و العدل و الخير.
– الحصول على النّجاة في الدّنيا و الآخرة و نيل السّعادة في الدّارين.

ثالثا : أهمّ المسائل العقائديّة الخلافيّة بين أهل السنّة و الجماعة و بقيّة الفرق الكلاميّة :

إختلف أهل الكتاب و السنّة مع بقيّة الفرق الكلاميّة في مسائل عقائديّة عدّة، نذكرها هنا إجمالا و نبيّنها تفصيلا في المباحث اللّاحقة :

المسألة الأولى : معرفة الله بأسمائه و صفاته :

معرفة الله بأسمائه و صفاته هي أشرف المعارف في نظر أهل السنّة و الجماعة. و تقتضي هذه المعرفة الإيمان بكلّ ما ورد في كتاب الله و سنّة رسوله، من أسماء الله و صفاته الأزليّة القائمة لذاته العليّة، و إثباتها جميعا، و نفي التّشبيه عنها، و التّصديق الجازم بأنّ الله سبحانه لا مثيل و لا شبيه و لا ندّ و لا شريك له، في ذاته العليا و أسمائه الحسنى و صفاته الفضلى و أفعاله العظمى.

و خالف أهل السنّة و الجماعة في هذه المسألة فريقان :

– فريق يثبت لله تعالى صفات كصفات المخلوقين و يقولون : علم الله كعلمنا و يده كأيدينا... تعالى الله عن ذلك علوّا كبيرا.

و يسمّى هذا الفريق "المشبّهة" من الشّيعة الرّوافض (الرّافضة)

– فريق ثان ينفي تماما صفات الله، زاعما أنّ إثباتها يلزم منه التّشبيه فيقولون : ليس لله وجه و لا يد و لا علم و لا قدرة...

و يسمّى هذا الفريق "المعطّلة" كالجهميّة و المعتزلة.

المسألة الثّانية : رؤية الله جلّ جلاله :

رؤية الله سبحانه جائزة في نظر أهل السنّة و الجماعة يوم القيامة لعباده المؤمنين الصّالحين دون الكافرين، و هذا وعد من الله لهم، و وعده لا يتخلّف.

أمّا فرقة المعتزلة و بعض الفرق الأخرى، فتدّعي أنّ رؤية الله مستحيلة في الدّنيا و الآخرة.

المسألة الثّالثة : الإيمان و مرتكب الكبيرة :

دلّت النّصوص من الكتاب و السنّة على أنّ الإيمان نيّة و قول و عمل، يزيد بالطّاعات و ينقص بالمعاصي.

و من آمن قولا و لم يعمل و من ترك واجبا أو فعل محرّما أو ارتكب كبيرة من غير جحود للواجب، أو إستحلال للمحرّم فهو مؤمن فاسق و ليس بكافر، و أمره إلى اللّٰه إن شاء عفا عنه و إن شاء عاقبه.

كذلك تجوز الشّفاعة لمرتكبي الكبائر، و هذه هي عقيدة أهل السنّة و الجماعة في هذه المسألة.

أمّا فرق الخوارج و المعتزلة. فيعتقدون أنّ الإيمان شيء واحد لا يزيد و لا ينقص، و هو فعل جميع الطّاعات و ترك جميع المعاصي.

و من ترك واجبا أو فعل محرّما فهو كافر عند الخوارج، و هو في منزلة بين المنزلتين . الإيمان و الكفر عند المعتزلة، و هو مخلّد في النّار عند الطّرفين.

أمّا فرقة المرجئة فيعتقدون أنّ الإيمان شيء واحد، لا يزيد و لا ينقص، و هو التّصديق بالقلب وحده دون إقرار باللّسان و عمل بالجوارح.

و من ترك واجبا أو فعل محرّما، فهو كامل الإيمان ما دام عنده التّصديق بالقلب فقط أو تصديق بالقلب و إقرار باللّسان.

المسألة الرّابعة : القضاء و القدر و خلق أفعال العباد :

الإيمان بالقضاء و القدر خيره و شرّه ركن من أركان الإيمان الستّة و أصل من أصول الدّين، لذا يجب الإعتقاد بأنّ جميع ما في الوجود مخلوق لله سبحانه بما في ذلك أفعال العباد، فالله سبحانه هو الخالق لجميع المخلوقات و الموجودات بما فيها خلق العباد و أفعالهم و هي نوعان :

. أفعال إضطراريّة لا خيار للإنسان فيها.

. أفعال إراديّة أو إختياريّة مكتسبة من مشيئة اللّٰه و قدرته و الإنسان مسؤول و محاسب عنها يوم القيامة.

هذا بإيجاز موقف أهل السنّة و الجماعة من هذه المسألة، و فارق أهل السنّة و الجماعة فرقتان:

. فرقة «القدريّة» و تمثّلها المعتزلة، فقد ذهبت إلى القول بأنّ الأفعال الإراديّة أو الإختياريّة إنّما يخلقها العبد بنفسه، فهو مخيّر و لكن بقدرة قد خلقها اللّه فيه.
. فرقة «الجبريّة» و تمثّلها الجهميّة فهي تعتقد أنّ العبد ليس له شيء في عمله الإختياريّ و ليست له قدرة و إرادة، فلا إيجاد و لا كسب، بل هو مسيّر و مجبور و مقهور على جميع أفعاله، و هو كريشة في مهبّ الرّياح تقلّبها كيف تشاء و هو كذلك بمنزلة الجماد.

المسألة الخامسة : القرآن كلام اللّه : هل هو قديم أم مخلوق ؟

جمهور السّلف الصّالح يقتصر على القول بأنّ القرآن الكريم كلام اللّه غير مخلوق، ثمّ السّكوت و عدم الخوض عمّا وراء ذلك، و يكفي في صحّة إيمان المسلم أن يقول : «القرآن كلام اللّه»، و التّوقّف عند هذا الحدّ.

يقول الإمام ابن أبي زيد القيرواني في «الرّسالة» : «ممّا يجب إعتقاده أنّ القرآن كلام اللّه ليس بمخلوق فَيَبِيدُ، و لا صفة لمخلوق فيَنْفَدُ». (1)

و لمّا خرجت فرقة المعتزلة في عهد الدّولة العبّاسيّة ببدعة خلق القرآن، زيّنت هذا القول للخليفة المأمون ثمّ للخليفة المعتصم الّذي حبس و عذّب الإمام أحمد بن حنبل و غيرهم لرفضهم هذه الضّلالة و التّمسّك بالقول أنّ القرآن كلام اللّه قديم و غير مخلوق.

المسألة السّادسة : الحسن و القبح في الأشياء :

رأي أهل السنّة و الجماعة في هذه المسألة واضح حيث قالوا : الحُسْنُ ما حسّنه الشّرع، و القُبْحُ في ما قبّحه الشّرع، و ليس للعقل الإنسانيّ دخل فيهما، و إنّما المرجع هو الشّرع وحده، ثمّ يأتي دور العقل لتفسير و فهم ما أراده الشّرع. و عليه فإنّ إرادة الشّرور و القبائح من اللّه تعالى، و كلّ شيء يقع في ملك اللّه سواء أكان خيرا أو شرّا هو إرادته و مشيئته سبحانه، على أنّ التأدّب مع اللّه في هذه المسألة واجب و مطلوب.

هذا الموقف يخالفه المعتزلة الّذين قالوا : إنّ اللّه تعالى منزّه عن إرادة القبائح و الشّرور و المعاصي، و زعموا أنّه تعالى أراد من الكافر الإيمان، و أنّ ما يقع من العباد خلاف مراده سبحانه، و أنّ الحسن ما حسّنه العقل و أنّ القبح ما قبّحه العقل، و أنّ وظيفة الشّرع هي الإخبار و ليس الإثبات.

1- الرّسالة صفحة 119

المسألة السّابعة : الإمامة :

عقيدة السّلف الصّالح في مسألة الإمامة، أنّ أولى النّاس بالإمامة أو الخلافة بعد رسول اللّه هو أبو بكر، ثمّ عمر، ثمّ عثمان، ثمّ عليّ رضي اللّه عنهم جميعا، و أنّ الإمامة منصب شرعيّ غرضه إقامة الدّين و سياسة الدّنيا، و طريقتها الشّورى و إختيار أهل الحلّ و العقد من العلماء و ذوي الشّأن. و خالف أهل السنّة و الجماعة فرقتان :

. فرقة الشّيعة : تعتقد أنّ أولى النّاس بالخلافة بعد رسول اللّه هو الإمام عليّ، و إختلفوا في خلافة الثّلاثة، فقالت فرقة الزّيديّة : هي صحيحة و لكنّ عليّا أولى منهم.

و ذهبت بقيّة الفرق الشّيعيّة إلى القول : خلافة الثّلاثة (أبو بكر و عمر و عثمان) باطلة و يستحقّون السبّ و اللّعنة، و إنّ الإمامة ليست مجرّد منصب شرعيّ، بل هي ركن من أركان الدّين و أصل من أصوله.

. فرق الخوارج : تقرّ بخلافة الشّيخين (أبو بكر و عمر) و تطعن في خلافة عثمان و عليّ بل تذهب إلى تكفيرهما، و تقول الإمامة جائزة في كلّ النّاس، قريش و غيرها.

الفصل الثّالث
أشهر الفرق الكلاميّة : نشأتها، أهمّ مقولاتها و آرائها و أشهر علمائها

تمهيد :

بلّغ محمّد عليه أفضل الصّلاة و أزكى التّسليم الرّسالة و أدّى الأمانة، و جاهد في اللّه حقّ جهاده، و نصح الأمّة و تركها على المحجّة البيضاء ليلها كنهارها، أساسها التّوحيد الخالص لله ربّ العالمين، و طريقتها التّقى و الإستقامة على شريعة اللّه و سنّة رسوله.

و ظلّت الأمّة الإسلاميّة على هذا النّهج حتّى حدثت الفتنة الكبرى في عهد الخليفة عثمان بن عفّان رضي اللّه عنه و ما بعده، لأسباب و عوامل عدّة.

فما هي أهمّ هذه الأسباب و العوامل الّتي أدّت إلى ظهور هذه الفتنة ؟ و ما هي طبيعتها ؟ و من أشعلها ؟ و ما هي أشهر الفرق الكلاميّة الّتي نشأت على إثرها ؟

1. الأسباب الّتي أدّت إلى ظهور الفتنة و نشأة الفرق الكلاميّة :

إنّ البحث العلمي الموضوعيّ يقتضي منّا معرفة و بيان الأسباب و العوامل الّتي أدّت إلى إشعال الفتنة بين المسلمين، و إلى نشأة فرق كلاميّة عدّة.

و يمكن إختصارها في ما يلي :

أوّلا : الأسباب الخارجيّة :

في العهد الإسلاميّ الأوّل فتحت العديد من الأمصار، و دخلت أمم كثيرة في الإسلام، إلّا أنّ بعض هذه الأمم بقيت تحمل قدرا كبيرا من عقائدها كاليهود و النّصارى و المشركين و المجوس، كذلك إنتشرت عدّة شبهات عن قصد و غير قصد بين المسلمين، ممّا أوجب على العلماء و الفقهاء التّصدّي و الرّدّ على هذه الشّبهات، و إبطال الإفتراءات و تصحيح المفاهيم الخاطئة سواء في المسائل العقائديّة أو الفقهيّة.

ثانيا : الأسباب الدّاخليّة :

يمكن إرجاع الأسباب الدّاخليّة إلى عوامل سياسيّة بالأساس، فقد وقعت أحداث كثيرة منذ العصر الإسلاميّ الأوّل، غذّت الخلافات و المشاحنات بين المسلمين ممّا أدّى إلى نشأة ملل و نحل تناصر أو تعادي مجموعة دون أخرى. فكان ما كان من وجود آراء متباينة، و فرق مختلفة كالخوارج و الشّيعة و المرجئة و القدريّة و الجبريّة و غيرها...

و نذكر هنا أهمّ الأحداث التّاريخيّة الّتي دفعت بالمسلمين إلى الإختلافات و الإنقسامات :

. ظهور روح العصبيّة و الحميّة الجاهليّة من جديد لدى بعض الأفراد و القبائل العربيّة و الّتي حاربها الإسلام و إستبدلها بالأخوّة الدّينيّة و خاصّة في المرحلة الأولى من الدّعوة الإسلاميّة.

. محاربة أبي بكر الصدّيق . خليفة رسول الله . لأهل الردّة الّذين منعوا الزّكاة أو إرتدّوا عن الإسلام بالكلّية، حدث هذا سنة 12 هـ

. وقوع الفتنة الكبرى الّتي أدّت إلى مقتل الخليفة عثمان بن عفّان على يد عبد الله بن سبأ . و هو يهوديّ الأصل . و جماعته الّتي عرفت بالسبئيّة. وقع هذا الأمر الجلل بالمدينة المنوّرة سنة 35 هـ

. خروج طلحة و الزّبير و السيّدة عائشة عن الإمام عليّ فكانت موقعة الجمل بالبصرة (العراق) سنة 36 هـ

. نشوب النّزاع بين الموالين للخليفة عثمان و الموالين للإمام عليّ، فكانت موقعة صفين و الّتي إنتهت بمقتل الإمام عليّ من طرف عبد الرّحمان بن ملجم الخارجيّ سنة 40 هـ

. تنازل الحسن بن عليّ عن الخلافة لفائدة معاوية بن أبي سفيان و موته سنة 40 هـ

. مقتل الحسين بن عليّ في كربلاء في عهد يزيد بن معاوية بن سفيان سنة 61 هـ

. نشأة حزب الزّبيريين بالحجاز بقيادة عبد الله بن الزّبير بن العوّام سنة 63 هـ و محاربته للشّيعة و الخوارج و بني أميّة إنتهى بمقتله سنة 65 هـ على يد الحجّاج بن يوسف بأمر من عبد الملك بن مروان الأمويّ...

كلّ هذه الأحداث الأليمة أدّت إلى إحتداد الفُرقة و التّعصّب المذهبيّ خاصّة بعد قيام الدّولة الأمويّة ثمّ العبّاسيّة . و الّذي مازال يلقي بضلاله على واقعنا المعاصر بصور شتّى : تشتّت في الأمّة الإسلاميّة و بغضاء بين أفرادها... اللّهم سلّم سلّم.

ثالثا : الأسباب الموضوعيّة :

من المسلّم به أنّ أفهام البشر تختلف من واحد لآخر، لهذا من البداهة بما كان أن تتباين الآراء حسب فهم أصحابها للنّصوص الشّرعيّة و حسب البيئات الّتي نشأت فيها.

لكن يجب التّأكيد على أنّ هذه الخلافات الّتي ظهرت بين الرّعيل الأوّل كانت مبيّنة على حسن الظّنّ و صفاء السّريرة و على إجتهادات بعيدة كلّ البعد عن العصبيّات القبليّة و النّزاعات العنصريّة، و هي كذلك إجتهادات في المسائل الفرعيّة لا تمسّ من قريب أو بعيد أصول الدّين و جوهره.

نقول في هذا الشّأن : يجب التّفريق بين الإختلاف و الخلاف.

الإختلاف هو تنوّع في الرأي أو الموقف و قبول للرأي الآخر و هو سنّة من السّنن الكونيّة، يعترف به الإسلام لأنّه يمنح باب الإجتهادات الفكريّة البنّاءة للمساهمة في بناء الحضارات الإنسانيّة.

أمّا الخلاف فهو التّعصّب و التّشدّد في الرّأي و الرّفض للرأي الآخر و هو منهيّ عنه في الإسلام بجميع أشكاله لأنّه يفضي إلى الفرقة و العداوة و البغضاء بين النّاس.

إذن نَعَمْ للإختلاف... و لا للخلاف.

2 . أشهر الفرق الكلاميّة و أهمّ مقولاتها :

إثر الخلاف الّذي شبّ بين الإمام عليّ بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان، بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفّان، تفرّق المسلمون إلى ثلاثة أحزاب و هي :

. شيعة عليّ بن أبي طالب الّذي تولّى خلافة المسلمين بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفّان، الّذين إستقرّوا ببلاد العراق و قليل منهم بمصر، و كانوا يرون أن تكون الخلافة في قريش، و أنّ عليّا و أولاده من بعده أحقّ المسلمين بها.

. حزب بني أميّة من أهل الشّام و غيرها من الأمصار و خاصّة مصر، الّذي ناصر معاوية بن أبي سفيان و كان واليا على الشّام، و كانوا يرون أن تكون الخلافة في قريش و أنّ البيت الأموي أحقّ بها.

. فريق ثالث كانوا من شيعة عليّ لكنّهم خرجوا عن عليّ و معاوية، و كانوا يرون أنّ الخلافة حقّ كلّ مسلم له كفاءة لا فرق بين قرشيّ و غيره و هم فرقة الخوارج.

و بعد مرور الزّمن و توالي الأحداث إزداد الإنشقاق بظهور فرق و ملل و نحل أخرى.

و هذه لمحة موجزة عن أشهر الفرق الكلاميّة الّتي نشأت في العصور الإسلاميّة الأولى.

أوّلا : فرقة الخوارج أو الحروريّة أو الشّراة :

هذه الفرقة كان يطلق عليها قبل خروجهم عن الجماعة، "القرّاء" لكثرة تلاوتهم للقرآن و تعبّدهم، ثمّ عرفت بالخوارج لأنّهم خرجوا عن صفّ الإمام عليّ بن أبي طالب، بعد رفضهم للتّحكيم، و رفعوا شعار "لا حكم إلّا لله"، الّذي ردّ عليه عليّ بقوله : "كلمة حقّ أريد بها باطل".

ثمّ لجؤوا إلى النّهروان ثمّ إلى قرية حروراء بالكوفة (العراق)، فسمّوا "الحروريّة"، و سمّوا أنفسهم "الشّراة" الّذين شروا أنفسهم لله بزعمهم.

و من أهمّ آرائهم العقائديّة و الفقهيّة :

. يصحّحون خلافة أبي بكر، و يُجمِعون على التبرّؤ من عثمان و عليّ، و يقدّمون ذلك التبرّؤ على كلّ طاعة.

. يوجبون الخروج على الإمام إذا خالف السنّة، و يجوّزون أن تكون الإمامة في غير قريش.

. يكفّرون أصحاب الكبائر و يخلّدونهم في النّار، و الذّنوب كلّها كبائر عندهم.

. يوجبون الصّلاة على المرأة و هي حائض، و لا يصحّحون المناكحات إلّا إذا أقرّ المتعاقدان بالبراءة من عثمان و عليّ...

و أقلّ ما يقال عن هذه الآراء أنّها مبيّنة على سوء التّأويل و كثرة الغلوّ في الدّين!!

و من أشهر فرق الخوارج :
. الأزارقة : هم أتباع نافع بن الأزرق الّذي ظهر أمره في خلافة عبد اللّه بن الزّبير بن العوّام.
. النّجدات أو النّجديّة : و هم أصحاب نجدة بن عامر الحنفي الّذي إنشقّ عن نافع، و خفّف بعضا من غلوّه.
. الإباضيّة : و هم أتباع عبد اللّه بن إباض التّميمي الّذي إنشقّ بدوره عن نافع، و الّذين لم يغلوا في الحكم على مخالفيهم، و هي الفرقة الوحيدة المعتدلة الّتي إستمرّت إلى عصرنا الحاضر ببلاد اليمن و امتدّت إلى ليبيا و جزيرة جربة بتونس و عمان و المغرب.
. البيهسيّة و هم أصحاب أبي بيهس بن جابر
. الصّفريّة و هم أتباع زياد بن الأصفر
. العجاردة و الثّعالبة ...و غيرها من الإنقسامات الّتي تجاوزت العشرين فرقة، و قد إندثرت كلّها و لم يبق لها أيّ أثر يذكر

ثانيا : **فرقة الشّيعة أو الرّافضة أو الباطنيّة** :

هذه الفرقة سمّيت بالشّيعة لأنّهم تشيّعوا لعليّ بن أبي طالب (أي مالوا و ناصروا) و إلى وَلَدَيْهِ الحسن و الحسين و إلى نسل آل البيت.
كذلك أطلق عليهم فيما بعد لقب "الرّافضة" لأنّهم رفضوا زيد بن عليّ بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، بعدما إمتنع عن لعن أبي بكر و عمر. رضي اللّه عنهما.
و هناك من يطلق عليهم إسم "الباطنيّة" لأنّهم يقولون : "إنّ للقرآن ظاهرا و باطنا" و يفسّرون حسب أهوائهم و يزعمون أنّ المعاني الباطنيّة لا يدركها إلّا أئمتهم و يعتقدون أنّ الإمام معصوم و لا يلزم ظهوره بل يجوز إخفاؤه!! و كانت الشّيعة في أوّل ظهورها في عهد الإمام عليّ منقسمة إلى ثلاث جماعات و هي :
. المُفَضِّلَةُ : و هي جماعة تفضّل عليّا على أبي بكر و عمر!
. السَبَّابَةُ : و هي مجموعة تبالغ في سبّ أبي بكر و عمر!
. الغلاة : و هي جماعة السبئيّة نسبة إلى عبد اللّه بن سبأ اليهوديّ الّتي تألّبت على الخليفة عثمان و تسبّبت في مقتله، ثمّ إندسّت في جيش الإمام عليّ و زعمت أنّ عليّا إلاه أو حلّ فيه جزء من الإلاه!!

و قد أنكر الإمام عليّ ما ذهبت إليه هذه الجماعات و حاربها حفاظا على وحدة المسلمين، و لكن آل الأمر للأسف الشّديد في النّهاية إلى مقتل الإمام عليّ على يد عبد الرّحمان بن ملجم الخارجيّ سنة 40 ه لمّا نشأت فرقة الخوارج، و إلى ظهور إنشقاقات في صفوف فرقة الشّيعة في العصور الموالية.

و من أهمّ العقائد و المبادئ العامّة للشّيعة نذكر :

. الإمامة ليست من المصالح العامّة الّتي يترك أمرها للنّاس، بل هي ركن من أركان الدّين، و أنّ الرّسول محمّد . عليه الصّلاة و السّلام . أوصى للإمام عليّ بذاته بالخلافة الّتي تُوَرَّثُ في آل البيت دون سواهم!!

. التقيّة و هي مبدأ أساسيّ في عقيدة الشّيعة و هي إتّقاء المرء كيد عدوّه حفظا على نفسه و عرضه و ماله، و لا مانع من أن يظهر خلاف ما يبطن، و ذهب بعض أئمّة الشّيعة إلى القول: "لا دين لمن لا تقيّة له" و يزعمون أنّ عليّا سكت عن الخلافة تقيّة!!

و في العصور الموالية لخلافة الإمام عليّ نشأت إنشقاقات عدّة ممّا أدّى إلى بروز عقائد و آراء أخرى منها :

. تصحيح إمامة الخلفاء الثلاثة : أبو بكر و عمر و عثمان، و القول بأنّه لا مانع من إمامة المفضول مع وجود الفاضل.

و منهم من يرى خلاف ذلك فيحكمون على الخلفاء الثلاثة بالفسق و حتّى بالكفر، و يزيد بعضهم في الغلوّ فيعتقدون أنّ عليّا بلغ درجة النبوّة و العصمة بل ذهب بعضهم إلى القول بأنّ عليّا بلغ درجة الألوهيّة و قالوا بالحلول أي أنّ روح اللّه حلّت في عليّ، ثمّ تنتقل لتحلّ في الإمام الّذي يليه و هكذا!!

. القول بالبَدَاءِ على اللّه، و هو أن يأمر سبحانه بأمر، ثمّ يبدو له خطؤه فيأمر بخلافه . تعالى اللّه عن ذلك علوّا كبيرا!!

. القول بأنّ القرآن فيه تحريف و نقص، أحدثهما الصحابة فيه، و المصحف الكامل هو مصحف عليّ الّذي ورثه الإمام الثاني عشر و قد دخل به السّرداب و هم ثلاثة أضعاف هذا القرآن و ليس فيه من قرآن أهل السنّة حرف واحد، و يسمّونه "مصحف فاطمة"،

و الإعتقاد بأنّ القرآن مخلوق، كذلك إنكار كتب الحديث، و إنّما السنّة عندهم ما جاء من طريق آل البيت و ما روي عن أئمّتهم المعصومين دون سواهم!!
. القول بالرّجعة أي رجعة محمّد بن الحنفيّة (و هو ابن الإمام عليّ)، لأنّه صاحب راية أبيه يوم البصرة دون أخويه الحسن و الحسين، و الإعتقاد بنبوّة الإمام عليّ و أبنائه الحسن و الحسين و محمّد بن الحنفيّة!!
. القول بتناسخ الأرواح و هو خروج الرّوح من الجسد و حلولها في جسد آخر، و هي عقيدة بوذيّة هنديّة إعتقدها بعض الشّيعة!!
و من آرائهم الفقهيّة المتطرّفة :
. القول بأنّ الشّعائر الدّينيّة من صلاة و زكاة و صوم و حجّ إنّما جاءت لتربية العامّة، أمّا الخاصّة فليسوا في حاجة إلى تربية و تطهير، فهم غير مكلّفين!!
. القول بإباحة المحرّمات المجمع عليها!!
. القول بأنّ الجهاد و صلاة الجمعة غير واجبة إلّا إذا ظهر الإمام الّذي في السّرداب، و أنّه حين يظهر ينشر العلم الخاصّ بزعمهم الّذي يسمّونه "علم الجفر"، و فيه الفقه و الأحكام و القرآن الكامل!!
كلّ هذه الآراء و المعتقدات الفاسدة، إنّما هي آثار من الملل و النّحل الباطلة، الّتي عملت على تحريف الإسلام عقيدة و شريعة، و الّتي لا تمتّ بالعقيدة الإسلاميّة الصحيحة و الشّرع العزيز بأيّة صلة، بل تناقضها في أصولها و جوهرها و تتضارب معها بما جاء في كتاب الله و سنّة رسوله!!
أمّا الشّيعة المعتدلة الّذين يؤمنون بالله وحده و بكلّ أصول الدّين، و لا ينكرون ما هو معلوم من الدّين بالضّرورة، فإنّ أئمّة أهل السنّة و الجماعة لا يكفّرونهم و لا يبدّعونهم و لا يفسّقونهم، بل يعتبرونهم إخوانهم في الدّين.
و قد تفرّقت الشّيعة طوائف و فرقا كثيرة أشهرها :
. الإماميّة : سُمُّوا بهذا الإسم لتركيز آرائهم على الإمامة، و قد إتّفقوا على إمامة عليّ و إبنيه الحسن و الحسين ثمّ إختلفوا في تعيين الإمام بعدهم.
و كان ذلك الخلاف سببا في تفرّق الإماميّة إلى طوائف أهمّها :

أ. الإسماعليّة : و هم الّذين يقولون بإمامة إسماعيل بن جعفر الصّادق و ينتسبون إليه، و يخصّونه بالذّات لأنّه مات في حياة أبيه ليثبتوا الإمامة في عقبه. و يطلق عليهم كذلك "الباطنيّة" لأنّهم يقولون : "إنّ للقرآن ظاهرا و باطنا" و يفسّرونه حسب أهوائهم!!!

ب . الإثناعشريّة : سمّوا بذلك لأنّ الأئمّة عندهم إثنا عشر إماما : أوّلهم عليّ، ثمّ الحسن، ثم الحسين، ثمّ عليّ بن الحسين، (أمّه بنت كسرى)، ثمّ تتابع في ذرّيته إلى الإمام الثّاني عشر الموهوم محمّد بن الحسن العسكريّ الّذي يعتقدون أنّه إختفى في السرداب بسامرّاء (العراق) سنة 261 ه، و سوف يخرج آخر الزّمن، و يحكم النّاس بحكم داود عليه السّلام، و يأمر بإحياء، أعداء عليّ و أهله و أوّلهم أبو بكر و عمر، ثمّ سائر الصّحابة و الخلفاء و الملوك المسلمين إلى زمن خروجه فيقتلهم جميعا!!!

ج . الزّيديّة : هم أتباع زيد بن عليّ بن الحسين ابن الإمام عليّ بن أبي طالب. و كان زيد تلميذا لواصل بن عطاء إمام فرقة المعتزلة، و قد خرج زيد على الخليفة الأمويّ هشام بن عبد الملك بتحريض أهل الكوفة، مطالبا بالخلافة لنفسه، فهزمته جيوش عبد الملك، و قتل سنة 121 هـ.

و مذهب الزيديّة هو أقرب مذاهب الشّيعة إلى أهل السنّة و الجماعة لأنّهم يرون أنّ الرّسول محمّد لم يعيّن عليّا بشخصه و إنّما أشار إليه بالوصف فحسب، و لذلك لم يكفّروا أحدا من المسلمين، و لم يروا عصمة أئمّتهم، و لم يصلوا بأحد منهم إلى درجة النبوّة أو الألوهيّة كما فعل غلاة الشّيعة.

و قد إنتشر المذهب الزّيديّ في شرق الجزيرة العربيّة و جنوبها، و لا يزال فريق من أهل اليمن يعتقدون هذا المذهب إلى الآن.

.القرامطة: ينتسبون إلى حمدان بن الأشعث لقّب بقرمط لقصر قامته، وهم فرع من فروع الإسماعليّة، ويرون أنّه يجب على كلّ فرد التّحرّر من كلّ القيود العقائديّة و الشرعيّة!!

و كان أوّل ظهور للقرامطة في الكوفة سنة 278 هـ، و قد ارتكبوا مجازر عدّة و عاثوا في الأرض فسادا، فقد هدموا الكعبة المشرّفة سنة 317 هـ و سرقوا الحجر الأسود إلى هَجَرَ، و قتلوا أهلها في عهد أبي طاهر بن أبي سعيد الجنابي الّذي دعا إلى قتل الحُجَّاج و سبي النّساء و الأطفال!!! و كانت نهايتهم سنة 470 هـ على يد السّلاجقة.

.الدّروز : و ينتسبون إلى محمّد بن إسماعيل الدّرزي، و هم طائفة من طوائف الباطنيّة الّتي إنشقّت عن الإسماعليّة.
و من أشهر أئمتهم حمزة بن عليّ الزوزنيّ الّذي إدّعى ألوهيّة الحاكم بأمر اللّه، و أنّ للدّين ظاهر و باطن و الباطن هو المقصود، ثمّ دعا إلى التحلّل من الفرائض الدّينيّة، و معاداة الرّسول و أصحابه الكرام، و عدم الإلتزام بأركان الإيمان و الإسلام، ثمّ طوّروا مذهبهم و قالوا بتناسخ الأرواح !!! و لا يزال الدّروز يقيمون في لبنان و جنوب سوريا و هضبة الجولان و شمال فلسطين.
.النّصيريّة أو العلويّة : ينتسبون إلى نصير غلام الإمام عليّ أو إلى محمّد بن نصير النّصيري الّذي عاش في القرن الثالث الهجري، و يطلق عليهم أيضا لقب العلويّين.
و من أهمّ معتقداتهم : تأليه الإمام عليّ لزعمهم أنّ اللّه يظهر في الأنبياء و الأئمّة و يقولون : إنّ اللّه قد حلّ في محمّد ثمّ عليّ ثمّ المقداد!!!
و يعتقدون بالثالوث المجموع في [ع، م، س] و العين تعني عليّ و الميم محمّد و السّين سلمان الفارسيّ !!!
و يؤمنون بتناسخ الأرواح، و الدّين عندهم سرّ من الأسرار و لا يجب تلقينه للنّساء لأنّهنّ لا يستطعن حفظ الأسرار، و لا يصومون رمضان و يبيحون شرب الخمر و يحتفلون بالأعياد المسيحيّة.... !!!
و مازالت النّصيريّة أو العلويّة متواجدة ببلاد الشّام (لبنان و سوريا) إلى يوم النّاس هذا.
.و من الطوائف الشّيعيّة المغالية نذكر : البابيّة و البهائيّة و القاديانيّة... و غيرها.
ثالثا : فرقة المرجئة :
في خضمّ الأحداث الّتي عصفت بالمسلمين إبّان الفتنة الكبرى و الّتي إنتهت بمقتل الخليفة عثمان بن عفّان، ظهرت فرقة المرجئة.
سمّيت هذه الطائفة بالمرجئة لأنّهم يرجئون الحكم على العصاة من المسلمين الّذين يرتكبون الكبائر إلى يوم القيامة و يقولون : مرتكب الكبيرة ليس بالمؤمن و لا بالكافر و أمره إلى اللّه إن شاء غفر له و إن شاء عذّبه، و هذا على معنى الإرجاء هو التّأخير.
أمّا إذا كان الإرجاء على معنى إعطاء الأمل فإنّهم يقولون : يجب إعطاء الأمل

للعاصي في ثواب الله لأنّه لا تضرّ مع الإيمان معصية و لا تنفعُ مع الكفر طاعة.
و من أهمّ أفكارهم و مبادئهم :
. القول بأنّ الإيمان هو المعرفة بالله و الخضوع له و ترك الإستكبار عليه، و المحبّة بالقلب، و الإيمان في نظرهم هو إعتقاد بالقلب فقط، يزيد و ينقص!!
. القول بأنّه لا تضرّ مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة، و أنّ الله لا يعذّب الفاسقين من هذه الأمّة !!
. عدم تكفير أيّ إنسان مهما إرتكب من المعاصي مادام قد نطق بالشّهادتين، و الفصل في أمره لا يكون إلّا لله وحده!!
. إباحة إرتكاب المحرّمات و إنتهاك الحرمات، و عدم إقامة الحدود و تطبيق الأحكام!!
و المرجئة طوائف شتّى، فكلّما ظهر بينهم شخص بمقولة، جعل منها مذهبا نسب إليه، و من هذه الطوائف :
. اليونسيّة : وهم أتباع يونس السّمري
. العبيديّة : و هم أصحاب عبيد المكبت
. الغسانيّة : و هم أتباع غسّان الكوفي
. الثّوبانيّة : و هم أصحاب أبي ثوبان المرجئ
و قد إنقرضت فرقة المرجئة بفروعها، و لم يبق أحد يدين بأفكارها و مبادئها في عصرنا الحاضر نظرا لكثرة تناقضاتها و أفكارها الهدّامة.

رابعا : فرقة المعتزلة أو القدريّة أو أهل العدل و التّوحيد :

هذه فرقة رابعة، ظهرت في أواخر القرن الأوّل للهجرة، تسمّوا بالمعتزلة، لإعتزال واصل بن عطاء و عمرو بن عبيد حلقة أستاذهما الحسن البصريّ بمسجد البصرة (العراق) لأنّهم إختلفوا في مسألة مرتكب الكبيرة.
قال الأستاذ الحسن البصري : مرتكب الكبيرة مؤمن عاص و ليس بكافر.
و ذهب التّلميذان واصل و عمرو إلى القول : مرتكب الكبيرة ليس بمؤمن و لا كافر و لكنّه في منزلة بين المنزلتين.
و سمّوا كذلك بالقدريّة لأنّهم وافقوا معبد الجهنيّ و غيلان الدمشقيّ على فكرة نفي القدر أيّ أنّ كلّ فعل الإنسان هو من قدرته و إرادته المستقلّة عن قدرة الله و إرادته سبحانه!!

و لكنّهم رفضوا التّسميتين وأطلقوا على أنفسهم إسم "أهل العدل و التّوحيد"، لأنّهم ينفون عن اللّه الظّلم بنسبة أفعال العباد الإختياريّة إليهم، حتّى لا يعذّبهم بشيء لم يفعلوه، و لأنّهم يغالون في التّوحيد بنفيهم لصفات الذّات الإلاهيّة حتّى لا تشاركه في القدم.

أمّا المبادئ الّتي بنى عليها المعتزلة نحلتهم فهي خمسة :

أوّلا : التّوحيد : و معناه عندهم نفي صفات اللّه، و جرّهم ذلك إلى القول بخلق القرآن فهو في نظرهم حادث، و القول كذلك بنفي رؤية اللّه في الآخرة لأنّ الرّؤية تتطلّب الجهة، و اللّه منزّه عن الجهة و مشابهة الحوادث.

ثانيا : العدل : و معناه عندهم، أنّ العبد هو الخالق لأفعاله، و اللّه تعالى يريد الخير لخلقه و لا يريد لهم الشّرّ، و جرّهم ذلك إلى القول بوجوب الصّلاح و الأصلح على اللّه و قالوا : هذا هو العدل الّذي ينبني عليه العقاب و الثّواب في الآخرة، لأنّ اللّه عزّ و جلّ منزّه عن الظّلم.

ثالثا : الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر : و معناه عندهم الخروج على أئمّة الجور و الظّلم و إستباحة دماء النّاس، إذا لم يخروجوا (و هو ما ذهب إليه الخوارج كذلك).

رابعا : المنزلة بين المنزلتين : و معناها أنّ مرتكب الكبيرة لا هو مؤمن و لا كافر، فهو في منزلة بين المنزلتين، و هو بين الجنّة و النّار.

خامسا : الوعد و الوعيد : و المراد به عندهم أنّه يجب على اللّه أن يعذّب العصاة و لا يعفو عنهم، و لا يقبل منهم الشّفاعة، و لا يخرجهم من النّار أبدا.

كذلك من عقائدهم : إنكار عذاب القبر، و إنكار الصّراط و الميزان و القول بالتّحسين و التّقبيح العقليين أي أنّ الحُسْنَ ما حسّنه العقل لا الشّرع، و القُبْحَ ما قبّحه العقل لا الشّرع!! و غيرها من الأمور الغيبيّة!!

و من الواضح أنّ فرقة المعتزلة حكّمت العقل في الأمور الغيبيّة إلى منتهاه، ممّا أدّى بها إلى الإعتراض عن النّقل قرآنا و سنّة!! و أنّها تأثّرت بالفلسفة اليونانيّة و بالفرق الكلاميّة الأخرى كالخوارج و الرّافضة ممّا تسبّب إلى إنشقاقها إلى عدّة طوائف و بعدها عن منهاج أهل السنّة و الجماعة.

خامسا : فرقة الجبريّة أو الجهميّة أو المعطّلة أو النّفاة أو الكُلابيّة :

تُسمّى هذه الطائفة بالجبريّة لأنّها تزعم أنّ الإنسان مجبر و مكره على كلّ أفعاله، و ليست له قدرة و لا إرادة و لا إستطاعة و لا إختيار، فهو كالرّيشة في مهبّ الرّياح تتقاذفها يمنة و يسرة، أو كالخشبة تتلاطمها أمواج البحر، و العبد في نظرهم كالجماد لا حول و لا قوّة له، يخلق اللّه تعالى الأفعال فيه و تُنسب إليه مجازا كما تُنسب إلى الجمادات، و كما يقال أثمرت الشّجرة، أو جرى الماء، و طلعت الشّمس، و أمطرت السّماء، و أنبتت الأرض...

و يطلق عليها "الجهميّة" نسبة إلى جهم بن صفوان (توفّي سنة 128 ه) أو "الكُلّابيّة" نسبة إلى ابن كُلّاب، و يُعرفون كذلك "بالمعطّلة" أو "النّفاة" لأنّهم ينفون صفات اللّه، و يزعمون أنّ إثباتها يؤدّي إلى التّشبيه، و لم يثبتوا من الصّفات إلّا ما كان مختصّا بالله سبحانه كالخلق و الإحياء و الإماتة...

ثمّ تفرّقوا بعد ذلك إلى النّجاريّة و الضراريّة و البكريّة و غيرها من الإنشقاقات...

و من أهمّ أفكارهم العقائديّة :

- القول بأنّ علم اللّه حادث و أنّه لا يجوز وصف اللّه بوصف يُطلق على غيره كشيء و موجود و حيّ و عالم و مريد و نحو ذلك!!
- الإعتقاد بأنّ الإنسان مُجبر و مكره على جميع أفعاله و ليست له قدرة و لا إرادة و لا إستطاعة و لا إختيار!!
- القول بأنّ كلام اللّه حادث، و لا يسمّى اللّه تعالى متكلّما به!!
- الزّعم بأنّ الجنّة و النّار تفنيان كما تَفْنَى سائر الأشياء!!

إنّ عقيدة الجبر الّتى تبنّتها الجبريّة هي عقيدة فاسدة، لأنّها تؤدّي إلى الإنحراف عن التّفكير السّليم و العقيدة الصّحيحة، و إذا كان الإنسان مسيّرا و ليس مخيّرا في جميع أفعاله فلا معنى للتّكليف و الحساب و الجزاء و الثّواب و العقاب!!

سادسا :المجسّمة أو المشبّهة أو الكراميّة :

يُطلق على هذه الطائفة لقب "المجسّمة" أو "المشبّهة" لأنّ مبادئها الأساسيّة تقوم على التّجسيم و التّشبيه.

كذلك تسمّى "بالكراميّة" نسبة إلى محمّد بن عبد اللّه بن كرّام و كانت وفاته سنة 190 ه تقريبا.

و من أهمّ مبادئهم العقائديّة نذكر :
. القول بأنّ الإيمان إقرار باللّسان فقط في عقيدة الجهميّة!!
. إثبات الصّفات و الجهة و الرؤية لله سبحانه، مع إطلاق لفظ الجسم على الخالق . تعالى اللّه عمّا يصف و يقول الظّالمون علوّا كبيرا!!
. المنافق عندهم لا يصير كافرا ما دام يقرّ بلسانه!!
هذه المعتقدات الفاسدة وغيرها...لا تحتاج للردّ عليها لما فيها من إفتراءات وأكاذيب عل الدّين الحنيف و من تحريفات و تشويهات لما ورد في كتاب اللّه و سنّة رسوله!!

3. نهي الإسلام عن الجدل في العقيدة و التّعصّب للمذهب :

لقد أمر اللّه سبحانه عباده المؤمنين بالتآخي و التّحابب فقال : إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. (1)
و نهاهم عن التّنازع و الخلاف في قوله سبحانه : وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ. (2)
و حذّرهم من الوقوع في التّفرقة و العداوة في قوله تعالى : إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ. (3)
لقد بعث اللّه رسوله بالهدى و دين الحقّ ليظهره على الدّين كلّه، و شَرْعُهُ واحد لا إختلاف فيه و لا إفتراق. بعثه اللّه هاديا و مرشدا و معلّما بالحنيفيّة السّمحاء، فعلّم صحابته الكرام حقيقة التّوحيد و الإيمان و الإسلام و الإحسان و بيّن لهم أحكام الشّرع العزيز، و نهاهم عن الخوض في المسائل الغيبيّة خاصّة لأنّها لا تدخل في دائرة المدارك العقليّة للبشر، و دعاهم إلى التّصديق و التّسليم بها دون الدّخول في فرضيات من الجدل العقيم الّذي يؤدّي حتما إلى الخلافات و الإنشقاقات و العداوات بين المسلمين.
و قد ذمّ رسول اللّه الجدل الّذي لا طائل من ورائه فقال : مَا ضَلَّ قَوْمُ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الجَدَلَ.
ثمّ تلا هذه الآية : مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ (4)

1- سورة الحجرات 10
2- سورة الأنفال 47
3- سورة الأنعام 160
4- رواه التّرمذيّ

و جاء في الصّحيح قوله عليه الصّلاة و السّلام : إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللّه الأَلَدُّ الخَصِمُ (1)

و قد نقل عن أئمّة السّلف الصّالح كراهيّتهم للجدل و الخوض في مسائل الإعتقاد خاصّة كالأئمّة الأربعة : مالك و الشّافعي و أبو حنيفة و ابن حنبل و غيرهم...

فقد روي أنّ الإمام مالك بن أنس قال لأبي الجويرة و هو رجل متّهم بالإرجاء أراد جداله: أرأيت إن غلبتني ؟ قال : تتبعني. قال : فإن غلبتك ؟ قال : أتّبعك. قال : فإن جاء ثالث فغلبنا ؟ قال : إتّبعناه. فقال مالك : يا عبد اللّه بعث اللّه محمّدا بدين واحد و أراك تتنقّل.

كذلك نهى اللّه و رسوله المسلمين عن التّعصّب المقيت للجنس أو اللّون أو اللّغة أو المذهب، فلا تفاضل بين النّاس إلّا بالتّقوى و العمل الصّالح.

قال سبحانه مخاطبا كلّ خلقه : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ. (2)

كذلك نهى رسول اللّه عن العصبيّة البغيضة فقال : دَعُوهَا فَهِيَ مُنْتِنَة. (1)

و العبرة لمن إعتبر فما جرّ جدل عقيم و لا عصبيّة بغيضة إلّا شقاق و خصومة و عداوة و تفرّق الأمّة الإسلاميّة إلى أهواء و ملل و نحل، و إلى بعد عن فهم الدّين على حقيقته و جوهره الصّافي.

لقد كثر الكلام و قلّ التّحصيل ماضيا و حاضرا فهل من توبة نصوح إلى اللّه جلّ جلاله و هل من رجوع إلى كتاب اللّه و سنّة رسوله ؟!

إنّ الرّجوع إلى الحقّ فضيلة و خير من التّمادي في الباطل، فهل من مدّكر؟!

1- رواه البخاري
2. سورة الحجرات 13
3- رواه البخاري

الفصل الرّابع
أشهر الإتّجاهات و التّيّارات الفكريّة المعاصرة و موقف الإسلام منها

تمهيد :

منذ بدء الخليقة حاول الإنسان أي يتعرّف على ذاته و طبيعته البشريّة، و أن يتحكّم في حياته و يوفّر لنفسه حاجيّاته، و أن تكون له اليد الطّولى في تقرير مصيره.

و تساءل عن وجوده و عن ماهيته :

كيف خُلقت و لم خُلقت و من المتسبّب في خلقي ؟ من أين أتيت و إلى أين أذهب بعد الموت؟

هل تدوم وحدة وجودي بعد الموت جسما و روحا كما كانت على الأرض أم تتبدّل و تتغيّر؟

هذا البحث في حقيقة الإنسان و أصله و نشأته الأولى و مصيره بعد الموت، جرّ الإنسان إلى البحث في عالم ما وراء الطّبيعة، و إلى التّساؤل عن الخالق للكون كلّه و عن الوجود، بصفة كلّيّة، أفضى في النّهاية إلى عدّة أجوبة و تفسيرات للوجود، تبلورت شيئا فشيئا إلى تيّارات و إتّجاهات فكريّة مختلفة، يمكن تصنيفها إجمالا كما يلي :

أوّلا : التّيّار المادّي : يعتبر الإنسان جزء لا يتجزّأ من الكون، يخضع إلى دراسة علميّة مخبريّة، و هو مكوّن من مواد طبيعيّة تزول بفنائها، و الإنسان هو عبارة عن كتلة من الماء و الكربون و الفسفور و الجير و الحديد...

و أنّه لا بعث و لا نشور و لا حياة له بعد الموت.

ثانيا : التّيّار العقلانيّ : يعتبر أنّ الإنسان عقل محض في جوهره، و وجوده في الكون مرتبط بوجود العقل، و عقله هو آلة تفكيره و أداة أساسيّة للوصول إلى كلّ المعارف في حياته و بدونه يفنى و يموت.

ثالثا : التّيّار الحسّي : يذهب إلى القول أنّ الإنسان هو كتلة من الحواس : سمع و بصر و شمّ و تذوّق و لمس... و هي أدواته الأساسيّة لمعرفة حقائق الأشياء و الكائنات للإستفادة منها و بدونها يفنى الإنسان و يموت.

رابعا : التّيّار الشّهوانيّ : ينظر إلى الإنسان إلى أنّه كتلة من الغرائز و الشّهوات و الميولات و الرّغبات كغريزة حبّ البقاء و الحياة و غريزة الأكل و الشّرب و الجنس و حبّ السّيطرة و التّملّك...يجب تلبيتها لحاجة الإنسان إليها دون كبت أو قيد أو شرط لها.

خامسا : التّيّار الروحيّ : يعتبر الإنسان كائن بشريّ مكوّن من مادّة و روح، و أنّ الوجود الإنسانيّ في عالم الطبيعة (الفيزيا) و هو العالم الأسفل في الأرض ليس إلّا وهما، و الوجود الإنسانيّ الحقيقي هو عالم ما وراء الطبيعة (المتافيزقيا) و هو العالم الأعلى الخالد و فيه بعث و نفخ للرّوح من جديد.

سادسا : التّيّار العقائديّ : يعتقد أنّ هناك قوّة عظيمة خلقت الوجود كلّه، فكلّ الكائنات و الموجودات في هذا العالم السّفليّ لها خالق أوجدها و هو "السّبب الأوّل" أو "العلّة الأولى" للكون.

و الإنسان هو كائن من الكائنات يستقرّ و يعيش في هذا العالم السّفلي إلى حين من الدّهر ثمّ يعتريه الفناء و الموت ثمّ يبعث من جديد و ينتقل و يستقرّ في العالم العلويّ و هو عالم البقاء و الخلود.

و يمكن القول أنّ هذه التّيّارات الفكريّة الّتي توصّل إليها الفكر البشريّ عبر العصور إلى يوم النّاس هذا، قد تحوّلت إلى نظريّات فلسفيّة و مدارس فكريّة لها زعامات و مبادئ تقوم عليها.

فما هي هذه النّظريّات و الإتّجاهات الفكريّة الّتي ظهرت في تاريخ الإنسانيّة و الّتي إمتدّت إلى عصرنا الحاضر؟ و من هم منظّروها و مؤسّسوها ؟ و ما هي أهمّ مقوّماتها و مبادئها؟ و ما موقف الإسلام منها؟

1. أشهر الإتّجاهات و النّظريّات الفكريّة المعاصرة :

من أشهر الإتّجاهات الفلسفيّة و النّظريّات الفكريّة الّتي نشأت في القرون الأخيرة هي :

أوّلا : الدّاروينيّة أو نظريّة النّشوء و الإرتقاء أو التّفسير «العلميّ» للإنسان :

تُعرف الدّاروينيّة بنظريّة النّشوء و الإرتقاء أو التّفسير «العلميّ» للإنسان، و تُنسب إلى الفيلسوف الإنقليزي تشارلس داروين (1809 ـ 1882). هذه النّظريّة الّتي تدّعي أنّها «علميّة»، تستبعد كلّ غاية و كلّ قصد و كلّ نظام لوجود الكائنات، و تزعم كذلك أنّ وجود كلّ المخلوقات من نبات و حيوان و جماد و إنسان خُلقت محض الصّدفة و ليس لها خالق أو مبدع!!

و تقوم هذه النّظريّة على جملة من المبادئ و القوانين و هي :

. قانون الإنتخاب الطبيعيّ أو البقاء للأصلح أي أنّ الكائن القويّ يبقى و الكائن الضّعيف يفنى، و هو قانون لازم في تنازع البقاء بين الكائنات.

. قانون الملائمة بين الكائن الحيّ و البيئة الخارجيّة و المقصود به مدى تأقلم الكائن الحيّ مع الطبيعة.

. قانون إستعمال الأعضاء أو عدم إستعمالها تحت تأثير البيئة، بحيث تنمو الأعضاء أو تضمر أي تضعف أو تظهر من جديد حسب الحاجة.

. قانون الوراثة، و يقضي بأنّ الإختلافات المكتسبة تنتقل من سلالة إلى أخرى.

و قد أورد داروين أفكاره في كتبه : «أصل الأنواع» و «أصل الإنسان» و «تسلسل الإنسان و الإنتخاب الطّبيعيّ». و بعد وفاة داروين، ظهرت نظريّة أخرى تعرف «بالداروينيّة الحديثة» الّتي تردّ على ما ذهب إليه داروين و تقول أنّ آراءه مجرّد فرضيّات و ليست حقائق علميّة ثابتة يقينيّة.

يكفي القول بأن منطق و أسس هذه النظريّة غير إيمانيّ، فكيف يعقل أن نعتبر الإنسان هو جزء من المملكة الحيوانيّة و ليس كائنا مستقلا بذاته، كان خليّة مائيّة بسيطة، تطوّرت شيئا فشيئا عن طريق الإنتخاب الطبيعيّ حتّى بلغ سلالة القردة، ثمّ تطوّرت هذه السّلالة و تحوّلت إلى سلالة أرقى و هي سلالة الجنس البشريّ !! و هل يمكن التّصديق بأنّ أصل الإنسان قرد و ليس كائنا خلقه اللّه في أحسن تقويم و كرّمه أحسن تكريم!!

ثانيا: الماركسيّة أو الشيوعيّة أو نظريّة التّفسير الماديّ للتّاريخ أو الماديّة الجدليّة:
تُنسب هذه النظريّة إلى الفيلسوف الألمانيّ : كارل ماركس (1818 . 1883) و هو من أصل يهوديّ، و هو النّافخ في نار الشّيوعيّة العصريّة في بلدان عدّة كروسيا و الصّين و أوروبا الشّرقيّة...
و تعرف كذلك بنظريّة التفسير الماديّ للتّاريخ أو الماديّة الجدليّة.
تأثّر ماركس في البداية بجدليّة هيقل (1770 .1881) و هو فيلسوف ألمانيّ الّذي يرى الفكر و الوعي الصّادرين عن العقل الإنسانيّ هما المحرّكان الأساسيان لبناء الحضارات البشريّة علما و أدبا و فنّا و دينا و أخلاقا و قانونا و فلسفة... إلّا أنّ ماركس خالف فلسفة هيقل و جدليّته و قلبها رأسا على عقب، و إنتهى إلى ما أسماه "بالتّأويل الإقتصاديّ" أو "التفسير الماديّ للتاريخ" أو "الماديّة الجدليّة"، الّتي تعتبر أنّ المادّة أو الإقتصاد هو المحرّك الأساسيّ للتّاريخ البشريّ و ليس الفكر أو الوعي الإنسانيّ.
و قد بلور أفكاره في مؤلّفاته و خاصّة في كتابه "نقد الإقتصاد السياسيّ"، و كتابه الشّهير "رأس المال". و دعا ماركس إلى ثورة العمّال على أرباب و أصحاب العمل و رفع شعارات برّاقة دفعت بالعمّال إلى الثورة ضدّ أعرافها، و من الشّعارات الّتي نادت بها الشّيوعيّة : "عمّال العالم توحّدوا" و "الدّين أفيون الشّعوب" أي مخدّر لها و شعار "لا إله و الحياة مادّة" !!
و لكن سرعان ما إنهارت المنظومة الشّيوعيّة في العالم و وضع الفكر الإنسانيّ بدائل لها بتأسيس منظومات إقتصاديّة مناقضة لها، و هذا دليل على سقوطها و فسادها و رفضها لبعدها عن الإيمان و المنطق و الواقع.
ثالثا : الفرويدية أو نظريّة التّفسير الجنسيّ للسلوك الجنسيّ :
هذه نظريّة ثالثة تُنسب إلى الفيلسوف و العالم النّفسانيّ سيقمون فرويد، ولد بالنّمسا سنة 1856 و هو كذلك من أصل يهوديّ.
ذهب فرويد إلى القول بأنّ الإنسان شبيه الحيوان، فهو كائن مركّب من مجموعة من الغرائز : غريزة الحياة و حبّ البقاء و غريزة التّملّك و السّلطة و الجنس...

و إعتبر أنّ الغريزة الجنسيّة هي أقوى الغرائز و المهيمنة على بقيّة الغرائز، فهي الّتي تتحكّم في تصرّفات الإنسان و في جميع سلوكيّاته، و هي كذلك هي الّتي توجّه جميع نشاطاته الحياتيّة.

لذا دعا فرويد إلى تحرير غريزة الجنس من كلّ القيود الدّينيّة و الأخلاقيّة و الإجتماعيّة و عدم كبتها بأيّ شكل من الاشكال !! فهي دعوة، نحو التّحرّر الجنسيّ المطلق دون ضابط من الضّوابط !!

والمتأمّل في هذه النّظريّة التحرّريّة يلمس بجلاء ضعفها وهشاشة بنائها من الدّاخل لأنّ تحاليلها النّفسيّة و أسسها الّتي إنبتت عليها، إرتكزت على عامل أساسيّ واحد و هو العامل النّفسيّ و أهملت عوامل أخرى هامّة في حياة الإنسان كالعامل الدّيني و الأخلاقيّ و العامل الإجتماعيّ و الإقتصاديّ... و غيرها، لهذا رفض تلاميذ فرويد نظريّة أستاذهم و حاولوا نقدها و تصحيحها أمثال الفلاسفة و المفكّرين :»يونغ» و «أدلر» و «فوكو» و غيرهم.

رابعا : **نظريّة أو فلسفة الوجوديّة** :

أُطلق على هذه النّظريّة إسم "الوجوديّة" لأنّها مشتقّة من كلمة "الوجود"، و ملخّص فلسفتها هو القول : " بأنّ الوجود يسبق الماهيّة" و مقتضى ذلك و مضمونه هو : إنّ الإنسان لا يوجد لكي يتّبع مشرّعا يضبط له قوانين و أحكاما أو يسلك منهجا فكريّا يحدّد له أفكاره و سلوكه موضوعا من قبل، بل وجوده نفسه هو الّذي يحدّد له المنهج الّذي يسير عليه، و السلوك الّذي يتخلّق به، و كلّ فرد هو حرّ في إختيار و تحديد أفكاره و سلوكاته دون تدخّل خارجيّ !! و بهذا التّصوّر للوجود الإنسانيّ فإنّ "الوجوديّة" تمثّل ثورة على كلّ الأديان و القيم و الأخلاق!! و هي كذلك ثورة على كلّ التّيّارات و الإتّجاهات الفكريّة و العقليّة !! لأنّها تدّعي في نظرها أنّ الدّين و كذلك العقل هما اللّذان يحدّدان القيم الثّابتة و الأحكام المطلقة الّتي ترفضها "الوجوديّة" جميعها !! لهذا كانت كتابات الوجوديّين في الغالب أدبيّة عاطفيّة و ليست فلسفيّة عقليّة.

إنّ نظريّة "الوجوديّة" تقول بوضوح : ليس هناك إله !!

للإنسان حريّة لا شأن للدّين و العقل بها !!

لا حاجة للإنسان إلى قيم ثابتة و أحكام مطلقة !!
و هذا التيّار الفكريّ الوجوديّ له نزعتان :
. الوجوديّة المؤمنة الّتي تعترف ببعض القيم الدّينيّة و لكنّها تصرّ على أنّ الوجود يسبق الماهية. و من أشهر زعمائها : الفيلسوف الألمانيّ كارل يسبارس و الفيلسوف الفرنسي قابريال مارسال...
. الوجوديّة الملحدة الّتي لا تعترف لا بالدين و لا بالعقل و تعتقد أنّ الإنسان حرّ في كلّ تصرّفاته و سلوكاته دون قيد أو شرط. و من أشهر زعمائها : الفيلسوف الألمانيّ هيدقر و الفيلسوف الألمانيّ الشّهير نيتشه و هو من أصل يهوديّ (توفي سنة 1900 م) الّذي أعلن بجرأة أنّ "الرّبّ قد مات" !! و الفيلسوف الفرنسيّ جون بول ساتر (توفي سنة 1980 م) الّذي ألّف عدّة مسرحيّات و قصص أشهرها "الوجود و العدم" و "الغثيان"...
لقد ظهر هذا التّيّار الوجوديّ بداية من القرن التّاسع عشر ميلادي و خاصّة أثناء و عقب الحربين العالميّتين في القرن العشرين ميلاديّة.
إتّسمت "الوجوديّة" بمظاهر القلق و السآمة و الضّياع و التّمرّد على الدّين و العقل بجميع أشكاله، و غزت كثيرا من أوساط المجتمع الأوروبيّ و غيره من المجتمعات، و إعتنقتها كثير من الفئات و خاصّة فئة الشّباب !!

خامسا : **إتّجاهات و تيّارات فكريّة معاصرة أخرى** :

لقد برزت عدةّ إتّجاهات و تيّارات فكريّة أخرى في عصرنا الحديث تدعو إلى نظرة جديدة للكون و الدّين و الإنسان أهمّها :
. البُنْيَويَّة أو الهيكليّة على يد ميشال فوكو الفرنسيّ...
. العبثيّة و مؤسّسها ألبار كامو الفرنسي...
. البراقماتيّة أو النفعيّة على يد فلاسفة أمريكين...و الّتي رفعت شعار "الغاية تبرّر الوسيلة"
. العلمانيّة الّتي إفتلعت الصّراع بين الدّين و العلم، و أنكرت الدّين و زعمت أنّ العلم وحده قادر على حلّ مشكلات الإنسانيّة !!
. الوطنيّة و القوميّة و من لف لفّهم... الّتي تدّعي أنّ رابطة الولاء و التّجمّع لا تكون إلّا للوطن أو القوم !!

كلّ هذه التيّارات و النّظريّات الفكريّة تدّعي "العصرنة" و "الحداثة" و تضرب بعرض الحائط كلّ العقائد و تحارب كلّ مظهر من مظاهر التديّن !!

2. موقف الإسلام من الإتّجاهات و التيّارات قديما و حديثا :

ما يمكن إستخلاصه أنّ هذه الإتّجاهات و التيّارات الفكريّة قديمها و حديثها ترتكز على دعائم أساسيّة ثلاثة :

أوّلا : رفض الإيمان بكلّ صوره و مواجهته بكلّ الوسائل، و إنكار كلّ الغيبيّات و الإعتراف بالمحسوسات فقط !!

ثانيا : إعتبار الحياة عبث، و مصير الإنسان مآله حتما العدم و الفناء !!

ثالثا : التّأكيد على الحريّة المطلقة للذّات البشريّة دون إعتبار لأيّ ضابط من الضّوابط الدّينيّة أو الأخلاقيّة أو الإجتماعيّة و الدّعوة إلى إشباع الغرائز و إطلاقها إلى ما لا نهاية !! فهل تحافظ هذه الأفكار الماديّة البحتة على كيان الأفراد و الأسر و المجتمعات الإنسانيّة؟

و هل تتماشى مع المبادئ و القيم الإسلاميّة؟ و ما هو موقف الإسلام من هذه النّظريّات و التيّارات الفكريّة قديما و حديثا؟

في البدء نقول : ليعلم الجميع أنّ الإسلام دين ربّانيّ و هو منهج حياة متكاملة، يهدي الإنسانيّة جمعاء إلى أقوم السّبل لأنّه دين التّوحيد الخالص و التّشريع الكامل الّذي ينظّم حياة الإنسان في جميع مجالاتها لنيل مرضاة الله و رسوله أوّلا، و الفوز بسعادة الدّارين (الحياة الدّنيا و الآخرة) ثانيا.

دين يأمر بالإيمان و التّقوى و الإحسان و ينهى عن الكفر و الفسوق و العصيان، دين إرتضاه الله لجميع خلقه، و من لقي الله بعد بعثة محمّد صلّى الله عليه و سلّم بدين على غير عقيدته و شريعته فليس بمتقبّل كما قال سبحانه و تعالى: إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلَام.(1)

و قال سبحانه : وَ مَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَ هُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ. (2)

و جاء في الحديث الصّحيح قوله عليه أفضل الصّلاة و أزكى التّسليم : كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَ بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً. (3)

1- سورة آل عمران 19
2- سورة آل عمران 84
3- رواه الشيخان

يقول المفكّر أنور الجنديّ في كتابه "الإسلام و العالم المعاصر" : من الحقّ أن يقال أنّ الإسلام هو الّذي أقام عقيدة التّوحيد في مواجهة الوثنيّة و التّعدّد، و أقام فكرة إباحة زينة الحياة في مواجهة الرّهبان، و أقام الصّلة المباشرة مع اللّه في مواجهة رجال الدّين، و أقام منهج التّكامل في مواجهة الإنشطاريّة... لقد جاء الإسلام فسلك سبيل الوسطيّة و التّعادليّة جمع فيها بين الرّوحانيّات و الماديّات و العقلانيّات دون إفراط أو تفريط.

و أراد اللّه أن تكون الأمّة الإسلاميّة "أمّة وسطا" في التّصوّر و الإعتقاد، لا تغلو في التّجرّد الرّوحيّ و لا في الإرتكاس الماديّ و لا في الإرتهان العقليّ، إنّما تتّبع الفطرة السّليمة الّتي فطر اللّه النّاس عليها.

قال سبحانه : وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا (1)

و قال رسول اللّه عليه الصّلاة و السّلام : ليسَ بخيرِكم منْ ترك دنياهُ لآخرتِه، و لا آخرتَه لدنياهُ، حتى يصيبَ منهما جميعًا، فإنَّ الدنيا بلاغٌ إلى الآخرةِ، و لا تكونوا كلًّا على الناس. (2)

و لنتدبّر معا قول اللّه عزّ و جلّ في محكم التّنزيل : أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ. وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ. (3)

قال ابن كثير في تفسيره لهاتين الآيتين : "يخبر اللّه عن قول الدّهريّة من الكفّار و من وافقهم من مشركي العرب في إنكار المَعَادِ [وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا] أي ثَمَّ إلّا هذه الدّار، يموت قوم و يعيش آخرون وَ مَا ثَمَّ مَعَادٌ و لا قيامة،و هذا يقوله مشركو العرب المنكرون المعاد، و تقوله الفلاسفة الدّهريّة المنكرون للصّانع..." (4)

و جاء في الحديث القدسيّ عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم : يَقُولُ تَعَالَى يُؤْذِينِي ابْنُ آدَم، يَسُبُّ الدَّهْرَ وَ أَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي الأَمْرُ، أُقَلِّبُ لَيْلَهُ وَ نَهَارَهُ. (5)

1- سورة البقرة 142
2- رواه ابن عساكر
3- سورة الجاثية 22-23
4- تفيسر ابن كثير المجلّد 3 ص 311
5- رواه الشّيخان

قال الإمام الشّافعيّ في تفسير و بيان هذا الحديث : "كانت العرب في جاهليّتنا إذا أصابهم شدّة أو بلاء أو نكبة قالوا : يا خيبة الدّهر، فيسندون تلك الأفعال إلى الدّهر و يسبّونه، و إنّما فاعلها هو اللّه تعالى، فكأنّهم سبّوا اللّه عزّ و جلّ، لأنّه فاعل ذلك في الحقيقة، فلهذا نُهِيَ عن سبّ الدّهر بهذا الإعتبار..."

هذه هي تصوّرات و أفكار الدّهريّين القدامى منهم و المحدثون : يكفرون باللّه الصّانع و المبدع و الخالق للكون كلّه!!

ينكرون عالم الغيب و لا يعترفون إلّا بالعالم الماديّ المنظور!! يزعمون أنّ الإنسان كائن، خُلقَ من العدم و هو صائر لا محالة إلى العدم، و هي محض مادّة لا روح فيها!! يدعون إلى التّحرّر الكليّ من القيود و الضّوابط الأخلاقيّة و الإجتماعيّة و إطلاق العنان للغرائز إلى ما لا نهاية!!

يعتبرون أنّ الحياة الدّنيا مبدأ و غاية، و أنّ الغيبيات من بعث و نشور و جزاء و ثواب و عقاب هي خيالات و أوهام!!

يصرّون على وجود عداوة بين الدّين و العلم و يعتبرون أنّ الدّين أفيون الشّعوب و يدعون الإنسان إلى الإستفاقة من سباته لبناء "الإنسان الأعلى" !!

هذه خلاصة ما توصّل إليه الفكر المادي قديما و حديثا، و هي في المنظور الإسلاميّ تمثّل خطرا على الإنسانيّة جمعاء.

إنّها دعوات صريحة خرقاء إلى الكفر و الإلحاد و الإباحيّة و الشّذوذ و التّفسّخ الأخلاقيّ و الفساد في جميع صوره!!

إنّها أفكار ماديّة هدّامة، أثمرت "الإنسان المعاصر"، "الإنسان الحداثي" الّذي يشكو القلق و التأزّم و الحيرة إلى حدّ الغثيان و الإنتحار!!

و سيبقى هذا الإنسان على هذه الحال البائسة يعيش في دوّامة الخوف من المجهول إلى ما لا نهاية، ما دام تفكيره الماديّ البحت مهيمنا عليه، و لا يصل إلى شاطئ السّلامة و الأمن و الأمان و الإطمئنان إلّا إذا عاد إلى رشده و فطرته السّليمة و هو النّهج الّذي رسمه الإسلام للنّاس كافّة.

إنّه المنهج الرّبّانيّ الّذي يرشد إلى الهدى و التّقوى و الرّحمة و الحقّ و الخير و العدل، و ما أحوج "الإنسان المعاصر" إليه.
قال سبحانه ذامّا لمن كذّب بالغيب : وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ يَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَرِيدٍ (1)
أقول بكلّ مرارة : للأسف الشّديد، الكثير من الشّباب المسلم و غير المسلم، وقع فريسة لهذه التيّارات الفلسفيّة الهدّامة دون وعي و إدراك !!
فهذا ماركسيّ دون أن يعرف عن الماركسيّة شيئا، و هذا وجوديّ و هو يجهل الوجوديّة جملة و تفصيلا، و آخر علمانيّ دون أن يفقه للعلمانيّة معنى... !!
فحريّ بشباب العالم أن يطّلع على تعاليم الإسلام و يدرسها دراسة موضوعيّة معمّقة لبلوغ الحقّ و العدل و الخير و الشّعور بالسّكينة القلبيّة و الرّاحة النفسيّة و التخلّص من دائرة الشكّ و الضياع و اليأس و التحرّر من براثن الماديّة و العبثيّة و العدميّة.
و الأدهى و الأمرّ و الأغرب من ذلك كلّه، أنّ العديد من المسؤولين و المشرفين على حقل التّربية و التّعليم في البلاد الإسلاميّة و غيرها من بلدان العالم، مازالوا ينشرون إلى الآن هذه الأفكار الهدّامة في المناهج التعليميّة، بعد إضفاء صفة "العلميّة" عليها. على أنّها حقائق يقينيّة غير قابلة للنّقاش لتلقينها لأجيال المستقبل!! أقول أيضا لهؤلاء و أولئك : أيّها المعلّمون و المتعلّمون و أصحاب القرار، هل من توبة نصوح إلى الله ؟ و هل من تدبّر و تذكّر و تبصرة في كتاب الله و سنّة رسوله ؟ و هل من متأمّل و ناظر و مدّكر لقول الله سبحانه في كتابه العزيز : وَ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَ لَا هُدًى وَ لَا كِتَابٍ مُنِيرٍ. (2)
هذه دعوة من ربّ العالمين للنّاس أجمعين إلى نقل صريح و عقل صحيح، و إرشاد إلى هدى بعيد عن الهوى.

1- سورة الحجّ 3
2- سورة الحجّ 8

3. التّفسير الإسلاميّ للحياة الإنسانيّة :

ما هي نظرة الإسلام للوجود الإنسانيّ ؟ و هل تتوافق مع تصوّرات الفكر الماديّ ؟
نقول في البداية : لا معنى و لا قيمة للدّين أصلا إذا أهمل الوجود الإنسانيّ و تخلّى عن تنظيم الحياة، لأنّ أهمّ القضايا الّتي شغلت الفكر الإنسانيّ هي مسألة الوجود منذ العصور الغابرة إلى عصرنا الحاضر.
لذلك إهتمّ الإسلام إهتماما بالغا بالمسألة الوجوديّة، و جاء هذا الدّين الحنيف ليقدّم للبشريّة كافّة تصوّرا عقائديّا سليما و تنظيما تشريعيّا متكاملا ليشعر الإنسان بإنسانيّته و يعيش في كنف الأمن و السّلام و ليحقّق لوجوده معنى و يشعر بالسّعادة و الهناءة.
لقدعرض القرآن الكريم و السنّة المطهّرة تفسيرات واضحة و إجابات كافية ليدرك الإنسان حقيقته و جوهره و يعرف مآله و مصيره بعد الموت، لضمان الطمأنينة النّفسيّة و راحة البال في الحياة الدّنيا و رضا الخالق و الفوز بالجنّة في الآخرة.
و أهمّ هذه البيانات المضيئة الّتي تنير سبيل الإيمان و التّقى و تدرأ الحيرة و الأسى، و تدفع الشّقاوة و البلاء هي :

أوّلا : أصل الإنسان و كيفيّة خلقه و إيجاده و نشأته :

في البدء كان للإنسان وجود لا مرئيّ عندما خلقه الله و أسكنه جنّاته، ثمّ أصبح للإنسان وجود مرئيّ عند هبوطه إلى الأرض بسبب معصيته لله و إغواء الشيطان له.
قال سبحانه : وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ. (1)
لقد خلق الله جلّت قدرته الكون كلّه بمن فيه و بما فيه من الكائنات المرئيّة و غير المرئيّة و من ضمنها الإنسان الّذي خلقه و أوجده الله و لم يكن في البداية شيئا مذكورا كما أخبر بذلك الله في قوله : هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا، إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا، إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا. (2)

1- سورة البقرة 34-35
2- سورة الإنسان 1-2-3

ثمّ بيّن الله في كتابه العزيز أصل الإنسان و كلّ مراحل و أطوار خلقه و نشأته و تكوينه إلى أن جعله في أحسن صورة و أحسن تقويم في قوله جلّ و علا : يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٖ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٖ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ، وَنُقِرُّ فِي ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلٗا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمْ، وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٖ شَيْـًٔا. (1)

و قوله سبحانه : لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ. (2)

أخاطب المعاندين و المتكبّرين و المجادلين و ذوي الألبّاب و العقول و أقول لهم : أليست هذه بيانات و حقائق علميّة إعترف و أقرّ بها كبار علماء الأجنّة ؟! أليست هذه الآيات البيّنات من الإعجاز الربّانيّ القرآنيّ؟! و هل بعد هذا البيان بيان؟!

ثانيا : تكريم الله للإنسان و تفضيله عن كثير من خلقه :

يخبر الله سبحانه عن تشريفه لبني آدم و تكريمه إيّاهم في خلقه لهم على أحسن الهيئات و أكملها و تفضيلهم عن كثير من خلقه.

قال تعالى : وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا. (3)

و إلى جانب التّشريف و التّكريم و التّفضيل فإنّ الله سبحانه رحمة بعباده جعل لهم الأسماع و الأبصار و العقول و الأفئدة ليفقهوا و يميّزوا و ينتفعوا بمخلوقاته الأخرى.

ثالثا : تسخير الله الكون للإنسان و إسباغ النّعم عليه :

قال جلّ ذكره : أَلَمْ تَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةٗ وَبَاطِنَةٗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ. (4)

يخاطب الله تعالى عباده و يدعوهم إلى التّفكّر و التّدبّر في الكون، فهو سبحانه هو الّذي سخّر لهم ما في السّماوات و الأرض و أسبغ عليهم نعمه الظّاهرة و الباطنة الّتي لا تعدّ و لا تحصى، و مقابل هذا التّسخير و الإنعام نجد من النّاس من يجادل في الله بغير علم و لا مستند و لا حجّة و لا كتاب مأثور صحيح!!

1- سورة الحجّ 5
2- سورة التّين 4
3- سورة الإسراء 70
4- سورة لقمان 19

رابعا : إستخلاف الله للإنسان و تحميله للأمانة :

يخبر الله تعالى كذلك بإمتنانه على بني آدم بأن جعل لهم مرتبة السّادة في الكون و جعلهم خلفاء في الأرض و أمرهم بتوحيده و الإيمان به و القيام بالأعمال الصّالحات و النّظر في المخلوقات و حسن التصرّف في الخيرات ليتّخذوا منها وسائل تقويّ بها إيمانهم بخالقهم و تسعدهم في دنياهم و أخراهم.

قال جلّ ذكره : وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ. (1)

خامسا : الغايات من الخلق و التّكريم و التّسخير و الإستخلاف :

لقد إلتبست المفاهيم و تعدّدت التّفاسير في ماهية الوجود، و في مقاصد و غايات خلق الإنسان و تكريمه و تفضيله و إستخلافه في الأرض و تسخير الكون له، و خاصّة في عصرنا الحاضر الّذي إنتشرت فيه كثير من التيّارات الفكريّة الماديّة.

لقد كان الردّ حاسما على كلّ هذه التيّارات الهدّامة لأنّ كلّ سياقاتها الفكريّة تعتمد على الظّنون و الإفتراضات و التخمينات و لأنّها كذلك تنفي وجود الخالق سبحانه خاصّة و تنكر عالم الغيب عامّة !!

إذن لا سند و لا برهان و لا دليل للفكر الماديّ الإلحاديّ الهدّام.

و نقرّ و نؤكّد و نشهد أنّ الإنسان في المنظور الإسلاميّ هو ذلك الكائن الحيّ الّذي خلقه الله في أحسن تقويم و كرّمه أحسن تكريم و فضّله عن سائر مخلوقاته و سخّر له الكون للإنتفاع بنعمه و خيراته وإستخلفه في الأرض ليتحمّل الأمانة كاملة في الحياة الدّنيا و يكسب رضا الله في الآخرة.

و إنّ لخلق الإنسان و وجوده في هذا الكون مقاصد نبيلة و غايات سامية ليصبح لهذا الخلق و الوجود معنى و من مقاصده و غاياته الأساسيّة نذكر :

أوّلا : الإيمان بالله وحده و عدم الإشراك به و الإلتزام بطاعته و عبادته و كذلك بالإمتثال لأوامره و إجتناب نواهيه.

1- سورة البقرة 29

ثانيا : النّظر و التّأمّل و التفكّر في عظمة اللّه و قدرته على الخلق و الإيجاد و الإبداع لهذا الكون بمن فيه و بما فيه ليزداد اليقين و الثّقة بالخالق سبحانه.
ثالثا : تحمّل الأمانة و المسؤوليّة المتمثّلة في تعمير الكون و عدم إفساده.
رابعا : الإعتراف بنعم اللّه و آلائه الظّاهرة و الباطنة و الّتي لا تحصى على سائر مخلوقاته و شكره و حمده و الثّناء عليه بالقلب و اللّسان و الجوارح.
خامسا : التّعارف و التّحابب و التّعاون مع النّاس كافّة لإرساء قيم الخير و العدل و الحقّ.
قال جلّ جلاله آمرا عباده لتقواه و عبادته وحده : وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ. (1)
و في الحديث القدسيّ : يا ابنَ آدمَ تفرَّغْ لعبادتي أملأْ صدرَكَ غنًى وأسدُّ فقرَكَ وإن لا تفعَل ملأتُ يديْكَ شغلاً ، ولم أسدَّ فقرَكَ. (2)
و على قول الفاروق عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه : لَا يَعرِفُ الإسلام من لم يعرف الجاهليّة.
فمتى يتوقّف المجادلون و المعاندون و المتكبّرون عن غيّهم و يثوبون إلى رشدهم و يعودون إلى كتاب اللّه و سنّة رسوله لتحقيق الحقّ و العدل و الخير للإنسانيّة جمعاء؟!

1- سورة الذاريات 56-57-58
2- أخرجه أحمد و الترمذيّ و ابن ماجة

الفصل الخامس
علم التّوحيد أفضل العلوم و أرقاها

تمهيد :

كان طلب العلم زمن رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و صحابته الكرام، يشمل القرآن الكريم و السنّة المطهّرة حفظا و فهما و عملا بما جاء فيهما من عقائد و تشريعات.

و لمّا كثرت المسائل و تنوّعت النّوازل و تعدّدت الحوادث، و إتّسعت البلدان المفتوحة، و إختلط العرب بالعجم، عمد أهل العلم إلى تجميع المعارف و العلوم و تدوينها و تبويبها حسب وحدة الموضوع و بذلك تمايزت العلوم و الفنون من حيث أسماؤها و حدودها و موضوعاتها و غاياتها...

و بتعاقب الأزمنة و العصور، دُوّنت الكتب و الرّسائل، و وُضعت المؤلّفات و المصنّفات في شتّى العلوم و المعارف، نذكر أهمّها على سبيل الذّكر لا حصر: علم التّوحيد و الفقه و أصول الفقه و علوم القرآن و الحديث و السّيرة...

و أخرى كعلم الحساب و المنطق و الفلك و علوم الأرض و النّبات و الحيوان ... و غيرها

1. المبادئ الأساسيّة للإلمام بأيّ علم من العلوم :

للحصول على معرفة تامّة و دقيقة و شاملة لأيّ علم من العلوم، وضع العلماء منهجا للبحث يرتكز على جملة من القواعد أو المبادئ إعتبروها مداخل أساسيّة للإلمام بأيّ علم من العلوم، و إعتمدوها في بحوثهم و دراساتهم العلميّة، و هي عشرة مبادئ:

المبدأ الأوّل : الحدّ

و يُقصد به التّعريف الجامع لمسائل العلم و مباحثه، المانع من دخول غيره فيه.

المبدأ الثّاني : الموضوع

و هو المجال المحدّد الّذي يبحث فيه العلم، و الجهة الّتي تتوحّد فيها مسائله.

المبدأ الثّالث : الغاية أو الثّمرة

و المراد بها الفوائد الدّينيّة و الدّنياويّة الّتي يحصّلها دارس العلم و متعلّمه.

المبدأ الرّابع : الإستمداد

و المقصود به الرّوافد و المصادر و الأسباب العلميّة الّتي يستقي منها العلم مسائله و مطالبه.

المبدأ الخامس : الفضل

و يقصد به ما للعلم من منزلة و شرف و أهمّية بين العلوم.

المبدأ السّادس : الواضع

و المراد به أوّل من إبتدأ التّدوين و التّصنيف في العلم، و وضع أسسه و أرسى قواعده، كما يشمل تطوّر التّأليف في العلم و جميع مراحله.

المبدأ السّابع : الإسم

و يقصد بها الألقاب و الأسماء الّتي أطلقها أهل هذا العلم عليه لتمييزه عن غيره حتّى أصبحت أعلاما عليه.

المبدأ الثّامن : الحكم

و المراد به الحكم الشّرعيّ لتعلّم هذا العلم من بين الأحكام التكليفيّة الخمسة : الواجب و الحرام و الحلال و السنّة و المكروه.

المبدأ التّاسع : المسائل

و هي المطالب و الميادين الّتي يبحثها و يقرّرها العلم و الّتي تندرج تحت موضوعه.

المبدأ العاشر : النّسبة

و هي صلة العلم و علاقته بغيره من العلوم.

هذه هي المبادئ العشرة الّتي إعتمدها العلماء المحقّقون في بحوثهم و دراساتهم العلميّة، و قد جمعها الشّاعر في هذين البيتين :

مَبَادِئُ أَيِّ عِلْمٍ كَانَ حَدٌّ وَ مَوضوعٌ وَ غَايةٌ مُسْتَمَدٌّ

وَ فَضْلٌ وَاضِعٌ وَ إِسْمٌ وَ حُكْمٌ مَسَائِلُ نِسْبَةٌ عَشْرٌ تُعَدّ

2. مباحث علم التّوحيد العشرة :

جريا على سنن أهل العلم، و على ضوء هذه القواعد العشر، سنتناول بالبحث و التّمحيص علم التّوحيد حسب المباحث التّالية :

المبحث الأوّل : حدّ علم التّوحيد أو تعريفه :

التّوحيد لغة : مصدر من وَحَّدَ يُوَحِّدُ تَوْحِيدًا أي علم و إعتقد أنّ الشّئ واحد، و هو ضدّ التعدّد و الشّرك أو الإشراك. يقال : وَحَّدَ اللّه بمعنى علم و إعتقد بأنّ اللّه واحد أحد فرد صمد لا شريك له.

أمّا التّوحيد شرعا فهو العلم و الإعتقاد بوحدانيّة اللّه سبحانه و التّصديق به ذاتا و أسماء و صفات و أفعالا مع إفراده بالعبادة دون سواه.

أو هو العلم و الإيمان بأنّ اللّه واحد في ذاته العليا و أسمائه الحسنى و صفاته الفضلى و أفعاله العظمى، و هو سبحانه المتّصف بكلّ الكمال و المنزّه عن كلّ النقصان، لا مثيل و لا شبيه و لا نظير له في ذلك كلّه و لا معبود سواه.

و إذا أضيفت كلمة "العلم" إلى كلمة "التّوحيد" أصبحت مركّبا إضافيّا "علم التّوحيد" له المعنى التّالي : علم التّوحيد هو الإدراك التّامّ و التّصديق الجازم بجملة من العقائد المتعلّقة بالله تعالى و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و بالقضاء و القدر خيره و شرّه، مع القدرة على إثبات كلّ هذه العقائد بإيراد الحجج الباهرة و دفع الشّبه الباهتة.

هذا هو المراد من علم التّوحيد كما عرّفه علماء التّوحيد.

المبحث الثّاني : موضوع علم التّوحيد :

يبحث علم التّوحيد في نظر أئمّة أهل السنّة و الجماعة، في مسائل عقائديّة هامّة يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أقسام و هي :

القسم الأوّل : بيان حقيقة الإيمان و أركانه الستّة و هي :

- الإيمان بالله سبحانه و توحيده و عدم الإشراك به، و التّصديق التّام بأنّ اللّه تعالى ليس كمثله شيء لا في صفاته و لا في أفعاله، مع إفراده بالعبادة وحده دون سواه.
- الإيمان بالملائكة الأبرار و غيرها من مخلوقات اللّه الغيبيّة كالجنّ.

. الإيمان بالكتب المنزّلة على رسل اللّه الكرام.
.الإيمان بالأنبياء و الرّسل الّذين بعثهم اللّه المبشّرين بثواب اللّه و المنذرين من عقابه.
. الإيمان باليوم الآخر و ما يتعلّق به من أمور غيبيّة من بعث و نشر و حشر و حساب و جزاء و جنّة و نار...
. الإيمان بالقضاء و القدر خيره و شرّه.
القسم الثّاني : بيان حقيقة الكفر و الشّرك و النّفاق و الفسوق و المعاصي (الذّنوب) و الردّة و هي نواقض الإيمان.
القسم الثّالث : إيراد و ذكر الحجج و البراهين على أصول الدّين الستّة أو أركان الإيمان الستّة المذكورة سلفا، و دفع الشّبهات عنها.
و من علماء التّوحيد من قدّم تصنيفا آخر، و ذهب إلى القول بأنّ علم التّوحيد يتناول بالدّرس موضوعات ثلاثة و هي :
.الموضوع الأوّل : الإلاهيّات و هي كلّ المباحث المتعلّقة بالله ذاتا و أسماء و صفات و أفعالا...
. الموضوع الثّاني : النبوّات و هي كلّ المباحث الّتي تتعلّق بذوات الأنبياء و الرّسل الكرام من خصال و معجزات و وظائف التّبليغ و الدّعوة إلى اللّه...
.الموضوع الثّالث : الغيبيّات أو السّمعيّات و هي كلّ المباحث المتعلّقة بكلّ المسائل الغيبيّة الواردة عن طريق الوحي الإلاهيّ و عن طريق الإخبار بها و السّمع بها المنصوص عليها في كتاب اللّه و سنّة رسوله و الّتي يجب التّصديق بها كالملائكة و الجنّ و الرّسل و الكتب و أشراط السّاعة و اليوم الآخر و كلّ ما سيقع فيه...

المبحث الثّالث : أسماء علم التّوحيد :

من أكثر العلوم أسماء علم التّوحيد، و يدلّ ذلك على أهمّية هذا العلم و شرفه و فضله، و أهمّ هذه الأسماء نذكر ما يلي :
. علم التّوحيد : و هو أشهرها، و قد أطلق هذا الإسم عليه لأنّ مبحث وحدانيّة اللّه تعالى في ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله هو أهمّ مباحث هذا العلم.
. علم العقيدة : مصطلحا علم التّوحيد و علم العقيدة مترادفان عند أهل السنّة و الجماعة، و إنّما سمّي علم التّوحيد بعلم العقيدة بناء على الثّمرة المرجوّة منه و هي الإعتقاد السّليم و الإيمان الصّادق.

.علم الإيمان: لفظ الإيمان معناه التّصديق بجملة من العقائد باطنا و ظاهرا، و هو مصطلح أطلقه العلماء المحقّقون على علم التّوحيد، و يراد به التّصديق بمسائل العقيدة كلّها.

.علم أصول الدّين : هذا المصطلح مركّب إضافيّ و المعنى المستفاد منه هو أنّ الدّين قائم على أصول ستّة تسمّى كذلك أركان الإيمان أو أركان العقيدة و هي القواعد الكليّة الكبرى و العقائد الأساسيّة الّتي يجب على كلّ مكلّف ذكرا كان أو أنثى، الإعتقاد فيها إعتقادا جازما قبل إبتداء العمل بالأركان و الجوارح.

.الفقه الأكبر : سمّي علم التّوحيد بالفقه الأكبر لأنّ الأحكام العمليّة الفرعيّة تسمّى بالفقه الأصغر، إلّا أنّ المعلوم الأكبر هو معرفة ذات اللّه و أسمائه و صفاته و أفعاله.

و لعلم التّوحيد تسميات أخرى أطلقها بعض العلماء كعلم السنّة و علم الشّريعة... و غيرها.

و الجدير بالملاحظة كذلك أنّه لمّا نشأت المذاهب و الفرق العقائديّة. ظهرت تسميات جديدة لعلم التّوحيد أشهرها :

.علم الكلام : و سبب هذه التّسمية كثرة الكلام و الجدال بين العلماء و خاصّة في المسائل العقائديّة، لكن الكثير من علماء أهل السنّة و الجماعة كالأئمّة الأربعة: مالك و الشّافعيّ و أبو حنيفة و ابن حنبل... و غيرهم كرهوا هذه التّسمية و نهوا عن الخوض في المسائل العقائديّة، خوفا من الوقوع في الزّندقة أو الإبتداع أو الكفر و الّتي تؤدّي حتما إلى الخصومة و العداوة و البغضاء و الضّلالة و الفرقة بين المسلمين.

. علم الماورائيّات أو علم ما وراء الطّبيعة أو الميتافيزيقيا : و هي تسميات فلسفيّة أطلقت عل علم التّوحيد لأنّ موضوعها يبحث في المسائل الغيبيّة الماورائيّة أي ما وراء الطّبيعة.

المبحث الرّابع : حكم علم التّوحيد :

أعظم ما أمر اللّه به عباده هو الإيمان به سبحانه و توحيده و عدم الإشراك به و عبادته دون سواه.

قال تعالى : فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ. (1)

و قال جلّ جلاله : وَ قَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَ بِالوَالِدَينِ إِحْسَانًا. (2)

1- سورة محمّد 20
2- سورة الإسراء 23

و القضاء ههنا بمعنى الأمر و الأمر يدلّ على الوجوب، أي أنّ الله أمر و أوجب و ألزم عباده بطاعته و عبادته وحده، و بالإحسان إلى الوالدين و البرّ بهما.
و قد سئل رسول الله : أيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ قَالَ : أَنْ تَجْعَلَ لِلهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ. (1)
و في حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم : يا مُعاذُ، أَتَدْرِي ما حَقُّ اللّهِ علَى العِبادِ؟ وما حَقُّ العِبادِ علَى اللّهِ؟ قالَ: قُلتُ: اللَّهُ ورَسولُهُ أعْلَمُ، قالَ: فإنَّ حَقَّ اللّهِ علَى العِبادِ أنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ، ولا يُشْرِكُوا به شيئًا... (2)
لذا كان من أوكد الواجبات على المسلم (أو المسلمة) المكلّف شهادة أن لا إله إلّا الله و أنّ محمّدا رسول الله.
قال علماء العقيدة :"التّوحيد هو أوّل ما يُدْخَلُ به في الإسلام و آخر ما يُخْرَجُ به من الدّنيا، فهو أوّل واجب و آخر واجب"
المبحث الخامس : فضل علم التّوحيد :
أفضل و أشرف و أرقى و أسمى العلوم علم التّوحيد على الإطلاق، من حيث موضوعه و معلومه و الحاجة إليه. فمن حيث موضوعه فإنّ علم التّوحيد يهتمّ و يقرّ بتوحيد الله سبحانه ذاتا و أسماء و صفاتا و أفعالا، فهو جلّ و علا المتّصف بجميع صفات الجمال و الجلال و الكمال و المتنزّه عن جميع صفات النّقصان، و هو المتفرّد بالطّاعة و العبادة، فلا ربّ غيره و لا معبود سواه.
و من حيث معلومه، فإنّ معلوم علم التّوحيد هو مراد الله الشرعيّ الدّال عليه وَحْيُهُ و كَلَامُهُ الجامع لكلّ العقائد السّليمة الصّحيحة المتعلّقة بالإيمان بالله وحده و الإيمان بملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر و بالقضاء و القدر خيره و شرّه.
و من حيث الحاجة إليه، فإنّ سعادة البشر في الدّنيا و الآخرة متوقّفة على علم التّوحيد، فلا هناءة و لا طمأنينة إلّا بمعرفة العبد لربّه معرفة يقينيّة. قال جل ذكره : مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ. (3)
قال المفسّر الكبير ابن كثير في بيان هذه الآية الكريمة : " هذا وعد من الله لمن عمل صالحا، و هو العمل المتابع لكتاب الله تعالى و سنّة نبيّه صلّى الله عليه و سلّم،

1- رواه البخاري
2- أخرجه الشيخان
3- سورة النّحل 97

من ذكر أو أنثى من بني آدم، و قلبه مؤمن بالله و رسوله، بأن يحييه الله حياة طيّبة في الدّنيا، و أن يجزيه بأحسن ما عمله في الدّار الآخرة..." (1)
و سئل رسول الله : أيّ العمل أفضل ؟ قال :إيمان بالله و رسوله. (2)

المبحث السّادس : إستمداد علم التّوحيد :

يُقصد بالإستمداد هي المصادر و الرّوافد و الوسائل و الأدلّة الّتي يعتمد عليها علماء التّوحيد في بيان و إستنباط الأحكام و المبادئ العقائديّة و الشرعيّة و العلميّة.
و أهمّ هذه المصادر الّتي يستدلّ بها أهل السنّة و الجماعة في علم التّوحيد هي :

أوّلا : القرآن الكريم : و هو كلام الله المعجز المنزّل على خاتم الأنبياء و المرسلين محمّد صلّى الله عليه و سلّم بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السّلام، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا بالتّواتر، المتعبَّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة المختتم بسورة النّاس.
قال جلّ جلاله : إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا. (3)
و في الحديث الصّحيح قال رسول الله : تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسَّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَي أَبَدًا كِتَابُ اللَهِ وَ سُنَّتِي. (4)

ثانيا : السنّة النبويّة : و هي كلّ ما ورد على نبيّنا الكريم محمّد عليه أفضل الصّلاة و أزكى التسليم من أقوال و أفعال و تقريرات و أوصاف.
و قد جاءت السنّة المطهّرة مبيّنة و مفصّلة لكتاب الله. قال تعالى : وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ. (5)
و في الحديث الشّريف ورد قوله عليه الصّلاة و السّلام : تركتُكم على البيضاءِ لَيْلُهَا كنهارِها لا يزيغُ عنها بعدي إلا هالِكٌ. (6)

ثالثا : إجماع الأمّة : و هو إتّفاق العلماء المجتهدين من الأمّة الإسلاميّة في أيّ عصر من العصور على حكم شرعيّ بعد وفاة النبيّ عليه الصّلاة و السّلام.
قال سبحانه حاثّا الأمّة على الإجتهاد و الإستنباط بعد ردّ الأمر إلى الله و رسوله : وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا. (7)

1- تفسير ابن كثير مجلّد 2. ص 346
2- رواه البخاري و مسلم
3- سورة الإسراء 9
4- متّفق عليه
5- سورة النّجم 3
6- أخرجه أحمد و ابن ماجة
7- سورة النّساء 82

و قال عليه الصّلاة و السّلام : لَا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلَالَةٍ. (1)

رابعا : الفطرة السويّة : و هي فطرة اللّه الّتي فطر النّاس عليها و الإسلام دين الفطرة و هو الدّين القيّم الّذي أمر بتوحيد اللّه و عدم الإشراك به و إفراده بالعبادة دون سواه. قال سبحانه : فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. (2)

قال رسول اللّه : كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ ، كَمَثَلِ البَهِيمَةِ تُنْتَجُ البَهِيمَةَ هَلْ تَرَى فِيهَا جَدْعَاء. (3)

خامسا : العقل السّليم : و هو مصدر من مصادر المعارف الإجتهاديّة الّذي يحتاجه الفقيه المجتهد إلى تنبيهه و إرشاده إلى الأدلّة العقليّة إلى جانب الأدلّة النّقليّة و لأنّ الوحي لا يلغي العقل و لكن العقل لا يهتدي إلّا به. و الإسلام دين يدعو إلى التفكّر و التدبّر في خلق اللّه.

قال سبحانه : أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا. (4)

و قال عليه الصّلاة و السّلام : تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ وَ لَا تَفَكَّرُوا فِي اللَّهِ فَإِنَّكُمْ لَنْ تَقْدِرُوا قَدْرَهُ. (5)

و قد ورد في رسالة القضاء الّتي أرسلها عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه إلى أبي موسى الأشعريّ رضي اللّه عنه قوله : الفَهْمَ الفَهْمَ فيما تلجلج في صدرك، ممّا ليس في كتاب و لا سنّة، ثمّ أعرف الأشباه و الأمثال فَقِسْ الأمور عند ذلك.

المبحث السّابع : نسبة علم التّوحيد :

المراد بالنّسبة هي علاقة علم التّوحيد بغيره من العلوم الشّرعيّة الأخرى و صلته المتينة بها. و قد أجمع أئمّة أهل السنّة و الجماعة أنّ علم التّوحيد هو أصل كلّ العلوم الشّرعيّة و كلّها فروع له لإعتمادها و إرتباطها الوثيق به.

يقول الإمام السّفاريني في منظومته :

وَ بَعْدُ فَاُعْلَمْ أَنَّ كُلَّ عِلْمٍ كَالفَرْعِ لِلتَّوْحِيدِ فَاسْمَعْ نَظْمِي

1. متّفق عليه
2. سورة الرّوم 29
3. أخرجه الشيخان
4. سورة محمّد 5
5. رواه أبو نعيم في الحلية

المبحث الثّامن : واضع علم التّوحيد :

كلمة واضع جَمْعُهَا واضعون أي المدوّنون و المصنّفون و المؤلّفون في هذا العلم الجليل.

و قد مرّ علم التّوحيد في وضعه و تدوينه و تصنيفه و تأليفه بطورين :

الطّور الأوّل: طور الرّواية : إذ لم يكن الصّحابة في عهد رسول اللّه في حاجة إلى التّدوين و الكتابة في العلوم الشّرعيّة بصفة عامّة لأنّهم كانوا يتلقّون كلّ العلوم رواية عن رسول اللّه و كلّ ما يتعلّق بتوحيد اللّه و كتاب اللّه و سنّة رسول اللّه مشافهة و بطريقة مباشرة.

الطّور الثّاني : طور التّدوين و الكتابة : يمكن القول أنّ هذا الطّور بدأ في حياة التّابعين، حيث إبتدأ الإمام أبو بكر محمّد بن مسلم بن عبيد اللّه بن عبد اللّه بن شهاب الزّهريّ (المتوفّى سنه 123 للهجرة) في تدوين العلوم الشّرعيّة و خاصّة في علم التّفسير و علم الحديث، ثمّ تلاه الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت (ولد في الكوفة سنة 80 للهجرة و مات ببغداد سنة 150 للهجرة) الّذي بدأ الكتابة و التّصنيف في عقيدة أهل السنّة و الجماعة و ألّف كتابا سمّاه "الفقه الأكبر" حيث إشتمل على خمسة أبواب : الأوّل في القدر، و الثّاني و الثّالث في المشيئة و الرّابع في الردّ على من يُكَفِّرُ بالذّنب و الخامس في الإيمان.

ثمّ تلاه الإمام مالك بن أنس (ولد سنة 93 للهجرة بالمدينة المنوّرة و توفّي سنة 179 للهجرة) الّذي ألّف كتاب "الموطّأ" حيث رتّب الأحاديث النبويّة على أبواب تتعلّق بالتّوحيد مثل : باب الإيمان و باب التّوحيد و باب العلم...

ثمّ تتالت المصنّفات و المؤلّفات و تعدّدت في علم التّوحيد و غيره من العلوم النّقليّة و العقليّة قديما و حديثا.

المبحث التّاسع : غاية علم التّوحيد :

كلمة غاية جمعها غايات و المقصود بها الفوائد و الثّمار الّتي يجنيها المؤمن من معرفة علم التّوحيد. و قد قسّم علماء التّوحيد على نهج أهل الكتاب و السنّة هذه الفوائد و الثّمار إلى نوعين أساسين هما :

النّوع الأوّل : المنافع الدّنياويّة و الأخرويّة :

إنّ علم التّوحيد بإعتباره يؤدّي إلى معرفة اللّه معرفة يقينيّة، يثمر إيمانا خالصا بالله وحده و عدم التّعلّق بغيره و عبادته دون سواه و إمتثالا لأوامره. و إجتنابا لنواهيه، و طمأنينة للقلب و راحة للبال و رضا بقدر اللّه خيره و شرّه، و شعورا بالسّعادة في الحياة الدّنيا و في الآخرة، و إستعدادا للقاء اللّه جلّ ذكره بنفس مطمئنّة راضية.

قال سبحانه : الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ، ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ. (1)

و في الحديث الصّحيح قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم : عَجَباً لأمْرِ الْمُؤْمِنِ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إلاَّ للْمُؤْمِن: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْراً لَهُ، وَإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خيْراً لَهُ،وليسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إلَّا لِلمُؤْمِنُ. (2)

النّوع الثّاني : تقوية الإيمان بإزدياد طلب علم التّوحيد :

كلّما إزداد المؤمن الصّادق القويّ معرفة اللّه معرفة يقينيّة، إزداد إيمانه و تصديقه و إخلاصه و تقرّبه من الخالق جلّ جلاله و عظم سلطانه.

قال تعالى : يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ. (3)

فكلّ مرء آمن بالله و رسوله و إزداد علما نافعا و معرفة يقينيّة بالله و رسوله، رفع اللّه قدره و نشر ذكره و كان مع النّبيّين و الصدّيقين و الشهداء و الصّالحين و حسن أولئك رفيقا.

و ورد في الحديث الصّحيح قوله عليه الصّلاة و السّلام : أَلَا وَإنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ. (4)

و القلب هو محلّ النّوايا، فلنصدق النّوايا مع اللّه لنكون من عباد الرّحمان.

1- سورة الرّعد 30.29
2- رواه مسلم في صحيحه
3. سورة المجادلة 11
4. أخرجه البخاري و مسلم

المبحث العاشر : مسائل علم التّوحيد :

لفظ «مسألة» جمعها «مسائل» و هي مشتقّة من السّؤال و الطّلب الخبريّ، يُبَرْهِنُ عنه في العلم بدليل أو أكثر. و المراد بمسائل علم التّوحيد هي المباحث الّتي تتضمّن معرفة الأحكام الشّرعيّة العقائديّة كأحكام الألوهيّة و عصمة الرّسل و قضايا القضاء و القدر خيره و شرّه و كلّ ما يتعلّق باليوم الآخر... و غيرها من المسائل الغيبيّة.

و قد ألّف و صنّف علماء التّوحيد على نهج السّلف الصّالح في كلّ هذه المسائل مطوّلات و مختصرات و منثورات و منظومات من زمن التّابعين رضوان الله عليهم إلى يوم النّاس هذا فجزاهم الله خير الجزاء.

و صفوة القول، فإنّ الدّارس لعلم التّوحيد، و العارف بكلّ مسائله تحصل له منافع و فوائد دنياويّة و أخرويّة شتّى، من تصحيح للنيّة و الإعتقاد، و كسب لعلم العقيدة بأدلّته الشرعيّة الّتي ترشده إلى الحقّ و الصّواب و تلزمه به، و تثبت إيمانه الخالص بدرء الأباطيل و الشّبهات، و تخرجه من دائرة التّقليد الأعمى إلى مرتبة اليقين الأسمى، و تكسبه حياة طيّبة في معاشه و معاده... كلّ ذلك مرضاة لله و فوزا بجنّاته.

قال سبحانه : يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَادْخُلِي جَنَّتِي. (1)

و عن أمامة أنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال لرجل : قلْ : اللهم إني أسألُكَ نَفْسًا مطمئنةً ، تُؤْمِنُ بلِقائِكَ ، وتَرْضَى بقضائِكَ ، وتَقْنَعُ بعَطائِكَ. (2)

1- سورة الفجر 32.31.30
2- أخرجه الحافظ ابن عساكر

الفصل السّادس : في الإلاهيّات [المبحث الأوّل]
الإيمان بالله وحده أعظم أصول الدّين

تمهيد :

بعد البحوث المعمّقة و الدّراسات العلميّة الدّقيقة، أقرّ المؤرّخون و علماء الأديان و الآثار، أنّ الرّسوم و النّقوش و القبور و المعابد و المخطوطات المكتوبة... و غيرها، هي تعبيرات واضحة جليّة على تعلّق الإنسان الأوّل بمعتقدات و طقوس دينيّة متعدّدة منذ بدء الخليقة و على مرّ العصور الّتي عرفتها الإنسانيّة.

كذلك أكّدوا أنّ ظاهرة التديّن ظاهرة بشريّة فطريّة في الطّبع الإنسانيّ، و أنّ الدّين بصفة عامّة قديم قدم الإنسان، و أنّ حاجة الإنسان إليه حاجة ضروريّة ملحّة كحاجته للهواء و الماء و المأكل و المسكن و الملبس...

قال عبّاس محمود العقّاد في كتابه "اللّه" : في الطّبع الإنسانيّ جوع إلى الإعتقاد كجوع المعدة إلى الطّعام.

و نظرا لقصر حياة الإنسان و تقلّبه فيها بين الضّعف و القوّة و الجهل و المعرفة و قلّة التّجربة و عجز العقل على إدراك كلّ الحقائق و المعارف الكونيّة، و خاصّة كلّ ما يتعلّق بالأمور الغيبيّة الماورائيّة، فإنّ اللّه جلّ و علا و رحمة بخلقه، بعث النبيّين و المرسلين و أنزل عليهم رسالات سماويّة خاصّة لكلّ قوم من الأقوام منذ خلق آدم عليه السّلام.

و هو أبو البشر و أوّل الأنبياء و الرّسل. و ختمها برسالة سماويّة عامّة شاملة. و هي رسالة الإسلام. أنزلها اللّه سبحانه على خاتم النبيّين و المرسلين، ترشد النّاس كافّة إلى معارف يقينيّة ثابتة تدعوهم إلى توحيد اللّه جلّ جلاله و تأمرهم بجملة من القيم الأخلاقيّة و الأحكام الشرعيّة تنظّم حياتهم الدّينيّة و الدّنياويّة و تسعدهم في معاشهم و معادهم.

قال اللّه تعالى في محكم تنزيله : وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَٰلَةُ فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ. (1)

1- سورة النّحل 36

و قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم : يا ابنَ آدمَ إنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأرضِ خطَايا ثُمَّ لَقِيْتَني لاتُشْرِكُ بِيْ شَيْئًا لأَتيْتُكَ بِقِرَابِهَا مَغْفِرَةً. (1)
إنّ أوّل ما يخاطب الله به النّاس من أمور الدّين هو توحيد الله فهو حقّ الله على عباد الله.
و إنّ المتأمّل في هذا الوجود و المتدبّر في كلّ الموجودات، يدرك حتما واجب الوجود و هو الله الواحد الأحد الفرد الصّمد الخالق لهذا الكون في تناسق و نظام و إبداع، فلا ربّ سواه و لا معبود غيره.

1. تطوّر فكرة الألوهيّة عند القبائل و الشّعوب و الأمم :

بمرور الأزمنة و العصور، زاغ البشر عن عقيدة التّوحيد الخالص لله الواحد الأحد و سرعان ما تحوّلت إلى عقائد متعدّدة شركيّة و كفريّة. فماذا عبدت القبائل و الشّعوب و الأمم السّابقة و اللّاحقة بعد هذا الزّيغ و الضّلال؟ و ما هي أشهر آلهتهم الّتي إتّخذوها من دون الله سبحانه؟
و ما هي أهمّ معبوداتهم و معتقداتهم الّتي آمنوا بها عبر العصور السّالفة و الأزمنة الحاضرة و الحضارات المتعاقبة ؟
هذه فكرة إجماليّة عن أشهر الآلهة و أهمّ المعبودات و المعتقدات الّتي عرفتها الإنسانيّة عبر أجيال و أجيال :
أوّلا : عبادة الأصنام و التّماثيل لدى المصريّين القدامى و البابليّين و الرّومان و اليونان و القبائل الإفريقيّة و القبائل العربيّة في الجاهليّة !!
ثانيا : عبادة النّور و الظّلمة و هي عبادة تعتمد على ثنائيّة : إلاه الخير أو النّور و يسمّى "أهورمازدا" و إلاه الشرّ أو الظّلمة و يسمّى "أهرمان"، و ظهرت هذه العبادة لدى الفرس قديما!!
ثالثا : عبادة الأشخاص و الحكماء : أمثال "لوتس" مؤسّس "التّاويّة" و تلميذه "كونفوشيوس" مؤسّس "الكونفوشيوسيّة" لدى الصّينيّين و اليابانيّين و "براهما" مؤسّس "البراهميّة" و "بوذا" مؤسّس "البوذيّة" في بلاد الهند !!
رابعا : عبادة الأشجار و الحيوانات كالبقرة المقدّسة و العقرب... و المظاهر الطّبيعيّة كالمطر و الرّيح و الشّمس و القمر و الجبال و الأنهار... و خاصّة في

1- حديث قدسيّ أخرجه التّرمذيّ

بلاد الهند، و قد بلغ عدد آلهتهم إلى أكثر من 330 مليون إلاه !!
خامسا : عقيدة اليهود : يعتقد اليهود إلى يوم النّاس هذا أنّ لهم إلاه خاصّ بهم يسمّى "يهوا" و أنّهم شعب اللّه المختار، أمّا بقيّة الشّعوب الأخرى و يسمّونهم "الأُمِيُّونَ" فلهم آلهة أخرى و هم عبارة عن أرقّاء و عبيد في خدمة اليهود!!
سادسا : عقيدة النّصارى : يعتقد النّصارى أو المسيحيّون اليوم أنّ اللّه و إن كان واحدا إلّا أنّه يتركّب من أقانيم ثلاثة و هي : الأب و الإبن و روح القدس و هي عقيدة التّثليث و يرمزون إليها بالصّليب، و يقولون : اللّه واحد في ثلاثة أو ثلاثة في واحد!!
سابعا : فكرة الألوهيّة عند الشيوعيّين : يعتقد الشيوعيون اليوم أنّ فكرة الألوهيّة فكرة وهميّة، فلا وجود لإلاه في الكون، و الوجود الحقيقيّ لا يكون إلّا للمادّة، و إنّ أيّ دين من الأديان هو أفيون للشّعوب، و أنّ اللّه قد مات فهي عقيدة تنبني على الكفر و الإلحاد أساسا !!
ثامنا : عقيدة المسلمين : الإسلام دين ربّانيّ ينبني أساسا على عقيدة التّوحيد الخالص، و هو الإعتقاد الجازم و التّصديق الكامل و العلم التّامّ بأنّ اللّه عزّ و جلّ واحد أحد فرد صمد في ذاته العليا و أسمائه الحسنى و صفاته الفضلى و أفعاله العظمى، و هو سبحانه المتّصف بجميع صفات الجلال و الجمال و الكمال و المنزّه عن جميع صفات النّقصان، فلا شريك و لا ندّ و لا شبيه للخالق و لا ربّ غيره و لا معبود سواه.
و الإسلام كذلك هو دين اللّه الّذي أوصى بتعاليمه في أصوله و شرائعه إلى خاتم الأنبياء و الرّسل و هو محمّد عليه الصّلاة و السّلام، و كلّفه بتبليغه للنّاس كافّة و دعوتهم إليه ، و قد بلّغ الرّسالة و أدّى الأمانة و نصح للأمّة و جاهد في اللّه حقّ جهاده.
و الإسلام أيضا هو الدّين السّماويّ الخاتم لكلّ الأديان و النّاسخ لها و المهيمن عليها و الّتي حُرِّفَتْ على مرّ العصور و الأزمان.
قال سبحانه في محكم التّنزيل : وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. (1)
و قال رسول اللّهَ صلّى اللّه عليه و سلّم : أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ ، لَا نَبِيَّ بَعْدِي. (2)

1- سورة سبأ 28
2- متّفق عليه

2. الأدلّة و البراهين على وجود اللّه و وحدانيّته سبحانه :

إنّ معرفة اللّه جلّ جلاله و جماله و كماله هي أسمى المعارف و أجلّها، فهي الأساس الّذي تقوم عليه الحياة الرّوحيّة كلّها، و هي الأصل الأوّل من أصول الدّين الّذي تتفرّع عنه الأصول الأخرى، و هي الرّكن الأعظم من أركان الإيمان الستّة الّتي تنبني عليها العقيدة الإسلاميّة و هي : الإيمان بالله وحده و بكتبه و ملائكته و رسله و اليوم الآخر و بالقضاء و القدر خيره و شرّه. لذلك إهتمّ الأئمّة المسلمون قديما و حديثا، و خاصّة علماء التّوحيد بمبحث "الإلاهيّات" أيّما إهتمام لإثبات وجود الخالق سبحانه.

قال ابن سينا : "إنّ معرفة اللّه هي أفضل علم بأفضل معلوم"

و للردّ على المشكّكين و المشركين و المنكرين للخالق فرارا من عبادته و طاعته، و تنصّلا من عقائده و تشريعاته، و إشباعا لشهواتهم و أهوائهم و نزواتهم دون قيود أو شروط يلتزمون بها، فإنّ العلماء المحقّقين صنّفوا العديد من الكتب و المؤلّفات في علم التّوحيد و غيره من العلوم و قدّموا الكثير من الأدلّة و البراهين و الشّواهد لإثبات وجود اللّه الواحد و ما يجب له سبحانه.

و يمكن تقسيم هذه الأدلّة و البراهين و الشّواهد إلى صنفين :

الصّنف الأوّل : الأدلّة و البراهين و الشّواهد العقليّة :

و لها عدّة وسائل و طرق أهمّها :

الطّريق الأوّل : النّظر العقلي أو التّفكّر :

إنتهج هذا الطّريق العديد من الفلاسفة و المفكّرين و علماء الكلام، و إنتهوا إلى فرضيّات ثلاث و هي :

. <u>الفرضيّة الأولى و الردّ عليها :</u> أن يكون خَلْقُ هذا الكون و صدوره من العدم فلا خالق له، و هذه الفرضيّة باطلة من أساسها، لأنّ العقل البشريّ لا يتصوّر أن يوجد معلول بدون علّة أو مسبّب دون سبب أو نتيجة بدون مقدّمات.

قال سبحانه ردّا على القائلين بالعدميّة : أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ، أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ. (1)

1- سورة الطّور 34.33

و قد أقام الإمام أبو حنيفة الحجّة على قوم زنادقة أنكروا وجود الخالق سبحانه فقال لهم متسائلا : "أخبروني عن سفينة في دجلة تذهب فتمتلئ بالطّعام و المتاع و غيره بنفسها، و تعود بنفسها، فتُرْسَى بنفسها، و تفرغ و ترجع، كلّ ذلك من غير أن يدبّرها أحد ؟! قالوا هذا محال، لا يمكن أبدا!! فقال لهم : إذا كان هذا محالا من سفينة، فكيف في هذا العالم كلّه عُلْوِهِ و سُفْلِهِ !!"

. الفرضيّة الثّانية و الردّ عليها : أن يكون خَلْقُ هذا الكون و صدوره صدفة أو ضرورة أو طبيعة، و هذه الفرضيّة باطلة أيضا، لأنّه يستحيل أن ينبثق عن الصّدفة أو الضّرورة أو الطّبيعة كون دقيق في نظامه، بديع في إحكامه.

يقول تعالى منبّها للعباد على قدرته العظيمة في الخلق و التّدبير و الإبداع : أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ، وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ، تَبْصِرَةً وَ ذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ. (1)

و قال سبحانه أيضا : إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ. (2)

فهل من المعقول أن نقول : أنّ الصّدفة أو الضّرورة أو الطّبيعة هي الّتي خلقت عوالم الإنسان و الحيوان و النّبات و الجماد و غيرها من المخلوقات و الموجودات بهذه الدقّة و النّظام و الإبداع ؟! أو نقول : أنّها هي الّتي خلقت و أنشأت و أوجدت هذا الكون الفسيح بمن فيه من إحكام و تدبير و حسن تقدير؟!

. الفرضيّة الثّالثة : "للكون إلاه واحد" : أن يكون ثمّة خالق واحد أوجد هذا الكون و أنشأه و دبّره و قدّره و أبدعه هذا الخالق الموجود و المنشئ و المدبّر و المقدّر و المبدع هو اللّه جلّ في علاه في المنظور الإسلامي.

هذا ما إهتدى إليه العقل الإنسانيّ السّليم بعد طول نظر و تدبّر و تفكّر في ملكوت السّماوات و الأرض الشّاهد على وحدانيّة الخالق و قدرته المطلقة و عظيم سلطانه.

و هذه هي عقيدة التّوحيد الّتي أرشد إليها جميع أنبياء اللّه و رسله و بلّغوها إلى النّاس كافّة منذ بدء الخليقة.

و قد نبّه اللّه سبحانه كلّ خلقه في كتابه العزيز على قدرته الواسعة و عظيم سلطانه، و أنّه الّذي لا نظير و لا ندّ و لا شبيه له و أنّه على ما يشاء قادر عظيم.

1- سورة ق 6-7-8
2. سورة القمر 49

و من الآيات القرآنيّة الدالّة على عظمته سبحانه قوله: وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ.(1)
و قد أنشد الشّاعر أبو العتاهية قائلا :

فوا عجبا كيف يُعْصَى الإله أم كيف يجحده الجاحد
و في كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد

و قال العلّامة ابن القيّم الجوزيّة في كتابه "طريق الهجرتين" : " اللّه هو الأوّل الّذي إبتدأت منه المخلوقات، و الآخر الّذي إنتهت عبوديّتها و إرادتها و محبّتها، فليس وراء اللّه شيء يُقْصَدُ و يُعْبَدُ و يُتَأَلَّهُ، كما أنّه ليس قبله شيء يَخْلُقُ و يَبْرَأُ، فكما كان واحدا في إيجادك فأجعله واحدا في تأليهك..."

الطّريق الثّاني : العلم و التدبّر في الآفاق و الأنفس :

الآثار الدّالّة على وجود اللّه و عظمة الخالق في هذا الكون كثيرة، مبثوثة في الآفاق و الأنفس و غيرها من المخلوقات المنظورة و غير المنظورة.
و إنّ المتأمّل فيها، ينبهر بروعة جمالها و دقّة نظامها، و عظمة بديع تناسقها و جميل إنسجامها، و هي كلّها في قبضة اللّه جلّ و علا و تحت سلطانه يتصرّف فيها بحكمته و حسن تدبيره، فما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن.
قال تعالى مقرّرا أنّه على كلّ شيء قدير و شهيد : سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ، أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (2)
و لو كان لهذا الكون أكثر من خالق واحد و أكثر من موجد واحد لإختلّ نظامه و إضطرب إحكامه و فسدت سننه فقد أخبر سبحانه عباده أنّه لو كان في الوجود آلهة غيره لفسدت السّماوات و الأرض و لذهب كلّ إله بما خلق و لعلا بعضهم على بعض.
قال تعالى : لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ، لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ. (3)
فالله وحده هو الحاكم الّذي لا معقّب لحكمه، و لا يعترض عليه أحد لعظمته و جلاله و كبريائه و عدله.
يقول العالم أينشتاين صاحب نظريّة النسبيّة: «إنّ الشخص الّذي يعتبر حياته و حياة غيره من المخلوقات عديمة المعنى، ليس تعيسا فحسب، و لكنّه غير مُؤَهَّلٍ للحياة.»

1- سورة فصّلت 36
2- سورة فصّلت 52
3- سورة الأنبياء 23،22

الطّريق الثّالث : التفكّر في الواقع و التّجارب الذّاتيّة و الإنسانيّة :

إنّ الوقائع المعيشيّة و التّجارب الذّاتيّة و الإنسانيّة الّتي مرّ بها الإنسان عبر العصور و الأزمان، دفعت به إلى التفكّر في الوجود و إلى الإعتقاد بقوّة غيبيّة عظمى تنير له سبل الحياة و العيش الكريم و تهيؤه إلى يوم المعاد بعد الممات.

هذه القوّة الغيبيّة العظمى هي اللّه جلّ جلاله و جماله و كماله الرّحيم بجميع مخلوقاته منذ بدء خلقه. و تتجلّى رحمته الواسعة بخلقه في مظاهر شتّى منها :

. بعثة الأنبياء و الرّسل لهداية النّاس كافّة.

. إغداق النّعم و الخيرات الظّاهرة و الباطنة عليهم.

. تفريج كرباتهم و شفاء أسقامهم و دفع البلاء عنهم...

قال جلّ ذكره : أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ. (1)

و يقول العالم سيسل هامان في كتابه "اللّه يتجلّى في عصر العلم" : "لا بدّ أن يكون وراء كلّ ذلك النّظام الكونيّ، خالق أعلى، فليس ممّا يقبله العقل أن يكون هنالك نظام أو قوانين دون أن يكون وراءها عقل أعلى و منظّم و مبدع، و كلّما وصل الإنسان إلى قانون جديد فإنّ هذا القانون ينادي قائلا : إنّ اللّه هو خالق و ليس الإنسان إلّا مستكشفا".

الصّنف الثّاني : الأدلّة و البراهين و الشّواهد النّقليّة :

تضمّن القرآن الكريم و السنّة النبويّة أدلّة و براهين و شواهد كثيرة لإثبات وجود اللّه عزّ و جلّ أهمّها :

الدّليل الأوّل : الوجدان الفطري و الإحساس الباطني :

و هو ذلك الشّعور المغروس في النّفس الإنسانيّة بوجود اللّه و عظمته، و المعبّر عنه "بالغريزة الدّينيّة" الّتي فطر اللّه النّاس عليها.

قال تعالى : وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَا إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. (2)

1- سورة لقمان 19
2- سورة يونس 12

و في الحديث الصّحيح : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم : عجِبْتُ لأمْرِ المؤمِن، إنَّ اللَّهَ لا يَقْضي له قَضاءً إلَّا كان خيرًا له، إنْ أصابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكانَ خَيْرًا لَه، وإنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا له. (1)

و قد عبّر عن هذا الوجدان الفطريّ الفيلسوف الفرنسي "ديكارت" أحسن تعبير حيث قال : "إنّي مع شعوري بنقص ذاتيّ، أحسّ في الوقت نفسه بوجود ذات كاملة، و أراني مضطرّا إلى إعتقادي بأنّ هذا الشّعور قد غرسه في ذاتي تلك الذّات الكاملة المتحلّية بجميع صفات الكمال و هي اللّه"

الدّليل الثّاني : بعثة الرّسل و إنزال الرّسالات السّماويّة :

إنّ جميع الأنبياء و المرسلين من آدم إلى محمّد عليهم الصّلاة و السّلام نادوا في النّاس و دعوا في رسالاتهم السّماويّة بأنّ لهذا الكون ربّا واحدا حكيما عظيما، و أنّه من الواجب الإيمان و التّصديق به تصديقا جازما و عبادته دون سواه.

قال سبحانه : وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ. (2)

و قد سئل النبيّ : أيُّ ذَنْبٍ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قال : أَنْ تَجْعَلَ للهِ نِدًّا وَ قَدْ خَلَقَكَ. (3)

الدّليل الثّالث : معرفة اللّه ذاتا و أسماء و صفات و أفعالا :

إنّ معرفة اللّه التّامة تقتضي من عباده التّصديق الخالص بذات اللّه العليا و أسمائه الحسنى و صفاته الفضلى و أفعاله العظمى، و هو سبحانه المتفضّل عليهم بالخلق و الرّزق و بجميع نعمه الظّاهرة منها و الباطنة.

يرشد اللّه عباده إلى الإستدلال على توحيده و إفراده بالعبادة، فهو سبحانه الخالق الرزّاق جاء في محكم التّنزيل : يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ. (4)

و جاء في الحديث الشّريف قوله عليه الصّلاة و السّلام : إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ خلقَ خلقَهُ في ظُلمةٍ ، فألقى عليهم من نورِهِ ، فمَن أصابَهُ من ذلِكَ النُّورِ اهتدى ، ومن أخطأَهُ ضلَّ، فلذلِكَ أقولُ : جَفَّ القلمُ على عِلمِ اللَّهِ . (5)

1- رواه الشيخان
2- سورة الأنبياء 25
3. رواه البخاري
4. سورة فاطر 3
5. رواه أحمد و البزّار

3. فوائد و ثمرات التّوحيد الخالص :

للعقيدة الإسلاميّة، عقيدة التّوحيد الخالص فوائد عدّة و ثمرات جمّة، صنّفها العلماء المحقّقون إلى صنفين :

الصّنف الأوّل : الفوائد و الثّمرات الدّنياويّة :

أوّلا : ولاية اللّه الخاصّة لعباده المؤمنين :

قال سبحانه : اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ، أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ، هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. (1)

فهو سبحانه وليّ عباده المؤمنين، يخرجهم من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، و من ظلمات الجهل إلى نور العلم و من ظلمات المعاصي إلى الطّاعات و من ظلمات الغفلة إلى نور اليقين.

و جاء في الدّعاء المأثور : اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ. (2)

ثانيا : محبّة اللّه و رسوله لعباده المتّقين :

قال تعالى : بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَاتَّقَىٰ فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ. (3)

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم : إِنَّ اللَّهَ إذا أَحَبَّ عَبْدًا دَعا جِبْرِيلَ فقالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلانًا فأحِبَّهُ، قالَ: فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنادِي في السَّماءِ فيَقولُ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّماءِ، قالَ ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ. (4)

فقد وعد اللّه عباده المتّقين بمحبّته و محبّة رسوله و أهل السّماء لأنّهم إستقاموا على التّوحيد، و نبذوا الشّرك بأنواعه.

ثالثا : إستخلاف اللّه و تمكينه و نصرته لعباده المخلصين :

إذا أقام العباد دين اللّه و أخلصوا اللّه في سرّهم و علانيّتهم فإنّ اللّه يقوّيهم و يستخلفهم في الأرض و يمكّن لهم و ينصرهم، و هي سنّة إلاهيّة ماضية نجدها في قصص شتّى من كتاب اللّه العزيز.

قال سبحانه : اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ. (5)

1- سورة البقرة 256
2- أخرجه النّسائي و أحمد
3- سورة آل عمران 75
4- رواه مالك و البخاري و مسلم
5- سورة الأعراف 127

أي العاقبة الحسنة ستكون للعباد بإرث الأرض شريطة أن يكونوا من المتّقين بإقامة شرع اللّه في الأرض. و سنّة اللّه ماضية في نصر من ينصر دينه كما قال تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ. (1)

رابعا : إكتساب الأمّة للعزّة و الشّرف :

لا تستمدّ الأمّة الإسلاميّة عزّتها و شرفها إلّا إذا تمسّكت بدين اللّه و عملت على تطبيقه في جميع نواحي الحياة.

قال سبحانه : وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ. (2)

كما قال عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنه : إِنَّا كُنَّا أذلَّ قوم، فأعزَّنا اللّه بِالإِسْلَامِ، فَمَهْمَا نَطْلُبُ العِزَّةَ بِغَيْرِ مَا أَعَزَّنَا اللَّهُ بِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ. (3)

خامسا : كسب البركة و رغد العيش :

قال تعالى : وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. (4)

هذه الآية الكريمة تَعِدُ المؤمنين المستجيبين لشرع اللّه بالبركات و الخيرات و الحياة الطّيّبة ما حقّقوا معنى الإيمان و التّقوى.

قال الحسن البصريّ رحمه اللّه :" المؤمن يعمل بالطّاعات و هو مشفق وجل خائف، و الفاجر يعمل بالمعاصي و هو آمنٌ ".

الصّنف الثّاني : الفوائد و الثّمرات الأخرويّة :

أوّلا : رضوان من اللّه و الفوز بجنّاته :

قال سبحانه : وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ، وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ، ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. (5)

هذا وعد اللّه لعباده المؤمنين : رضوان منه سبحانه، و جنّات و خيرات و نعيم مقيم. و كما قال رسول اللّه عليه أفضل الصّلاة و أزكى التّسليم : إنَّ اللّه -عزَّ وجل- يقول لأهل الجنة: يَا أَهْلَ الجَنَّة، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَى يَا رَبَّنَا وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟!

1- سورة محمّد 8
2- سورة المنافقون 8
3- أخرجه الحاكم
4- سورة الأعراف 95
5- سورة التّوبة 73

فَيَقُولُ: أَلاَ أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُونَ: وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أبدًا. (1)

ثانيا : تكفير الذّنوب و إجزال الثّواب :

قال جلّ ذكره : ذَٰلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا. (2)

هذا إخبار من الله لعباده الصّالحين : ثمار التّقوى و العمل الصّالح هي مغفرة الذّنوب و إجزال المثوبة و الأجر من ربّ العالمين على عباده المتّقين.

و عن عبادة ابن الصّامت رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال و حوله جماعة من أصحابه : بايعُونِي علَى أن لا تُشْرِكُوا باللهِ شيئًا ، ولا تَسْرِقُوا ، ولا تَزْنُوا ، ولا تقتُلُوا أولادَكُم ، ولا تأتوا ببهتانٍ تفتَرُونَهُ بينَ أيدِيكُم وأرجلِكُم ، ولا تعْصُوا فِي معروفٍ ، فمَنْ وَفَّى منكُم فأَجْرُهُ على اللهِ ، ومَنْ أَصَابَ مِن ذلِكَ شيئًا فعُوقِبَ بهِ في الدُّنْيَا فهو كَفَّارَةٌ ، ومن أصابَ مِن ذلكَ شيئًا ثم ستَرَهُ اللهُ فهو إلى اللهِ ، إن شاءَ عفا عنهُ ، وإن شاءَ عاقَبَهُ. (3)

ثالثا : مرافقة النّبيّين و الصدّقين و الشّهداء و الصّالحين في جنّات النّعيم :

قال عزّ و جلّ : وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا، ذَٰلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ عَلِيمًا. (4)

فكلّ من أطاع الله و رسوله يرقى مع هذه الصّحبة المباركة في الفردوس الأولى لأنّ النبيّين و الصّدّيقين و الشّهداء و الصّالحين هم خير من وحّدوا الله و أطاعوه ظاهرا و باطنا.

رابعا : حصول البشارة بكرامة الله و ضمان الأمن و الإستقرار :

قال سبحانه : يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ. (5)

تتضمّن هذه الآية الكريمة بشارة كبرى بكرم الله و فضله على عباده المؤمنين ذكورا و إناثا، و يخبرهم بأنّهم يمشون في دنياهم و أخراهم بنور علمه و إيمانه في سكينة و سعادة تامّتين.

1- رواه مالك و الشّيخان
2- سورة الطّلاق 5
3- رواه البخاري و مسلم
4- سورة النّساء 68-69
5- سورة الحديد 12

خامسا : الفوز و الفلاح و الهناءة التّامّة في الدّارين :

قال تعالى : مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ. (1)

إذن المؤمن الصّادق ينعم بالرّاحة و السّعادة التّامّة في دنياه، و إذا مات و صار إلى قبره أصبح في روضة من رياض الجنّة، فإذا قامت القيامة كان مستقرّهُ جنّات الخلد، و بذلك تكتمل النّعمة و تتمّ المنّة من المنعم الرّحمان الرّحيم على عباده المتّقين.

قال بعض السّلف الصّالح : "ما طابت الدّنيا إلّا بتوحيد اللّه، و ما طابت الآخرة إلّا بجنّته، و النّظر إليه."

جعلنا اللّه من عباده الموحّدين المخلصين و أوليائه الصّالحين المتّقين، يا اللّه يا ربّ العالمين يا أرحم الرّاحمين.

"رَّبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ، رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ." (2)

4- سورة النحل 97

1- سورة آل عمران 193-194

الفصل السّابع : في الإلاهيّات [المبحث الثّاني]
معرفة الله سبحانه ذاتا و أسماء و صفات و أفعالا أسمى المعارف

تمهيد :

هذا المبحث من أهمّ المباحث في الكتاب على الإطلاق، لأنّ موضوعه يدور حول الحديث عن اللّه جلّ و علا ذاتا و أسماء و صفات و أفعالا، و التفقّه و التّدقيق فيها من كلّ الجوانب.

و هو باب شريف من العلم، بل هو الفقه الأكبر، و هو خير ما سعى إليه أولو التُّقَى و النُّهى، لأنّه هو الطّريق المستقيم لمعرفة اللّه و المدخل القويم لنيل رضاه.

إذ لا تكاد تخلو آية من آيات القرآن المجيد من ذكر لأسماء اللّه الحسنى و صفاته الفضلى، ممّا يدلّ دلالة بيّنة على المكانة المرموقة لعلم التّوحيد الّذي خَلَقَ اللّه خَلْقَهُ لأجله بنوعيه:

. توحيد المعرفة و الإثبات و هو توحيد الرّبوبيّة.

. توحيد الإرادة و الطّلب و هو توحيد الألوهيّة.

قال ابن القيّم في كتابه "الجواب الكافي": "مَنْ عَرَفَ اللَهَ بأسمائه و صفاته و أفعاله أحبَّهُ لَا مَحَالَةَ"

1. معاني التّوحيد و أنواعه :

التّوحيد الخالص هو العلم التّام و الإعتقاد الجازم بأنّ اللّه عزّ و جلّ واحد في ذاته العليا و أسمائه الحسنى و صفاته الفضلى و أفعاله العظمى، فليس كمثله شيء، و هو المتّصف بجميع صفات الجلال و الجمال و الكمال، و المنزّه عن جميع العيوب و المساوئ و صفات النّقصان.

و هو سبحانه هو الخالق و الرزّاق و المالك و المدبّر و المتصرّف في الكون بما شاء و كيف يشاء دون سواه.

قال تعالى : قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ.(1)

و في الحديث القدسيّ : كَذَّبَنِي ابنُ آدَمَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، وَشَتَمَنِي وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ذَلِكَ، فَأَمَّا تَكْذِيبُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: لَنْ يُعِيدَنِي، كَمَا بَدَأَنِي، وَلَيْسَ أَوَّلُ الخَلْقِ بِأَهْوَنَ

1- سورة الإخلاص

عَلَيَّ مِنْ إِعَادَتِهِ، وَأَمَّا شَتْمُهُ إِيَّايَ فَقَوْلُهُ: اِتَّخَذَ اللّٰهُ وَلَدًا، وَأَنَا الأَحَدُ الصَّمَدُ، لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لِي كُفُوًا أَحَدٌ. (1)

و التّوحيد الخالص يراد به كذلك، إفراد اللّٰه جلّ و علا بجميع العبادات و إستحقاقه لها دون سواه. قال سبحانه : وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُواْ إِلَّا إِيَّاهُ. (2)

القضاء ههنا في هذه الآية بمعنى الأمر، فهو سبحانه يأمر عباده بتوحيده و عبادته وحده لا شريك له.

و عن رسول اللّٰه أنّه قال : مَا مِن عَبدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إله إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ ورَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ. (3)

و بهذا المعنى الشّامل، جعل المتقدّمون من العلماء المحقّقين معنى واحدا للتّوحيد، و يقتصرون على بيان ما يجب الإعتقاد فيه دون تفصيل أو تقسيم أو تفريع فالتّوحيد في نظرهم كلّ لا يتجزّأ.

لكن المتأخّرين من علماء و متكلّمي علم التّوحيد اعتبروا أنّ للتّوحيد معنيان متلازمان مكمّلان لبعضهما البعض، و ذهبوا إلى القول بأنّ التّوحيد نوعان و أنّ هذا التّقسيم القصد منه المزيد من البيان و التّوضيح و هما :

النّوع الأوّل : توحيد الرّبوبيّة أو توحيد المعرفة و الإثبات :

و معناه الإعتقاد الجازم بأنّ اللّٰه سبحانه واحد أحد، فلا ربّ سواه، و هو الخالق لكلّ شيء و مليكه و مدبّره و هو سبحانه الرزّاق و المحيي و المميت و المتصرّف في الكون بما شاء و كيف شاء.

وقدأقرّهذاالنّوعالموحّدونوكذلكالمشركونعلىحدّسواء،قال تعالىمخبراعن المشركين الّذين يعترفون بوحدانيّة اللّٰه و مع هذا يعبدون معه شركاء: وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ، قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ، بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ. (4)

و هذا النّوع من التّوحيد لا ينفع المؤمن إلّا إذا ضمّ إليه النّوع الثّاني و هو توحيد الألوهيّة.

النّوع الثّاني : توحيد الألوهيّة أو توحيد العبادة :

و المقصود به إفراد اللّٰه وحده بالعبادة دون سواه مع كامل الخضوع و الإذعان و التذلّل له سبحانه دون غيره.

و إنّ الإقرار بأنّ اللّٰه وحده هو المستحقّ للعبادة دون سواه، يقتضي الإعتراف

1- أخرجه البخاري
2- سورة الإسراء 23
3- رواه البخاري و مسلم
4- سورة لقمان 24

بوحدانيّة اللّٰه فهو الربّ و الخالق و البارئ و الموجد، و هو سبحانه المتّصف بجميع صفات الكمال و المنزّه عن جميع صفات النقصان، فلا ربّ غيره و لا معبود سواه.
و بهذا المعنى فإنّ توحيد الألوهيّة متضمّن لتوحيد الرّبوبيّة و مستلزم له.
و هذا النّوع من التّوحيد هو الّذي جادل فيه المشركون و غيرهم بالباطل و بغير حقّ، و كثيرا ما يذكر القرآن الكريم الأدلّة و البراهين على إستحقاق اللّٰه لجميع العبادات دون سواه، تنبيها للغافلين، و حجّة على المنكرين و المشركين مثل قوله سبحانه: يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ. (1)

2. ذات اللّٰه العليا :

قال جلّ جلاله : لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ. (2)
هذه الآية الكريمة من أعظم الآيات في كتاب اللّٰه العزيز، و تعني أنّ اللّٰه سبحانه هو الفرد الصّمد الّذي لا نظير و لا مثيل و لا ندّ و لا شبيه له في ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله، فكلّ ما خطر في بال الإنسان فالله عزّ و جلّ مخالف له، فلا تناظر و لا تماثل و لا تشابه و لا ندّية البتّة بين اللّٰه الخالق الواحد الأحد الفرد الصّمد و بين مخلوقاته كلّها.
إنّ الحديث عن ذات اللّٰه العليا و أسمائه الحسنى و صفاته الفضلى و أفعاله العظمى، بقدر ما يبعث في نفس المؤمن الخوف و الرّهبة، بقدر ما يملأ قلبه الخشوع و السّكينة و عقله التأمّل و التّفكّر في ملكوت اللّٰه، و روحه اليقين و التّقوى.
و ممّا لا شكّ فيه أنّ الإسلام دين يدعو إلى التّفكّر و التأمّل و التدبّر في كلّ الكائنات و الموجودات و المخلوقات في دائرة العقل الإنساني و حدود مداركه، فهي براهين ساطعة دالّة على وحدانيّة اللّٰه و عظمته سبحانه لكن هذا العقل البشريّ و بالرّغم من طاقاته الفكريّة الجبّارة، و مهما كان مبلغه من الذّكاء و الفطنة، فإنّه يبقى قاصرا غاية القصور على معرفة حقائق الأشياء و إدراك ماهيّتها، سواء أكانت حقائق كونيّة أو غيبيّة، و خاصّة إدراك الذّات الإلاهيّة الّتي تبقى فوق الإدراك البشريّ، لأنّها حقيقة غيبيّة تتجاوز بكثير العقل الإنسانيّ.
لذلك أقرّ علماء التّوحيد من أهل الكتاب و السنّة أنّ ذات اللّٰه العليا تُوصف و لا تُدرك إستنادا إلى كتاب اللّٰه و سنّة رسوله.

1. سورة البقرة 20
2- سورة الشورى 9

ففي كتاب اللّٰه جاء قول اللّٰه سبحانه : ذٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ، لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ، خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ، لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ، وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ. (1)

في هذين الآيتين الكريمتين، أمر من اللّٰه تعالى لعباده بالإقرار بوجوده و وحدانيّته، فلا إله إلّا هو سبحانه، و لا حفيظ و لا رقيب و لا مدبّر إلّا هو جلّ جلاله، و هو خالقهم و رازقهم و المنعم عليهم عَظُمَ سلطانه.

و فيها كذلك إخبار اللّٰه لهم بأنّ أبصارهم و عقولهم غير قادرة على رؤية ذات اللّٰه العليا و عظمتها و جلالها و جمالها و كمالها في الدّنيا، إلّا أنّ هذه الرّؤية الخارقة تتحقّق و تتجلّي في الآخرة لعباد اللّٰه المؤمنين الصّادقين كما يشاء اللّٰه و كيف يشاء.

و ورد في السنّة قوله عليه أفضل الصّلاة و أزكى التّسليم : تَفَكَّرُوا فِي آلَاءِ اللّٰهِ، وَلَا تَفَكَّرُوا فِي اللّٰهِ. (2)

و آلاء اللّٰه هي مخلوقاته و نعمه و خيراته، و لا يكون التّفكّر و التدبّر إلّا فيها.

كذلك جاء في الحديث الشّريف قول نبيّ اللّٰه : تَفَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللّٰهِ وَلَا تَفَكَّرُوا فِي ذَاتِ اللّٰهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تُقَدِّرُوا قَدَرَهُ. (3)

3. أسماء اللّٰه الحسنى :

معرفة أسماء اللّٰه الحسنى هي وسيلة من أهمّ الوسائل لإدراك البشر لله خالقهم و رازقهم و المنعم عليهم. إذ إنّ معانيها تحرّك عقل الإنسان و وجدانه لإدراك عظمة اللّٰه عزّ و جلّ، و تفتح أمامه آفاقا رحبة للإيمان به إيمانا خالصا، و تبعث في روحه السّكينة و راحة البال، و تُجْلِي عن نفسه الحيرة و القلق.

هذه الأسماء وصفها اللّٰه بالحسنى، و أمرنا أن ندعوه بها كما وردت في كتابه و سنّة رسوله دون زيادة أو نقصان أو تحريف أو تبديل، و نهانا عن الإلحاد فيها.

قال تعالى في محكم التّنزيل : وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا، وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ، سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. (4)

و المقصود بالإلحاد في كلام العرب هو العدول عن القصد أو التّكذيب أو الميل و الجور و الإنحراف عن المراد.

1- سورة الأنعام 103-104
2- رواه التّرمذي
3- رواه أبو نعيم في الحلية
4- سورة الأعراف 180

و من معاني الإلحاد في أسماء الله : تسمية العرب في الجاهليّة الأصنام بها كاللّات من الآلهيّة أو العزّى من العزيز، و تسمية الله أو وصفه بما لا يليق كتسمية النّصارى له "أبا"، أو تسمية الفلاسفة له "موجبا بذاته"، أو وصف اليهود له بأنّه "فقير" أو أنّه "إستراح بعد أن خلق خلقه" أو تشبيه الله بصفة من صفات خلقه كزعم المشبِّهَةِ "أنّ الله جسم له وجه كَوَجْهِ الإنسان أو إستواء كإستوائه..."

تعالى الله علوّا كبيرا عمّا يسمّون و يصفون!؟

هذه الأسماء الحسنى سمّى الله بها نفسه، فمنها ما أنزله في كتابه، و منها ما علّمه الله بعض خلقه من الأنبياء و المرسلين، أو الملائكة المقرّبين، أو من شاء الله تبارك وتعالى، و منها ما إستأثر به في علم الغيب عنده، فلا يعلمها إلّا هو سبحانه.

و إنّ حرص المؤمن الحقّ على معرفتها التّامّة و الإستنارة بها، يفضي إلى التّصديق و الإقرار بها حسب ضوابط حدّدها العلماء المحقّقون أهمّها :

أوّلا : أسماء الله الحسنى توقيفيّة لا مجال للعقل فيها:

اتّفق جمهور العلماء على أنّ أسماء الله الحسنى توقيفيّة، أي أنّها أَعْلَامٌ على ذات الله المقدّسة و قد وردت في كتاب الله و سنّة رسوله، و لا يجوز لأيّ كان أن يجتهد فيها بزيادة أو إنقاص أيّ إسم من هذه الأسماء، و لا يجوز كذلك تسمية الله تبارك و تعالى إلّا بما سمّى به نفسه في كتابه أو على لسان نبيّه الكريم.

قال العلّامة أبو الحسن القابسيّ :" أسماء الله و صفاته لا تُعلم إلّا بالتّوقيف من الكتاب أو السنّة أو الإجماع، و لا يدخل فيها القياس..."

ثانيا : أسماء الله الحسنى و إحصاؤها :

ذهب فريق من علماء التّوحيد أنّ عدد أسماء الله الحسنى تسعة و تسعون إسما فقط، إستنادا لما رواه البخاري و مسلم. فعن أبي هريرة رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال : إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وتِسْعِينَ اسْمًا مِئَةً إِلَّا واحِدًا، مَن أحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ. وَ إِنَّهُ وِتْرٌ يُحِبُّ الوِتْرَ" (1)

و في رواية أخرى : " إِنَّ لِلهِ تِسْعَةٌ وَ تِسْعُونَ إِسْمًا، مَنْ حَفِظَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَ إِنَّ اللهِ وِتْرٌ يُحِبُّ الْوِتْرَ."

1- رواه البخاري و مسلم

و زاد التّرمذيّ في روايته :
هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلهَ إِلّا هُوَ الرَّحْمَنُ ۞ الرَّحِيمُ ۞ المَلِكُ ۞ القُدُّوسُ ۞ السَّلَامُ ۞ المُؤْمِنُ ۞ المُهَيْمِنُ ۞ العَزِيزُ ۞ الجَبَّارُ ۞ المُتَكَبِّرُ ۞ الخَالِقُ ۞ البَارِىءُ ۞ المُصَوِّرُ ۞ الغَفَّارُ ۞ القَهَّارُ ۞ الوَهَّابُ ۞ الرَّزَّاقُ ۞ الفَتَّاحُ ۞ العَلِيمُ ۞ القَابِضُ ۞ البَاسِطُ ۞ الخَافِضُ ۞ الرَّافِعُ ۞ المُعِزُّ ۞ المُذِلُّ ۞ السَّمِيعُ ۞ البَصِيرُ ۞ الحَكَمُ ۞ العَدْلُ ۞ اللَّطِيفُ ۞ الخَبِيرُ ۞ الحَلِيمُ ۞ العَظِيمُ ۞ الغَفُورُ ۞ الشَّكُورُ ۞ العَلِيُّ ۞ الكَبِيرُ ۞ الحَفِيظُ ۞ المُقِيتُ ۞ الحَسِيبُ ۞ الجَلِيلُ ۞ الكَرِيمُ ۞ الرَّقِيبُ ۞ المُجِيبُ ۞ الوَاسِعُ ۞ الحَكِيمُ ۞ الوَدُودُ ۞ المَجِيدُ ۞ البَاعِثُ ۞ الشَّهِيدُ ۞ الحَقُّ ۞ الوَكِيلُ ۞ القَوِيُّ ۞ المَتِينُ ۞ الوَلِيُّ ۞ الحَمِيدُ ۞ المُحْصِي ۞ المُبْدِىءُ ۞ المُعِيدُ ۞ المُحْيِي ۞ المُمِيتُ ۞ الحَيُّ ۞ القَيُّومُ ۞ الوَاجِدُ ۞ المَاجِدُ ۞ الوَاحِدُ ۞ الصَّمَدُ ۞ القَادِرُ ۞ المُقْتَدِرُ ۞ المُقَدِّمُ ۞ المُؤَخِّرُ ۞ الأَوَّلُ ۞ الآخِرُ ۞ الظَّاهِرُ ۞ البَاطِنُ ۞ الوَالِي ۞ المُتَعَالِ ۞ البَرُّ ۞ التَّوَّابُ ۞ المُنْتَقِمُ ۞ العَفُوُّ ۞ الرَّءُوفُ ۞ مَالِكُ المُلْكِ ۞ ذُو الجَلَالِ وَالإِكْرَام ۞ المُقْسِطُ ۞ الجَامِعُ ۞ الغَنِيُّ ۞ المُغْنِيُّ ۞ المَانِعُ ۞ الضَّارُ ۞ النَّافِعُ ۞ النُّورُ ۞ الهَادِي ۞ البَدِيعُ ۞ البَاقِي ۞ الوَارِثُ ۞ الرَّشِيدُ ۞ الصَّبُورُ.

و منهم من قال بأنّ العدد غير مقصود بالحصر، و أنّ أسماءه سبحانه لا تحصى، و قد إستدلّوا بالحديث الّذي رواه ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبيّ صلّى الله عليه و سلّم أنّه قال : مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُك عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُك أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَك أَوْ عَلَّمْتَه أحدًا مِنْ خَلقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الغَيبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ القُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي إِلَّا أَذْهَبَ اللّٰه هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجًا. (1)
و قال المفسّر القرطبيّ : "المرجوّ من كرم الله تعالى، أنَّ من حصل له إحصاء هذه الأسماء على إحدى هذه المراتب مع صحّة النيّة، أن يدخله الله الجنّة». (2)

1- رواه أحمد في مسنده
2- تفسير القرطبي 325/7

ثالثا : تفاضل أسماء الله الحسنى و الإسم الأعظم و لفظ الجلالة «الله» :

ترى جماعة من العلماء أنّه لا تفاضل بين أسماء الله الحسنى، لأنّ ذلك يُؤدّي إلى الإعتقاد في نقصان المفضول عن الأفضل و هو لا يجوز، و قالوا : أسماء الله كلّها عظيمة ليس فيها إسم أفضل من غيره، و قد جُمعت كلها في كلمة «الله».

و ذهبت جماعة أخرى إلى القول بأنّ في أسماء الله إسما أعظم، إذا دعي به أجاب، و قد أخفاه الله على النّاس ليدعوه بجميع أسمائه.

و قد إختلفت آراؤهم في تعيين هذا الإسم، و رجّح بعضهم أنّ المقصود بالإسم الاعظم هو لفظ الجلاله "الله"، و إستندوا على الحديث الّذي رواه التّرمذي و غيره عن بريدة الأسلميّ قال : سمع النبيّ رجلا يدعو و يقول : اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَد. قال النبيّ : وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ سَأَلَ اللَهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطى .(1)

و لفظ الجلالة "الله" هو عَلَمٌ على الذّات الإلاهيّة، المستحقّ لجميع المحامد، و هو لفظ عربيّ عند أكثر العلماء و هو غير مشتق.

و هناك من العلماء من يرى أنّ لفظ الجلالة "الله" هو لفظ مشتقّ من أَلِهَ آلَهًا بمعنى تحيّر و بهذا الشّرح يصبح المعنى : الله هو المعبود الحقّ الّذي إحتارت العقول و النّفوس و القلوب في عظمته سبحانه. و هناك من قال : إنّ لفظ الجلالة "الله" مشتقّ من أَلِهَ يَأْلَهُ إِلَاهَةً وَ أُلُوهِيَّةً بمعنى لجأ إليه و إحتمى به، و بذلك يصبح المعنى: الله هو المعبود الحقّ الّذي نلجأ إليه و نحتمي به في كلّ الأحوال و الأوقات.

و قد ورد لفظ الجلالة "الله" في القرآن الكريم 2602 مرّة، منها 980 مرفوعا و 592 منصوبا و 1125 مجرورا.

منها قوله سبحانه : اللَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى. (2)

و عن أسماء بنت زيد رضي الله عنها أنّ النبيّ صلّى الله عليه و سلّم قال : اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: (وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ)، وَفَاتِحَةِ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ (الم. اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ). (3)

لقد اجتهد العلماء في جمع أسماء الله الحسنى و أجمعوا على أنّ المقصود

1- رواه الترمذي
2- سورة طه 7
3- رواه أحمد و التّرمذي

بإحصائها و تفاضلها هو عدّها و حفظها، و الإعتبار بمعانيها و التّعظيم لها، و العمل بما يقتضيه كلّ إسم منها لمعرفة اللّه جلّ جلاله للفوز بمرضاته سبحانه و دخول جنّاته.
و من الآيات الكريمة الجامعة لكثير من أسماء اللّه الحسنى قوله سبحانه في محكم تنزيله : هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ، هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ. (1)
و من خلال تلاوتنا و حفظنا لهذه الآيات العظيمة و غيرها نستحضر عظمة اللّه الّذي لا ربّ غيره و لا إله للوجود سواه و كلّ ما يعبد من دونه فباطل.
و قد قال رسول اللّه في شأن هذه الآيات الكريمة : مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَقَرَأَ ثَلَاثَ آيَاتٍ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْحَشْرِ؛ وُكِّلَ بِهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ مَاتَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مَاتَ شَهِيدًا، وَإِنْ قَالَهَا حِينَ يُمْسِي؛ كَانَ بِتِلْكَ الْمَنْزِلَةِ. (2)

4. صفات اللّه الفضلى :

ما أجمع عليه علماء التّوحيد سلفا و خلفا أنّه يجب على المؤمن الحقّ العلم التّام و التّصديق الخالص بأنّ اللّه سبحانه واحد أحد في ذاته و أسمائه و صفاته و أفعاله، و أنّه جلّ جلاله و عظم سلطانه يتّصف بجميع صفات الكمال و يتنزّه عن جميع صفات النقصان، و أنّ كلّ ما خطر ببال الإنسان فهو سبحانه مخالف لذلك، فلا تماثل و لا تشابه و لا تناظر البتّة بين الخالق و هو اللّه سبحانه المبدع المصوّر القويّ العزيز الغنيّ الحميد، و بين العبد المخلوق الضّعيف النّاقص في خلقه المحتاج لغيره الفقير لربّه.
قال سبحانه : لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ.(3)
و قد سئل النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم فقالوا : صِفْ لَنَا رَبُّكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ قَولَهُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ. (4)
قال ابن عبّاس رضي اللّه عنه كما ورد في تفسير ابن كثير : "هو السيّد الّذي قد كَمُلَ في سُؤْدَدِهِ، و الشّريف الّذي قد كمل في شرفه، و العظيم الّذي قد كَمُلَ

1- سورة الحشر 22-23-24
2- رواه التّرمذي و الإمام أحمد
3- سورة النّحل 60
4- سورة الإخلاص

في عظمته، و الحليم الّذي قد كَمُلَ في حلمه، و العليم الّذي قد كَمُلَ في علمه، و الحكيم الّذي قد كَمُلَ في حكمته، و هو الّذي قد كَمُلَ في أنواع الشّرف و السّؤدد، و هو اللّه سبحانه، ليس له كفء، و ليس كمثله شيء، سبحان اللّه الواحد القهّار". (1)

لكن و بعد عصر النبوّة، إختلف السّلف و الخلف في بعض المسائل العقائديّة كما في تأويل صفات اللّه و غيرها :

أوّلا : موقف السّلف :

و السّلف هم الصّحابة و التّابعون و الأئمّة الأربعة : أبو حنيفة و مالك و الشّافعيّ و ابن حنبل، و ثلّة من العلماء قدامى و محدثون.

و يتلخّص موقفهم في القول بأنّه يجب على المؤمنين بالوحي الإلهيّ، الحريصين على معرفة اللّه ذاتا و أسماء و صفات و أفعالا، الإلتزام بمبدأين أساسيين، و عدم الخروج عنهما بأيّ حال من الأحوال و هي :

المبدأ الأوّل : أن لا يسمّوا اللّه تعالى باسم لم يسمّ به اللّه نفسه في كتابه أو على لسان رسله، و إذا دعوا اللّه دعوه بأسمائه الحسنى.

المبدأ الثاني : أن لا يشبّهوا اللّه سبحانه، لا في ذاته و لا أسمائه و لا صفاته و لا أفعاله، بذوات المخلوقين أو أسمائهم، أو صفاتهم أو أفعالهم لإستحالة وجود شبه لله عقلا و شرعا.

و أن يعتقدوا في ثبوتها كما وردت في الكتاب و السنّة دون كيف أو وصف أو تأويل أو تشبيه أو تعطيل أو تحريف أو تمثيل، لأنّ الكلام عن الصفات فرع الكلام عن الذّات، و ذات اللّه لا تُدْرَكُ، كذلك صفاته. لذا يجب لإثباتها إثبات وجود، لا إثبات كيفيّة أو وصف أو تشبيه.

و يضيفون فيقولون :"إنّ اللّه يتّصف بالوحدانيّة و الحياة و السّمع و البصر و القدرة و الإرادة و العلم و البقاء و القيّوميّة و الغنى و العظمة و العلوّ و الجلال...إلى غير ذلك من الصّفات الذّاتيّة.

و إنّ اللّه يتّصف كذلك بالمجيء و النّزول، و الغضب و الرّضا و الإستحياء و الإستواء على العرش... و غيرها من صفات الأفعال". ثمّ يؤكّدون على القول :"نؤمن بها كلّها بلا كيف و بلا تشبيه و بلا تعطيل".

3. تفسير ابن كثير 3/ 693

قال الإمام ابن عبد البرّ في كتابه : "التّمهيد" : "كلّهم يقول : اللّه ينزل و يتجلّى و يجيء بلا كيف، لا يقولون : كيف يجيء ؟ و كيف يتجلّى ؟ و كيف ينزل؟... لأنّه ليس كشيء من خلقه." (1)

لذلك كان التيّار السّلفي و لا يزال ينهى عن الخوض في المسائل المتعلّقة بالعقيدة إجمالا، و يتوقّفون عند ظاهر النصّ دون تأويل أو تشبيه أو تعطيل.

قال ابن عبد البرّ: "الكلام في صفات الباري يستبشعه أهل السنّة، و قد سكت عنه الأئمّة، فما أشكل علينا من مثل هذا الباب بشبهة أمررناه كما جاء، و آمنا به كما نصنع بمتشابه القرآن، و لم نناظر عليه، لأنّ المناظرة إنّما يسوغ و تجوز فيها فيما تحته عمل، و يصحبه قياس، و القياس غير جائز في صفات الباري تعالى." (2)

ثانيا : موقف الخلف :

و الخلف هم العلماء و الفقهاء الّذين عاشوا بعد الصّحابة و التّابعين و خاصّة المحدثون منهم كالأشاعرة و الماتورديّين. و بداية من المائة الخامسة للهجرة، برز فريق ثان من الخلف و ظهرت معهم مصنّفات و بحوث عديدة و معمّقة في مسائل العقيدة تعتمد التّأويل لجملة من الآيات القرآنيّة و الأحاديث النبويّة و هو تأويل محمول على التّأويل الحسن، لأنّ غايته نبيلة تهدف إلى تقريب المسائل إلى أفهام و عقول المؤمنين.

و لذلك قال الإمام الذّهبيّ : "لو أنّ كلّ من أخطأ في إجتهاده مع صحّة إيمانه و توخّيه لإتّباع الحقّ أهدرناه و بدّعناه، لَقَلَّ مَنْ يَسْلَمُ من الأئمّة معنا." (3)

و ممّا نقل عنهم في التّأويل للآيات القرآنيّة :

قوله تعالى : لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَه مَعَنَا. (4)

فإنّ معناه : اللّه معنا بنصره و تأييده و حفظه.

و قوله تعالى : إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَهِ. (5)

و معنى "لوجه اللّه" أي لأجل اللّه.

و قوله تعالى : وَ هُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ. (6)

و معناه : معكم بعلمه.

1- كتاب التّمهيد لإبن عبد البرّ 231/19
2- نفس المصدر
3. سير أعلام النّبلاء 14/ 376
4. سورة التّوبة 40
5. سورة الإنسان 10
6. سورة الحديد 4

و من أمثلة التّأويل للأحاديث النبويّة :
قوله عليه الصّلاة و السّلام : إِنِّي أَجِدُ نَفَسَ الرَّحْمَانِ مِنْ قَبِيلِ الْيَمَنِ... (1)
فإنّ معناه : تنفيس الله على المؤمنين كربتهم يكون من أهل اليمن.
و في الحديث القدسي : إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ يومَ القِيامَةِ: يا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قالَ: يا رَبِّ كيفَ أعُودُكَ وأنْتَ رَبُّ العالَمِينَ؟ قالَ: أما عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أما عَلِمْتَ أنَّكَ لو عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ...؟ (2)
فإنّ معناه : زيارة المؤمن عند مرضه.
ثمّ بمرور الزّمن زاد توسّع علماء الخلف في بعض المسائل العقائديّة.
و ممّا أضافوا في صفات الله قولهم :" صفات الله تعالى على نوعين : صفات الذّات و صفات الأفعال. أمّا صفات الذّات فهي صفات قديمة يستحقّها الباري سبحانه لذاته، واجبة له، لم يزل و لا يزال متّصفا بها، و أسماء الله الحسنى تشتمل على هذه الصّفات و منها أنّه جلّ جلاله يتّصف بالوحدانيّة و الحياة و السّمع و البصر و القدرة و الإرادة و العلم و البقاء و القيّوميّة و الغِنَى و العظمة و العزّة و الجلال...
و أمّا صفات الأفعال فهي صفات قديمة، واجبة لله تعالى لذاته، متعلّقة بإرادته و قدرته، يفعل منها ما يشاء و يختار كالخلق و الإحياء و الإماتة و الرّزق و العفو و الرّحمة و العقوبة... و هي صفات ثبت وجوبها لله بالخبر و العقل.
و أخرى ما ثبت وجوبها بالخبر دون العقل كالنّزول و المجيء و الغضب و الرّضا..."
أمّا المتأخّرون من الخلف كعلماء الأشعريّة و الماتوريديّة الّذين تأثّروا بالجدل و علم الكلام فإنّهم إضطرّوا إلى بسط القول في كثير من مسائل الإعتقاد للردّ على الزّنادقة و الفرق الكلاميّة كالمعتزلة و الشّيعة و الخوارج و المرجئة... و غيرها الّتي زاغت بعلم أو بغير علم عن العقيدة الإسلاميّة الصّحيحة.
و ممّا قالوا في مسألة صفات الله : إنّ لله سبحانه صفات فضلى و يمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع و هي :

1. رواه التّرمذيّ
2. رواه مسلم

النّوع الأوّل : ما يجب في حقّه تعالى من الصّفات :

أوجب علماء التّوحيد من الخلف، لله تعالى كلّ صفات الكمال الّتي تليق بذاته العليّة إجمالا، كما أوجبوا له سبحانه عشرين صفة تفصيلا، و ذلك إستنادا إلى ما جاء من أمرها في الكتاب و السنّة، و أرجعوا بقيّة الصّفات إليها و الصّفات العشرون الواجبة هي :

. الصّفة النّفسيّة و هي واحدة : و هي صفة الوجود، و هي صفة ثبوتيّة.

. الصّفات السّلبيّة و عددها خمسة : و هي صفات القِدَم و البقاء و المخالفة للحوادث و القيام بالنّفس و الوحدانيّة. و سمّيت بالصّفاتَ السّلبيّة لأنّها تسلب من أذهاننا ما لا يليق بذاته سبحانه، كما تسلب الضدّ عن موصوفها.

. صفات المعاني و عددها سبعة : و هي صفات القدرة و الإرادة و السّمع و البصر و العلم و الكلام و الحياة.

و سمّيت بهذا الإسم لأنّها من صفات الذّات الوجوديّة، و هي كلّ صفة موجودة في نفسها قائمة بموجود أو أوجبت له حكما.

. الصّفات المعنويّة و عددها سبعة : و هي كونه تعالى عليما و قديرا و مريدا و سميعا و بصيرا و متكلّما و حيّا. و هي صفات ثبوتيّة، و هي الأحكام الّتي تترتّب على ثبوت صفات المعاني.

النّوع الثّاني : ما يستحيل في حقّ اللّه تعالى من الصّفات :

جميع الصّفات المذكورة في النّوع الأوّل و عددها عشرون، هي صفات أزليّة أبديّة واجبة لله تعالى، أمّا ما يضادّها فهي الصّفات المستحيلة في حقّ اللّه سبحانه و هي كالتّالي :

. صفة العدم و هي ضدّ صفة الوجود

. صفة الحدوث و هي ضدّ صفة القدم

. صفةالفناء و هي ضدّ صفة البقاء

. صفة المماثلة للحوادث و هي ضدّ صفة المخالفة للحوادث

. صفة القيام بِمَحْلٍ و هي ضدّ صفة القيام بالنّفس

. صفة التعدّد و هي ضدّ صفة الوحدانيّة

. صفة العجز و هي ضدّ صفة القدرة

. صفة الوجوب بالذّات و هي ضدّ صفة الإرادة أو المشيئة
. صفة الصّمم و هي ضدّ صفة السّمع
. صفة العمى و هي ضدّ صفة البصر
. صفة الجهل و ما في معناه كالظّنّ و الشكّ و الوهم و النّوم و الغفلة و البَدَاءِ و كلّها أضداد لصفة العلم .
. صفة البَكَم و هي ضدّ صفة الكلام
. صفة الموتَ و هي ضدّ صفة الحياة

النّوع الثّالث : ما يجوز في حقّ اللّه تعالى من الصّفات :

يجوز في حقّ اللّه سبحانه إيجاد كلّ الممكنات أو إعدامها حسب مشيئته و إرادته و قدرته، فلا يجب عليه شيء من الممكنات، كما لا يستحيل عليه شيء منها.
و من أمثلة ذلك:
. يجوز في حقّ اللّه تعالى إعطاء الصحّة للعبد أو منعها
. يجوز في حقّ اللّه سبحانه أن يرزق عبده أو يسلب عنه الثّراء.
. يجوز في حقّ اللّه تعالى أن يَهِبَ عبده الولد أو يمنعه عنه... فالله هو المتصرّف في الخلق و الرّزق و الحياة و الموت كما يشاء و كما يريد لأنّه هو الخالق و الرزّاق و المحيي و المميت دون سواه.
و ليس هنالك شيء يجب في حقّ اللّه سبحانه من ذلك كما ذهبت إليه المعتزلة في وجوب الصّلاح و الأصلح عليه تعالى، و كما ذهبت البراهمة الهندوس إلى الضدّ من ذلك فقالوا : يستحيل على اللّه إرسال الرّسل لكفاية العقل عندهم.

4. أفعال اللّه العظمى :

هذا المبحث في أفعال اللّه العظمى له صلة بمسائل إعتقاديّة أخرى كمسألة أفعال العباد و متعلّقاتها كالهدى و الضّلال و الوعد و الوعيد و السّعادة و الشّقاوة و الثّواب و العقاب و الجبر و الإختيار... و غيرها من المسائل.
و من الأمور الّتي أجمع عليها علماء التّوحيد من أهل السنّة و الجماعة و الّتي يجب التّسليم بها و الإعتقاد فيها :

أوّلا : وجوب العلم و الإعتقاد بأنّ أفعال الله كلّها عظمى و مطلقة، فهو سبحانه لم يزل و لا يزال إلى أبد الآبدين، فعّالا لما يريد و يختار، يخلق ما يشاء، يدبّر الأمور كلّها كيف يشاء و متى شاء. و هو سبحانه المتصرّف في الأكوان و المخلوقات و الموجودات كما يختار و يريد، و كلّ أفعاله الّتي وقعت و الّتي ستقع كلّها تبعا لإرادته و حكمته جلّ جلاله و عظم سلطانه و لا رادّ لمشيئته سبحانه.

كما قال في كتابه العزيز : وَ رَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ، مَا كَانَ لَهُمْ الْخِيَرَةُ، سُبْحَانَ اللَهِ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ. (1)

و قد فسّر العلّامة الجليل ابن كثير هذه الآية بقوله : "يخبر تعالى أنّه المنفرد بالخلق و الإختيار، و أنّه ليس له في ذلك منازع و لا معقّب، فما شاء كان و ما لم يشأ لم يكن، فالأمور كلّها خيرها و شرّها بيده و مرجعها إليه" (2)

و قال سبحانه : إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ، وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ. (3)

و في الحديث الصّحيح : اِسْتَعِنْ بِاللَهِ وَلَا تَعْجَز، وَ إِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللَهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الْشَّيْطَانِ. (4)

و قال الإمام النّووي : "إنّ الله تبارك و تعالى قدّر الأشياء في القدم، و عَلِمَ سبحانه و تعالى أنّها ستقع في أوقات معلومة عنده سبحانه و تعالى، و على صفات مخصوصة، فهي تقع حسب ما قدَّرَهَا"

و قال جلّ ذكره : إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ. (5)

أي أنّ الله سبحانه مهما أراد فعله لا معقّب لحكمه و لا رادّ لقضائه، و لا يُسأل عمّا يفعل لعظمته و قهره و عدله.

ثانيا : وجوب العلم و المعرفة بأفعال الله العظمى و هي نوعان : الأوّل أفعال لازمة لا تتعدّى إلى مفعول بل هي قائمة بالفاعل كالإستواء على العرش و المجيء و النّزول و الرّضا و الغضب...

1- سورة القصص 68
2- تفسير ابن كثير 22.21/3
3. سورة القمر 50.49
4. رواه الشّيخان
5. سورة البروج 16.15.14.13

و النّوع الثّاني تتعدّى إلى مفعول كالخلق و الرّزق و الإحياء و الإماتة و العطاء و المنع... و نحو ذلك.
و كلّ أفعاله العظمى واردة في كتاب الله و سنّة رسوله و هي دالّة على عظمته و جلاله و قدرته و علوّه.
قال تعالى مخبرا منبّها عباده على قدرته العظيمة : أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم، بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ، إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ، فَسُبْحَانَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ. (1)
فالله سبحانه ما أعظم شأنه، و هو ذو الجبروت و الملكوت و الكبرياء و العظمة.
و في الحديث القدسيّ عن أبي ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه أنّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم قال : إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتُ، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، و كُلُّكُمْ فَقِيرٌ إِلَّا مَنْ أَغْنَيْتُ، إِنِّي جَوَّادٌ مَاجِدٌ وَاجِدٌ، أَفْعَلُ مَا أَشَاءُ، عَطَائِي كَلَامٌ، و عَذَابِي كَلَامٌ، إِذَا أَرَدْتُ شَيْئًا فَإِنَّمَا أَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ. (2)
فسبحان الله مالك الملك الّذي أمره بين الكاف و النّون و سبحان الله الّذي قدّر و هدى، و سبحان الله الّذي أسبغ على عباده نعمه الظّاهرة و الباطنة.
و سبحان الله إرتضى لخلقه الإيمان و الإسلام و الإحسان و سبحان الله أوّلا و آخرا.

1. سورة يس 82.81.80
2. أخرجه الإمام أحمد

الفصل الثّامن : في الإلاهيّات [المبحث الثّالث]
مسائل عقائديّة متعلّقة بمباحث الإلاهيّات

تمهيد :

بظهور الإسلام المتضمّن لعقيدة و شريعة جديدتين، و بعد عهد النبيّ محمّد صلّى الله عليه و سلّم و الصّحابة و التّابعين، طُرحت مسائل عقائديّة على علماء التّوحيد عامّة و على المتكلّمين خاصّة، و أهمّ هذه المسائل :

. مسألة خلق أفعال العباد
. متعلّقات بأفعال العباد
. مسألة القضاء و القدر خيره و شرّه
. مسألة رؤية الله تعالى
. مسألة صفة الكلام : هل القرآن كلام الله قديم أم مخلوق ؟

هذه أهمّ المسائل العقائديّة الّتي تناولها بالدّرس و التّمحيص علماء أهل السنّة و الجماعة و غيرهم من الفرق الكلاميّة و هذا تفصيل لآرائهم و معتقداتهم.

1. مسألة خلق أفعال العباد :

ذهب أهل السنّة و الجماعة إلى القول بأنّ الله تبارك و تعالى هو المتفرّد بالخلق و الإيجاد و الإبداع، و أنّ جميع المخلوقات و الموجودات و الكائنات من بديع خلقه و عظيم صنعه و قدرته و حكمته.

و إنّ الله سبحانه هو الخالق للعباد كلّهم و الخالق لجميع أفعالهم سواء أكانت أفعالا إضطراريّة أي لا إراديّة أو أفعالا إختياريّة أي إراديّة.

أمّا أفعال العباد الإضطراريّة ككون الإنسان ذكرا أو أنثى، و كونه أبيض أو أسود، و كنبضات قلبه و تنفّسه و جريان الدّم في عروقه... و غيرها، فقد خلقها الله في عباده، و إن كانت قائمة بهم، و هي أفعال خارجة عن نطاق البحث، لأنّ الإنسان لا خيار له فيها، و هي غير خاضعة لإرادته، و هذا باتّفاق كلّ العلماء.

و أمّا أفعال العباد الإختياريّة أي الإراديّة كالذّهاب إلى مكان معيّن، و تناول طعام مفضّل، و لبس لنوع خاصّ من اللّباس، و تعلّم لعلم خاصّ من العلوم، و قيام بعبادة مخصوصة أو تركها أو قيام بمعصية أو الإمتناع عنها، و ممارسة لحرفة من الحرف الّتي إختارها بإرادته...

و غيرها،فقد خلقها اللّه أيضا في عباده، و لكنّ الإنسان قد إكتسبها من مشيئة اللّه و إرادته و قدرته المطلقة، و بذلك تدخل في نطاق إرادة الإنسان، و مدى حريّته في ممارستها، و بما أنّ الإنسان مخيّر فيها فهو مسؤول عنها و سيحاسبه اللّه عنها يوم القيامة إن خيرا فخير، و إن شرّا فشرّ و يكون الجزاء من جنس العمل.

و قد إستدلّ علماء التّوحيد من أهل السنّة و الجماعة بجملة من النّصوص الشرعيّة كقوله سبحانه و تعالى : مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ. (1)

و قوله جلّ ذكره : وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ. (2)

و قوله تعالى : كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ. (3)

و روي عن جابر رضي اللّه عنه أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال : يَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ يَعْمَلُونَ المَعَاصِي, ثُمَّ يَقُولُونَ : اللّه قَدَّرَهَا عَلَيْنَا, الرَّادُّ عَلَيْهِمْ يَوْمَئِذٍ كَالشَّاهِرِ سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللّهِ. (4)

و في هذاالموقف لأهل السنّة و الجماعة، ردّ على فرقة "المعتزلة" الّتي تعتقد أنّ أفعال العباد الإختياريّة، إنّما يخلقها العبد نفسه، و لكن بقدرة قد خلقها اللّه تعالى فيه.

و هو كذلك خلاف ما تعتقد "الجبريّة" في أنّ العبد ليس له شيء في عمله الإختياريّ، فلا إيجاد و لا كسب للعبد، بل هو مجبور مقهور على فعله، و هو كريشة في الهواء تتقلّبها الرّيح كيف تشاء.

و هذا الرّأي أيضا يخالف ما جاء في الكتاب و السنّة، فلو كان الإنسان مسيّرا و مجبرا في أفعاله الإختياريّة لضاعت الأحكام المنزّلة، و لبطل الجزاء من ثواب و عقاب. و ما فائدة التّكليف و الأوامر و النّواهي ؟! و ما الفرق بين المطيع و العاصي؟!

1- سورة فصّلت 45
2- سورة الشّورى 28
3- سورة المدّثر 38
4- رواه الترمذي

2. متعلّقات أفعال العباد :

أهمّ المسائل العقائديّة المتعلّقة بافعال العباد هي :

أوّلا : الهداية و الإضلال أو التّوفيق و الخذلان :

بناء على مذهب أهل السنّة و الجماعة القائل بأنّ اللّه تعالى هو خالق لأفعال العباد كلّها، و منها دون شكّ الهداية و الإضلال أو التّوفيق و الخذلان، فإنّ اللّه سبحانه هو الخالق لقدرة الطّاعة فيمن أراد توفيقه، و هو كذلك الخالق لقدرة المعصية فيمن أراد معصيته.

و بعبارة أخرى : إنّ اللّه سبحانه يوفّق عبده لطريق الخير و الرّشاد و الهداية، و ذلك بعد أن يأخذ العبد بأسبابها، و إمّا خذلانه و ترك مناصرته لانّه لم يأخذ بأسباب الطّاعة و بادر إلى الأخذ بأسباب المعصية، و كان ذلك عدلا منه، و لا ظلم معه لعبده.

قال جلّ ذكره : وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. (1)

و في الآية الكريمة إخبار من اللّه لعباده بحكمه العادل، فهو سبحانه لا يضلّ عباده إلّا بعد إبلاغ الرّسالة إليهم و إقامة الحجّة عليهم.

ثانيا : الثّواب و العقاب :

ما أجمع عليه أهل السنّة و الجماعة هو : إنّ اللّه سبحانه هو الخالق لأعمال البشر خيرا كانت أم شرّا بحسب ظاهر ما يراه النّاس. و هو تعالى خالقهم و رازقهم و المتصرّف في ملكه كيف شاء و حسبما يريد، و هو سبحانه الحكم العدل في حكمه، و ليس بظلّام لعباده و لكن أنفسهم يظلمون، لذلك لا يجوز لنا أن نفرض أو نوجب على اللّه شيئا.

كذلك يجب الإقرار بأنّ الجزاء من جنس العمل، و أنّ الثّواب و العقاب على كسب المرء قائم على أساس الرّحمة و العدل الإلاهيّين، خال من كلّ معنى للإساءة و الظّلم.

و إنّ الثّواب على الطّاعات و فعل الخيرات فضل من اللّه و منّة على عباده المتّقين، أمّا العقاب على المعاصي و فعل المنكرات فهو عدل إلاهي محض، و له سبحانه المشيئة المطلقة في أن يثيب من يشاء و يعاقب من يشاء دون إجبار أو إكراه أو إلزام.

5. سورة التّوبة 116

و صدق الله العظيم إذ يقول : إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا. (1)

ثالثا : الوعد و الوعيد :

ما اتّفق عليه أهل العلم : إنّ الله تبارك و تعالى إذا وعد العباد بالثّواب جزاء ما قدّمت أيديهم فوعده لا يتخلّف. أمّا إذا وعدهم بالعقاب فقد ذهب فريق إلى القول بأنّ وعيد الله قد يتخلّف، و قال فريق ثان إنّ وعيد الله لا يتخلّف.

و الرّأي الجامع بين القولين و الأصوب هو:

جواز تخلّف الوعيد فيما يجوز العفو عنه، لأنّه سبحانه فعّال لما يريد، و ما هو بظلّام للعبيد.

قال تبارك و تعالى : قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ، مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ. (2)

رابعا : السّعادة و الشّقاوة :

إنّ الموتة على الإيمان هي السّعادة التّامّة، الّتي يخرج منها الإنسان من دنياه إلى آخرته.

و إنّ الموتة على الكفر هي الشّقاوة بذاتها، الّتي يخرج بها الإنسان من دنياه إلى آخرته.

قال سبحانه مخبرا عباده عن يوم الوعد و الوعيد: يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ. (3)

إذن ما على العبد الكيّس إلّا الحرص على معرفة الله و الإيمان به، و القيام بالطّاعات و فعل الخيرات، و ترك المنكرات و تجنّب الموبقات، و هو ما يحقّق له التّوازن بين الخوف و الرّجاء و الجمع بينهما، الخوف من عذاب الله و الرّجاء في رحمة الله و بذلك يكون بمشيئة الله من السّعداء خارجا عن الأشقياء.

قال جلّ ذكره منذرا و مبشّرا عباده : فَأَمَّا مَن طَغَى، وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى، وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى. (4)

1- سورة النّساء 40
2- سورة ق 28-29
3- سورة هود 105
4. سورة النّازعات 37-38-39-40

خامسا : الصّلاح و الأصلح :

أثارت فرقة المعتزلة هذه المسألة و قالت بوجوب الصّلاح و الأصلح على اللّه أي يجب على اللّه أن يفعل الصّلاح دون الفساد، و إذا كان هناك أمران أحدهما صلاح و الآخر أصلح منه، يجب على اللّه أن يفعل الأصلح منهما !!؟ و قد ردّ أهل السنّة و الجماعة على هذا الإعتقاد فقالوا : إنّ مقالة المعتزلة إساءة أدب مع اللّه، لأنّه سبحانه فعّال لما يريد، و هو المتصرّف في ملكه كما يشاء و كيف يشاء، و هو الحاكم الّذي لا معقّب لحكمه، و لا يعترض عليه أحد لعظمته و جلاله و كبريائه وعدله، و هو السّائل لخلقه عمّا يعملون يوم الحساب، و لا يحقّ للعبد أن يسأل خالقه : لِمَ فَعَلَ كَذَا أَوْ لِمَ لَمْ يَفْعَلْ كَذَا؟!

مصداقا لقوله في محكم التّنزيل : لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَ هُمْ يُسْأَلُونَ. (1)

سادسا : الحُسْنُ و القُبْحُ :

هذه مسألة أخرى متعلّقة بأفعال العباد، فقد ذهبت فرقة المعتزلة إلى القول بأنّ اللّه منزّه عن إرادة القبائح و الشّرور و المعاصي فهي صادرة عن العبد، لأنّ اللّه سبحانه منزّه عن الظّلم، و إنّ الحسن ما حسّنه العقل لا الشّرع و كذلك القبح ما قبّحه العقل لا الشّرع !!؟

و لم يوافق أهل السنّة و الجماعة هذا الرّأي و قالوا : إنّ اللّه خالق لجميع أفعال العباد، و إنّ ما يفعله اللّه لا يُقَبَّحُ منه شيء، و غاية الأمر أنّه يخفى على الإنسان وجه حسنه، و إنّ الحسن ما حسّنه الشّرع و إنّ القبح ما قبّحه الشّرع و ليس للعقل دخل و دوره يقتصر فقط على فهم و تفسير ما أراده الشّرع. و قد إستدلّوا بكثير من الآيات منها قوله سبحانه : وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا، يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.(2)

1- سورة الأنبياء 23
2- سورة الإنسان 30-31

3. مسألة القضاء و القدر خيره و شرّه :

هذه المسألة ذات صلة وثيقة بمبحث خلق أفعال العباد، و هذا ما أجمع عليه أهل الكتاب و السنّة :

أوّلا : الإيمان بالقضاء و القدر خيره و شرّه هو الرّكن السّادس و الجزء المكمّل للعقيدة الإسلاميّة.

و المراد منه هو العلم التامّ و الإعتقاد الجازم بأنّ اللّه سبحانه هو المقدّر للأشياء في القدم، و هو العالم بما كان و ما يكون و ما سيكون و ما لم يكن لو كان كيف يكون.

فالله تبارك و تعالى هو الّذي أوجد و خلق هذا الكون و كلّ المخلوقات بعلمه و حكمته و تقديره و تدبيره، وفق إرادته العظمى و قدرته المطلقة. و قد إستدلّ أئمّة أهل السنّة و الجماعة بكثير من الآيات و الأحاديث لإثبات قدر اللّه السّابق لخلقه منها قوله تعالى : إِنَّا كُلَّ شَيءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ.(1)

و جاء في الحديث قوله صلّى اللّه عليه و سلّم : اِحْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاِسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَّرَ اللَهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ. (2)

ثانيا : لا يتحقّق الإيمان بالقضاء و القدر خيره و شرّه إلّا بأمور أساسيّة و هي :

. التّصديق بأنّ اللّه تعالى عالم بكلّ شيء جملة و تفصيلا أزلا و أبدا.

. الإعتقاد بأنّ جميع المخلوقات لا تكون إلّا بمشيئة اللّه سواء تعلّق بفعله سبحانه أو بفعل عباده.

. الإيمان بأنّ جميع الكائنات مخلوقة لله و أنّه ما من ذرّة في السّماوات و الأرض إلّا و اللّه خالقها و خالق حركاتها و سكناتها.

. التّصديق بأنّ إرادة اللّه مطلقة و هي نوعان :

+ إرادة كونيّة قدريّة و هي القضاء و تعني أنّ اللّه هو الخالق لكلّ المخلوقات بإبداع و إحكام و إتقان، و هو سبحانه المتفرّد بالإيجاد و الإمداد و الإعداد. و هي إرادة لا يناط بها تكليف الإنسان، و لا يترتّب عنها لا ثواب و لا عقاب، و ما على الإنسان إلّا التّصديق و التّسليم لأنّه هو المخلوق الفقير إلى ربّه الغنيّ العظيم.

1. سورة القمر 49
2. رواه مسلم

قال سبحانه : إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ. (1)
+ إرادة شرعيّة دينيّة و هي القدر و المراد بها جميع ما شرّع الله لعباده من عقائد و عبادات و أحكام وحدود و آداب و أخلاق، و هي الّتي من أجلها منح الله العبد ما منحه من قدرة لإختيار أفعاله، فهي إرادة إختياريّة مسؤولة، يُنَاطُ بها تكليف الإنسان، و يترتّب عنها الثّواب و العقاب، و ما على العبد إلّا أن يطيع ربّه فيها و لا يخرج عنها.
قال سبحانه : قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا. (2)
و المعنى : قد أفلح من زكّى نفسه بطاعة الله و طهّرها من الرّذائل و المعاصي.
ثالثا : فوائد و ثمرات الإيمان بالقضاء و القدر عديدة منها :
. معرفة عظمة شأن الله في خلقه دالّة على وجوده سبحانه و مشيئته المطلقة.
. التّعلّق بمحبّة الله و الشّعور بالطمأنينة تجاه ما يجريه الله من أقدار، و اليقين بأنّ كلّ حادث واقع أو حياة أو موت أو خير أو شرّ أو نفع أو ضُرّ، وقع بإرادته التامّة وحكمته البالغة.
. السّعي و التوكّل على الله عند فعل الأسباب لأنّ الله هو مسبّب الأسباب، و البعد عن التّواكل و التّخاذل و التّكاسل لأنّ شرع الله يأمر بالعمل و البذل و العطاء.
قال تبارك و تعالى : ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ، أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ، الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ. (3)
و قال عليه أفضل الصّلاة و أزكى التّسليم : وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ رُفِعَتْ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ. (4)

1- سورة النحل 40
2- سورة الشمس 9-10
3- سورة الرّعد 29-30
4- رواه أحمد و الترمذيّ

4. مسألة رؤية اللّه جلّ جلاله :

كثر الجدل بين المتكلّمين حول رؤية اللّه سبحانه و تساءلوا هل تجوز رؤية اللّه تعالى ؟ و هل تكون رؤية اللّه في الدّنيا أو الآخرة؟

فصل المقال في هذه المسألة ما أجمع عليه أئمّة أهل السنّة و الجماعة هو :

أوّلا : الرّؤية معناها الإنكشاف التّام بالبصر، و هو إدراك الشيء على ما هو عليه.

ثانيا : رؤية اللّه سبحانه جائزة في دار الخلود، و ذلك للمؤمنين دون سواهم، مع تنزيه اللّه عن المقابلة و الجهة و المكان.

و قد إستندوا إلى أدلّة شرعيّة عديدة من الكتاب و السنّة. و ممّا ورد في كتاب قوله تعالى : وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ، إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. (1)

جاء في تفسير ابن كثير :» قال تعالى: «يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ» من النّضارة أي حسنة بهيّة مشرقة مسرورة،»إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ»أي تراه عيانا،كما رواه البخاري في صحيحه:«إنّكم سترون ربّكم عياناً»، و قد ثبت رؤية المؤمنين لله عزّ و جلّ في الدّار الآخرة...» (2)

كذلك قوله سبحانه في محكم تنزيله : لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ. (3)

و قد سئل رسول اللّه عن قول اللّه عزّ و جلّ: «لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ» قال : الْحُسْنَى : الجَنَّة، وَ الزِّيَادَةُ : النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَهِ عَزَّ وَ جَلَّ.

و ممّا ورد في السنّة قول المصطفى عليه الصّلاة و السّلام مخاطبا أصحابه الكرام : إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كما تَرَوْنَ هذا القَمَرَ، لا تُضَامُّونَ في رُؤْيَتِهِ. (4)

قال الإمام مالك : « لمّا حجب أعداءه لم يروه، تجلّى (اللّه) لأوليائه حتّى يروه، و لو لم ير المؤمنون ربّهم يوم القيامة، لم يعيّر الكافرون بالحجاب، قال اللّه تعالى : كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ». (5)

و قال الإمام الشّافعي : «في هذه الآية دليل على أنّ المؤمنين يرونه عزّ و جلّ يومئذ، لمّا حجب اللّه قوما بالسُّخط دلّ على أنّ قوما يرونه بالرّضا».

هذا هو موقف أهل السنّة و الجماعة من هذه المسألة، و فيه ردّ على فرقة المعتزلة و غيرها من الفرق الكلاميّة الّتي تدّعي أنّ رؤية اللّه مستحيلة في الدّنيا و الآخرة.

1- سورة القيامة 21-22
2- تفسير ابن كثير 576/3
3- سورة يونس 26
4- رواه مسلم
5- سورة المطففين 15

5. مسألة كلام الله و هل القرآن قديم أم مخلوق :

كثر الجدل بين النّاس حول كلام الله، ممّا دفع العلماء إلى البيان و التّفصيل في هذه المسألة.

فقد نفت بعض الفرق الكلاميّة كالجهميّة و المعتزلة صفة الكلام لله و غيرها من الصّفات ممّا جرّهم إلى القول بخلق القرآن، لأنّ تعدّد الصّفات في زعمهم يقتضي تعدّد القديم، و إثبات الصّفات يقتضي مشابهة ٱلله للحوادث، و الله منزّه عن الجهة و مشابهة الحوادث!!

هذا الموقف دفع أهل الكتاب و السنّة إلى الردّ على مزاعمهم فقالوا :

أوّلا : الكلام صفة أزليّة قائمة بذاته تعالى و ليست بحرف و لا صوت، منزّهة عن التقدّم و التأخّر و الإعراب و البناء.

ثانيا : صفة الكلام هي صفة قديمة من الصّفات الواجبة لله سبحانه لذاته، يتّصف بها عزّ و جلّ على ما يليق به، و هو سبحانه يتكلّم بما يشاء و كيف يشاء و متى شاء.

ثالثا : التّصديق بكلام الله واجب و الجزم بعدم مشابهته لكلام المخلوقين.

رابعا : كلمات الله لا تنفد و لا نهاية لها و تتنوّع إلى نوعين هما :

. كلماته التّشريعيّة و المراد بها كتب الله المنزّلة و هي : الزّبور و صحف إبراهيم و موسى و التّوراة و الإنجيل و القرآن، يقف عندها المؤمن المطيع لربّه، و يتعدّاها العاصي.

. كلماته الكونيّة و هي الّتي يخلق بها الخلق، و يقدّر بها المقادير و يقول للشيء كن فيكون، و يقف عندها المطيع و العاصي، و لا أحد يقدر أن يتحدّاها.

قال سبحانه : قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا. (1)

خامسا : وجوب الإعتقاد بأنّ القرآن الكريم هو كلام الله المعجز، منه بدأ و إليه يعود، و هو تنزيل من ربّ العالمين على نبيّه محمّد خاتم النبييّن و المرسلين كالتّوراة و الإنجيل بواسطة جبريل الأمين، و هو غير مخلوق و لا محدث و لا حادث، بل هو كلام الله القديم الأزليّ، و هو القول الأمر المتعلّق بالمكوّن فيما لا يزال.

1- سورة الكهف 104

هذا ما أجمع عليه أئمّة أهل السنّة و الجماعة في هذه المسألة و قد إستدلّوا بكثير من الآيات و الأحاديث في هذا الباب.
فمن آيات اللّٰه قوله عزّ و جلّ : وَإِنَّهُ لَتَنزيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأمِينُ، عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ. (1)
و من الحديث الصّحيح قوله عليه الصّلاة و السّلام : مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ سَيُكَلِّمُهُ اللّٰهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ وَ لَا حِجَابٌ يَحْجُبُهُ. (2)
و قال الإمام أبو حنيفة : اللّٰه يتكلّم لا ككلامنا، و نحن نتكلّم بالآلات و الحروف، و اللّٰه تعالى يتكلّم بلا آلة و لا حروف، و الحروف مخلوقة، و كلام اللّٰه تعالى غير مخلوق.
و قال الإمام مالك : القرآن كلام اللّٰه، و يُسْتَفْظَعُ قول من يقول : القرآن مخلوق.
و ورد عن الإمام البيهقيّ قوله : القرآن كلام اللّٰه، و كلام اللّٰه صفة من صفات ذاته و لا يجوز أن يكون شيء من صفات ذاته مخلوقا و لا محدثا و لا حادثا.
و صفوة الكلام أنّ اللّٰه سبحانه ليس كمثله شيء في ذاته و لا في أسمائه و لا في صفاته و لا أفعاله، و بذلك نسلم من تكذيب ربّنا و من الكذب عليه، و ننجو من عذابه المتوعّد به كلّ من افترى على اللّٰه زورا و بهتانا كما ورد في قوله سبحانه : فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ. (3)

1- سورة الشّعراء 192-193-194-195
2- رواه البخاري
3- سورة الزّمر 31

الفصل التّاسع : في النبوّات [مبحث واحد]
الإيمان بالرّسل الكرام و الكتب المنزّلة و الملائكة و الجنّ

تمهيد :

المراد بالنبوّات هي جملة المسائل العقائديّة الّتي تتناول بالدّرس معرفة ما يجب في حقّ الأنبياء و الرّسل عليهم الصّلاة و السّلام، و ما يجوز و ما يستحيل من الصّفات و الأخبار و ما يتعلّق بها. و قد أعار علماء التّوحيد هذا الموضوع أهمّيّة بالغة، و إعتبروه مبحثا مكمّلا لمباحث الإلاهيّات و الغيبيّات.

و من المسائل العقائديّة الهامّة ذات صلة متينة بهذا الباب هي :

المسألة الأولى : معنى النبوّة و هل هي إصطفاء أم إكتساب :

قال العلماء المحقّقون من أهل السنّة و الجماعة في هذا الشّأن: النبوّات مفردها نبوّة و هي الصّلة المتينة الّتي تربط النبيّ بالله عزّ و جلّ لتلقّي الوحي عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السّلام، و الّذي يتضمّن جملة من العقائد و الأوامر و النّواهي الإلاهيّة.

و النبوّة هي إصطفاء لا إكتساب بمعنى أنّ اللّه سبحانه بعث النبيّين و المرسلين و أنزل عليهم كتبا سماويّة بعد أن إصطفاهم أي إختارهم من صفوة خلقه، و أمرهم بإرشاد النّاس و هدايتهم إلى كثير من الحقائق و المعارف و العقائد و الاحكام الّتي يعجز العقل البشريّ على إدراكها و خاصّة تلك الّتي تتعلّق بعالم الغيب و أمر اللّه سبحانه عباده بالإقرار و التّصديق بها، إذ لا يمكن للإنسان أن يصل إليها عن طريق العقل و إنّما يدركها عن طريق الوحي الإلاهيّ.

قال جلّ ذكره : إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ. (1)

يخبراللّه تعالى في هاتين الآيتين أنّه إختار هذه البيوت على سائر أهل الأرض و جعل فيها أنبياء و رسلا مبشّرين و منذرين و داعين إلى الحقّ المبين.

1- سورة أل عمران 33-34

يقول العلّامة الشّهرستاني في كتابه "نهاية الإقدام" في بيان معنى النبوّة :"إنّ النبوّة ليست صفة راجحة إلى النبيّ و لا درجة يبلغ إليها أحد بعلمه و كسبه، و لا إستعدادا نفسيّا يستحقّ به إتّصالا بالرّوحانيّات، بل رحمة يمنّ الله بها على من يشاء من عباده".

المسألة الثّانية : ظاهرة الوحي :

ما أجمع عليه أهل العلم في هذه المسألة قولهم : الوحي هو ما أنزله الله على رسله، و يشمل أنباء الغيب و كلّ الشرائع و المواعظ.

و المقصود كذلك بالوحي هو كلام الله تعالى المنزّل على رسول من رسله لهداية عباده و إرشادهم إلى ما ينفعهم في دنياهم و أخراهم.

ذكر سبحانه في محكم التّنزيل أنّه أوحى إلى عبده و رسوله محمّدا صلّى الله عليه و سلّم، كما أوحى إلى غيره من الأنبياء المتقدّمين فقال : إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ، وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا. (1)

و هذه تسمية النبيّين و المرسلين الّذين نصّ الله على أسمائهم في القرآن الكريم و هم : آدم و إدريس و نوح و هود و صالح و إبراهيم و لوط و إسماعيل و إسحاق و يعقوب و يوسف و أيّوب و شعيب و موسى و هارون و يونس و داود و سليمان و إلياس و اليسع و زكريّا و يحيى و عيسى و كذا ذو الكفل، عند كثير من المفسّرين. (2)

إنّ الوحي حقيقة ثابتة، لا ينبغي إنكارها و لا التّعجّب منها، لأنّ البشر مهما أوتوا من علم، ليس في مقدورهم معرفة كلّ الحقائق و المعارف و خاصّة كلّ ما يتعلّق و يخصّ الأمور الغيبيّة.

ومن هنا تتّضح الضّرورة المتأكّدة لبعثة الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام ونزول الوحي عليهم، و حاجة النّاس إلى الرّسالات السماويّة في كلّ العصور و عبر كلّ الأجيال.

يقول الإمام محمّد رشيد رضا في كتابه "الوحي المحمّديّ" : "إنّ حاجة الأمم قد إشتدّت في عصرنا هذا إلى هداية الوحي الإلاهيّ، حتّى أشدّ إمعانا في عداوته، و لجاجا في نكايته، و جهلا بحقيقته". (3)

1- سورة النّساء 162
2- تفسير ابن كثير 465/1
3- كتاب الوحي المحمّديّ صفحة 40

المسألة الثّالثة : معجزات و آيات الرّسل عليهم السّلام :

المقصود بآيات الرّسل هي معجزاتهم و مفردها آية أو معجزة.

و الآية أو المعجزة هي الأمر الخارق للعادة الّذي يجريه اللّه على يد كلّ نبيّ مرسل من أنبيائه الكرام ليقيم به الدّليل القاطع على صدق نبوّته.

و قد سمّى العلماء الآيات بالمعجزات لأنّ العقل البشريّ يعجز عن تفسيرها و يستحيل على القدرة الإنسانيّة على الإتيان بها، فهي منن يهبها اللّه لصفوة خلقه، و هم النبيّون و المرسلون للبرهنة على صدقهم و أمانتهم و لتأييدهم و شدّ أزرهم ليبلّغوا رسالات اللّه إلى عباده و إقامة الحجّة عليهم.

لذلك يجب على المؤمن الإعتقاد فيها جازما بإعتبارها وسائل معرفيّة أساسيّة يحتاج إليها لإدراك كنه الحياة و إتّباع سبل الهداية و الرّشاد.

و من المعجزات الّتي أيّد اللّه بها رسله الكرام : النّار الّتي كانت بردا و سلاما على إبراهيم، و إنفلاق البحر لعصا موسى و إنقلابها إليه حيّة تسعى، و ولادة مريم لعيسى دون لقاح، و إحياء الموتى و إبراء الأكمه و الأبرص على يديه...

و أعظم هذه المعجزات و أبين الدّلالات و أصدق الحجج و البراهين و البيّنات هو القرآن الكريم الّذي أنزله اللّه سبحانه على خاتم النبيّين و سيّد المرسلين محمّد صلّى اللّه عليه و سلّم النبيّ المجتبى و الرّسول المصطفى.

و القرآن الكريم هو كلام ربّ العالمين المعجز الّذي ينصّ على أفضل العقائد و أقوم الشّرائع.

و القرآن الكريم هو معجزة اللّه الخالدة إلى يوم الدّين و هو هدى و رحمة للمؤمنين.

قال جلّ ذكره : وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا، قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي، هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ. (1)

بعد هذا التّأكيد على وجوب التّسليم و التّصديق بالنّبوّات و المعجزات، يأتي البيان و التّفصيل في بقيّة أصول الدّين و أركانه.

1- سورة الأعراف 203

1. الإيمان و التّصديق بالأنبياء و الرّسل الكرام دون إستثناء :

لفظ "الأنبياء" هو جمع لكلمة "نبيّ" و هو الإنسان الذّكر الحرّ العاقل السّليم من كلّ منفّر الّذي أوحى اللّه إليه بشرع يعمل به و لكنّه غير مأمور بتبليغه.

أمّا لفظ "الرّسل" أو "المرسلون" فهو جمع لكلمة "رسول" و هو الإنسان الذّكر الحرّ العاقل السّليم من كلّ منفّر الّذي أوحى اللّه إليه بشرع يعمل به و أمره بتبليغه.

إذن لفظ "رسول" أعمّ و أشمل من لفظ نبيّ، و عليه فكلّ رسول هو نبيّ و ليس كلّ نبيّ رسولا.

و لا بدّ من التّذكير بأنّه منذ بدء الخليقة، و رحمة بعباده فإنّ اللّه سبحانه أنزل على رسله رسالات إلاهيّة متعدّدة ذات أصول واحدة، كلّها تأمر بتوحيد اللّه و تدعو إلى الخير و العدل و الحقّ.

قال جلّ ذكره : وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّاغُوتَ، فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلَالَةُ، فَسِيرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ. (1)

و قد ختم اللّه هذه الرّسالات السماويّة برسالة محمّد عليه الصّلاة و السّلام و هي رسالة الإسلام، و جعلها رسالة شاملة عامّة للنّاس جميعا، و جعل نبيّه الكريم خاتم النبيّين و المرسلين.

قال سبحانه : وَ مَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ. (2)

و خلاصة ما أقرّه علماء التّوحيد من أهل السنّة و الجماعة في هذا الباب ، تتمثّل في:

أوّلا : وجوب العلم التّامّ و التّصديق الجازم بنبوّة الأنبياء و المرسلين و برسالاتهم و بكلّ ما جاءت النّصوص الشّرعيّة الواردة في الكتاب و السنّة بشأنهم و قصصهم دون التّفريق بينهم.

ثانيا : الإيمان بما سمّى اللّه منهم تفصيلا كنوح و إبراهيم و موسى و عيسى و محمّد... و الإيمان إجمالا بما لم يسمّه منهم.

ثالثا : التّصديق بأمانتهم و عصمتهم و صدقهم و تبليغهم لرسالاتهم فهم الهداة المهديّون، و هم أكمل الخلق علما و عملا، و أشرفهم نسبا و أزكاهم نفوسا.

1- سورة النّحل 36
2- سورة الأنبياء 106

و للإيمان بالأنبياء و الرّسل جميعا ثمرات و فوائد منها :
. محبّتهم و الثّناء عليهم و التأسّي بهم في الدّعوة إلى الله لأنّهم القدوة في إتّباع الحقّ و الرّحمة و النّصح للخلق.
. الإهتداء بهديهم و التّأسّي بهم في النّوايا و الأقوال و الأفعال.
قال عزّ و جلّ : وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ، وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا. (1)

2. الإيمان و التّصديق بالكتب المنزّلة كلّها :

لفظ "الكتب" هو جمع لكلمة "كتاب"، و المقصود بالكتب المنزّلة هي الرّسالات السّماويّة الّتي أنزلها الله على رسله الكرام المتضمّنة لعقيدة التّوحيد و التّشريعات و الأحكام و النّظم و أصول الحلال و الحرام لهداية النّاس و إخراجهم من الظّلمات إلى النّور.
فهي رسالات ربّانيّة منزّلة على رسل الله الكرام، كلّها تتّفق في الدّعوة إلى توحيد الله و إن تفاوتت في بعض فروع الشّرائع.
قال جلّ ذكره : الم، اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ. (2)
و لا يتحقّق الإيمان بالكتب المنزّلة إلّا بأمور أساسيّة كما بيّنها أهل العلم و هي :
أوّلا : و جوب العلم التامّ و التّصديق بالكتب المنزّلة ممّا سمّى الله منها تفصيلا كصحف لإبراهيم و موسى، و الزّبور الّذي أنزل على داود، و التّوراة الّتي أنزلت على موسى و الإنجيل الّذي أنزل على عيسى و القرآن الّذي أنزل على محمّد، و هو خاتم الكتب السّماويّة و المهيمن عليها و النّاسخ لشعائرها و أحكامها، كذلك وجوب الإيمان إجمالا بما لم يسمّه الله منها.
ثانيا : التّصديق بأنّها كلّها كلام الله، و هي وحي أنزله الله على رسله و فيها دعوة إلى توحيد الله و بيان لأحكامه و تشريعاته.

1- سورة النّساء 151
2- سورة آل عمران 1-2-3-4

ثالثا : الإعتقاد بأنّ الله أقام بها الحجّة على المخاطبين بها من عباده، و قد إتّضحت لهم بها المِحَجَّةُ أي الطّريق الموصلة إلى الله.
و للإيمان بالكتب المنزّلة ثمرات و فوائد جمّة منها :
. شكر الله و الثّناء عليه لما بيّن فيها من عقائد و عبادات و معاملات و أخلاق، و على ما أَعْظَمَ من مثوبات.
. عبادة الله على بصيرة بما جاء في كتب الله و خاصّة بما نصّ عليه القرآن الكريم آخر الرّسالات السّماويّة الّذي أنزله على نبيّه الكريم و المبعوث رحمة للعالمين.
قال جلّ ذكره مخاطبا عباده المؤمنين : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ، وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا. (1)

3. الإيمان و التّصديق بجميع الملائكة و الجنّ :

لفظ "الملائكة" جمع "ملاك" أو "مَلَك" و هي كائنات غيبيّة غير مرئيّة، لا تحصى و لا تدركها الحواسّ، خلقها الله من نور و طبعها على الطّاعة و الخير و نزّهها على المعصية و الشرّ.
أمّا لفظ "الجنّ" أو "الجانّ" أو "الجِنّة" فهو جمع لكلمة "جنّي" أو "جنيّة" و هي كذلك كائنات غيبيّة غير مرئيّة، لا تحصى و لا تدركها الحواس، خلقها الله من مارج من نار (المارج هو اللّهب الّذي لا دخان فيه)، و حالها كحال الإنس، و هي نوعان : جنّ مؤمن بارّ صالح، و جنّ كافر فاجر طالح، و هذا الصّنف الثّاني يُعرف "بالشياطين" و مفرده "شيطان" أو "الأبالسة" و مفرده "إبليس" (معناه الّذي لعنه الله و أطرده من رحمته).
و إنّ الإيمان و التّصديق بجميع الملائكة و الجنّ هو ركن من أركان عقيدة المسلم، لا يكتمل إلّا به دون شكّ أو ريبة. و لا يتحقّق الإيمان بهم إلّا بأمور أقرّها العلماء المحقّقون.

1. سورة النّساء 135

أوّلا : بالنّسبة للملائكة

- التّصديق بوجود الملائكة، و بما جاءت به النّصوص من صفاتهم و وظائفهم و الحكمة من خلقهم.

- الإيمان بهم تفصيلا بمن علمنا إسمه من طريق الوحي على وجه الخصوص كجبريل و يسمّى "روح القدس" أو "ملك الوحي"، المأمور بإبلاغ كلام اللّه إلى أنبيائه و رسله، و ميكائيل الذّي وكّله اللّه على المطر و النّبات، و إسرافيل ووظيفته التّي وُكِّلَ بها النّفخ في الصّور يوم القيامة، و عزرائيل و هو مُوَكَّلٌ بقبض أرواح العباد، و رضوان و كلّه اللّه بخزانة الجِنان، و مالك الذي وكّله اللّه على جهنّم.

و نؤمن إجمالا بما لا نعلم إسمه منهم.

- الإعتقاد بما علمنا من أعمالهم و تبرئتهم و تنزيههم ممّا زعمه المشركون فيهم من أنّهم إناث أو بنات اللّه أو أنّهم يشفعون عند اللّه بغير إذنه سبحانه.

و من ثمرات الإيمان بالملائكة جميعا نذكر :

- التأسّي بهم في دوام طاعتهم لله و حسن عبادتهم له و هذا ممّا يحمل على كمال الإستقامة و إستدامة الطّاعة.

- شكر اللّه على عنايته ببَني آدم، حيث وكّل اللّه بهم الملائكة الكرام يحفظونهم و يحفظون عليهم أعمالهم و يعينونهم على عبادة اللّه.

قال اللّه سبحانه في شأن الملائكة : لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ. (1)

و قد أخبر رسول اللّه عن الملائكة فقال : إِنَّ لِلهِ مَلَائِكَةً فِي الأَرْضِ سَيَّاحِينَ، يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ.. (2)

ثانيا : بالنّسبة للجنّ

الإيمان بالجِنّ مكمّل لركن الإيمان بالملائكة خاصّة، ولأركان الإيمان الستّة عامّة، لذلك يجب على المؤمن :

الإعتقاد في وجود الجنّ، و بما ورد في كتاب اللّه و سنّة رسوله من صفاتهم و أعمالهم و الحكمة من خلقهم.

1- سورة التّحريم 6
2- رواه أحمد

- الإيمان بهم تفصيلا بمن علمنا إسمه، و ما لم نعلم و بِصِنْفَيْهِمْ : صنف المؤمنين المقسطين أي العادلين و صنف الكافرين القاسطين أي الظّالمين.

و من ثمرات الإيمان بالجنّ :

- التحصّن من شياطين الجنّ و الإحتراز منهم بطرق عدّة.
- تصديق اللّه في أي أمر يخبر به من عالم الغيب، فالملائكة و الجان من الغيب المحض و على المؤمن التّصديق بهم جميعا و بجميع الغيبات التي سيأتي الحديث عنها.

قال سبحانه مخبرا عن شأن الجنّ : وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ، فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا، وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا. (1)

و من السنّة النبويّة المخبرة عن وجود الجان قوله عليه الصّلاة و السّلام : ما مِنكُم مِن أحَدٍ، إلَّا وقدْ وُكِّلَ به قَرِينُهُ مِنَ الجِنِّ قالوا: وإيَّاكَ؟ يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: وإيَّايَ، إلَّا أنَّ اللَّهَ أعانَنِي عليه فأسْلَمَ، فلا يَأْمُرُنِي إلَّا بخَيْرٍ. (2)

سؤال هامّ متداول بين النّاس :

هل أنّ شياطين الجنّ و الإنس قادرة على إذاية البشر، و كيف يمكن التحصّن منهم؟

الجواب : أقول بإيجاز : إنّ أذى شياطين و أبالسة الجنّ و الإنس ثابت لا يُنْكَرُ، و هذا ما أقرّه العلماء و المحققون، و إستدلّوا على ذلك بما جاء في الكتاب العزيز و السنّة المطهّرة.

و من الكتاب العزيز قوله تعالى : وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا، وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ، فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ. (3)

و من السنّة المطهّرة ما رواه ابن جرير عن أبي ذرّ قال : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ فِي مَجْلِسٍ قَدْ أَطَالَ فِيهِ الجُلُوسَ فَقَالَ : يَا أَبَا ذَرٍّ هَلْ صَلَّيْتَ؟ قُلْتُ : لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ. قَالَ : ثُمَّ جِئْتُ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ فَقَالَ : يَا أَبَا ذَرّ هَلْ تَعَوَّذْتَ بِاللَّهِ مِنْ شَيَاطِينِ الجِنِّ وَ الإِنْسِ؟ قَالَ قُلْتُ : لَا يَا رَسُولَ اللَّه وَ هَلْ لِلإِنْسِ مِنْ شَيَاطِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ هُمْ شَرٌّ مِنْ شَيَاطِينِ الجِنِّ (4)

1- سورة الجنّ 14-15
2- رواه مالك و مسلم و أبو داود
3- سورة الأنعام 113
4- رواه الإمام أحمد

أمّا التحصّن و الإحتراز من إذاية شياطين الإنس و الجنّ فيكون بوسائل عدّة منها:

- الإستعاذة بالله : و هي قول أعوذ بالله من الشّيطان الرجيم
- قراءة المعوذتين : و هما «سورة الفلق» و «سورة النّاس»
- قراءة آية الكرسيّ : و هي الآية 253 و الآية 254 من سورة البقرة.
- قراءة سورة البقرة بأكملها.
- ذكر « لا إلاه إلاّ اللّٰه وحده لا شريك له، له الملك و له الحمد و هو على كلّ شيء قدير» في اليوم مائة مرّة.
- الوضوء عند الغضب ...

كلّ هذه الوسائل للتحصّن من أذى شياطين الإنس و الجنّ مذكورة في الكتاب و السنّة، و ما على المؤمن إلاّ العمل بها ليكون في حفظ اللّٰه من كلّ سُوءٍ و مكروه.

الفصل العاشر : في الغيبيات أو السّمعيات [مبحث واحد]
الإيمان بكلّ الغيبيات المتعلّقة بالموت و ما بعد الموت من حياة برزخيّة و أحوال يوم القيامة

تمهيد :

كلمة "الغيبات" تعني المسائل العقائديّة المتعلّقة بعالم الغيب و هي أمور غير مرئية و غير مشاهدة، والتّي يجب الإعتقاد فيهاإعتقادا جازما.

و تُطْلَقُ عليها كذلك كلمة "السّمعيات" و هي الأخبار الغيبيّة التّي وصلت إلينا بالسّماع من الصّادق الصّدوق محمّد عليه أفضل الصّلاة و أزكى التّسليم عن طريق الوحي الذي أنزله اللّه تعالى عليه.

يقول ربّ العزّة في كتابه العزيز : هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ. (1)

فقد أخبر اللّه عباده في هذه الآية الكريمة أنّه سبحانه لا ربّ سواه و لا معبود غيره، و أنّه الخالق و العالم بجميع الكائنات الغيبيّة و المشاهدة الدالّة على عظمته سبحانه.

كذلك تقرّر الآية الكريمة أنّه سبحانه عَالِمُ الغيب و الشّهادة و هو الخالق لِعَالَمَيْنِ إثنين :

أوّلهما : عَالَمُ الغيب و هو عَالَمٌ غير منظور و غير مشاهَد و غير ملموس، و هو ما يُعبَّر عنه "بعالم ما وراء الطبيعة" أو عالم "الميتافيزيقا"، و هو عالَم لا يدخل في منطقة العقل البشري ولا يعلم حقيقته إلاّ اللّه سبحانه، و الإنسان مأمور بالتصّديق به.

و يشمل "عالم الغيب" كلّ الكائنات غير المرئيّة و غير المشاهدة التّي خلقها اللّه من ملائكة و جنّ و أرواح و كلّ ما يتعلّق بالموت و ما بعد الموت من حياة برزخيّة و أحوال يوم القيامة من حشر و نشر و حساب و جزاء...

قال جلّ و علا : تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ.(2)

1- سورة الحشر 22
2- سورةالملك 1-2

ثانيهما : عالم الشّهادة هو عالم مشاهد و منظور و ملموس، لا يمكن للإنسان إنكاره لأنّه تحت طائلة عقله و حواسه و تجاربه.
و يشمل"عَالَمُ الشّهادة" كلّ المخلوقات المرئيّة و المشاهدة التّي خلقها اللّه في الكون و أبدع صنعها من بشر و شجر و حيوانات و سماوات و أراضين و أقمار و بحار و أنهار... وهي كائنات فانية زائلة تنتهي الحياة فيها بأقدارها التّي قدّرها اللّه لها.
قال جلّ ذكره : كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ.(1)
فماهي الغيبيات أو السّمعيات ألّتي يجب على المؤمن العلم بها علما تامّا و التّصديق بها تصديقا خالصا؟
هذه الغيبيات أو السّمعيات الواردة في كتاب اللّه و سنّة رسوله و التّي يجب الإعتقاد فيها تتضمّن الأمور التّالية :

1 – الإيمان و التّصديق بكلّ الأمور الغيبيّة المتعلّقة بالموت

من الأمور الغيبيّة المتعلّقة بالموت والتّي يجب على المؤمن التّصديق و التّسليم بها نذكر:

أوّلا : الموت حقّ

الموت أمر محتوم و لا يمكن إنكاره، لذلك يجب على كلّ مؤمن التّسلي م به و الإستعداد له لملاقاة ربّه و هو راضٍ عنه قال سبحانه و هو أصدق القائلين : كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ، وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيٰمَةِ، فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ، وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ. (2)

ثانيا : مسألة الرّوح

الإنسان مخلوق مركّب من أبعاد ثلاثة : جسد و عقل و روح، فالجسد هو كتلة من المعادن تتألّف منها تربة الأرض، و بالجسد يتحرّك الإنسان و يحسّ و يعمل و يأكل و يشرب...
و العقل هو طاقة فكريّة ميّز اللّه به الإنسان عن سائر مخلوقاته، و به يدرك الإنسان الأشياء و يعيها، و به يتعلّم و يريد و يختار و يرفض و يحبّ و يكره...

1- سورة الرحمان 24 - 25
2- سورة آل عمران 185

و أمّا الرّوح (و جمعه أرواح) تسير في الجسد كسريان الماء في عروق الشّجر، لا يدرك حقيقتها إلّا اللّه سبحانه، و هي ممّا إستأثر اللّه بعلمه، و هي كذلك سرّ من أسراره و غيب من غيوبه.

و هذا مصداق قول اللّه تعالى : وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ، قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا. (1)

لذا لا يجوز الخوضَ في شأنها لعجز البشر عن إدراك حقيقتها بكلّ تفاصيلها، إلّا أنّ اللّه ألهم الإنسان شيئا من بديع خلقه، و هو الوقوف على بعض النتائج تقوم بها الرّوح، إذ مفارقتها للجسد و قبضها يكون الموت، فيفنى الجسد و تبقى الرّوح تسمع و تعرف من يزورها و تردّ عليه السّلام، و تتنعّم أو تتعذّب حسب أعمالها في الدّنيا.

فعن ابن عبّاس رضي اللّه عنه أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال : مَا مِنْ رَجُلٍ يَمُرُّ بِقَبْرِ الرَّجُلِ كَانَ يَعْرِفُهُ فِي الدُّنْيَا فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ رُوحَهُ حَتَّى يَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَ قَدْ مَرَّ فِي المَطَاعِمِ وَ المَشَارِبِ فِي الجَنَّةِ فَلْيَرْجِعْ إِلَيْهِ. (2)

ثالثا : مسألة قبض الأرواح

يقول الحقّ تبارك و تعالى في خصوص قبض الأرواح : وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ. (3)

تقرّر الآية الكريمة أنّ اللّه سبحانه هو المحيي و المميت، فإذا إحتضرت النّفس البشريّة و جاء أجلها، أوكل اللّه ملائكته (ملك الموت عزرائيل و أعوانه) بقبض روحها و إنتزاعها من جسدها برفق إن كانت نفسا مؤمنة، و بقسوة إن كانت كافرة.

و هذا مصداقا لقوله سبحانه: وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا، وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا، وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا، فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا، فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا. (4)

و قد فسّر ابن كثير هذه الآيات الكريمة بقوله : " هي الملائكة حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تُأخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها، و منهم من تُأخذ روحه بسهولة و كأنّها حُلّت من نشاط". (5)

و قال ابن عبّاس رضي اللّه عنه :" لملك الموت أعوان من الملائكة يُخْرِجُونَ الرّوح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا إنتهت إلى الحلقوم."

1. سورة الإسراء 85
2- رواه ابن عبد البرّ
3- سورة الأنعام 62
4- سورة النّازعات 1-2-3-4-5
5- تفسير ابن كثير 595/3

2 – الإيمان و التّصديق بالحياة الغيبيّة البرزخيّة و أحوالها :

لقد خلق اللّه الإنسان في أحسن تقويم و نفخ فيه من روحه و جعله خليفته في الأرض، يتنقّل من مرحلة إلى أخرى و من دار إلى دار و من حياة إلى حياة إلى أن يلقى اللّه ربّه.

و هذه الدّور (جمع دار) أو الحَيَوَاتُ (جمع حياة) أربعة كما أقرّها العلماء و هي :

الحياة الأولى : هي حياة الظّلمات الثّلاث و الإنسان جنين في بطن أمّه، و هو في حالة تكوين و تحرّك و حصر و ضيق.

الحياة الثّانية : هي الحياة الدّنيا الّتي يعيش فيها الإنسان ما قدّر اللّه العيش، و هي دار كسب و عمل و فناء، تتهيّأ فيها أسباب سعادته أو شقاوته حسب ما كسبت يداه.

الحياة الثّالثة : هي الحياة البرزخيّة أو حياة البرزخ، و هي الحياة الّتي تنفصل فيها الأرواح عن أجسادها بالموت، و تكون إمّا منعّمة أو معذّبة حسب ما صدر عنها من أفعال في الحياة الدّنيا

الحياة الرّابعة : هي الحياة الآخرة، و هي الّتي تعود فيها الأرواح إلى أجسادها، فتلقى جزاءها من نعيم الجنّة أو عذاب الجحيم، و هي دار جزاء و خلود.

قال سبحانه منبّها الإنسان على ضعف أصله الّذي خُلق منه و على مصيره يوم القيامة: فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ، خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ، يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ، إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ، يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ فَمَا لَهُ مِنْ قُوَّةٍ وَلا نَاصِرٍ. (1)

و عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال : حدّثنا رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم، و هو الصّادق المصدوق : إنَّ أحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ في بَطْنِ أُمِّهِ أرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَكونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فيُؤْمَرُ بأرْبَعِ كَلِمَاتٍ، ويُقَالُ له: اكْتُبْ عَمَلَهُ، ورِزْقَهُ، وأجَلَهُ، وشَقِيٌّ أوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فيه الرُّوحُ، فإنَّ الرَّجُلَ مِنكُم لَيَعْمَلُ حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَ الجَنَّةِ إلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عليه كِتَابُهُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ النَّارِ، ويَعْمَلُ حتَّى ما يَكونُ بيْنَهُ وبيْنَ النَّارِ إلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عليه الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ. (2)

1- سورة الطّارق 5 إلى 10
2- رواه مسلم

هذه النّصوص من الكتاب و السنّة، تذكّر الإنسان بكلّ مراحل خلقه و تكوينه، و تدعوه إلى النّظر و التّدبّر فيها و الإقرار بعظمة الخالق سبحانه.
فتبارك اللّه أحسن الخالقين، و تبارك اللّه فاطر الإنسان خالقه و مميته و محييه و مسعده و مشقيه.
و ما على الإنسان إلّا التذلّل لله و التّفكّر في خلقه و الإلتزام بهديه سبحانه.
و خلاصة ما أجمع عليه علماء التّوحيد بخصوص الحياة البرزخيّة هي : وجوب العلم التامّ و الإعتقاد الجازم بحياة البرزخ، فهي حياة تربّص و إنتظار إلى قيام السّاعة، ففيها تستقلّ الأرواح عن الأبدان، فتنعم و تسعد في فترة تربّصها أو تشقى و تتعذّب مدّة حبسها و إنتظارها كما جاءت الأخبار الصّحيحة في كتاب اللّه و سنّة رسوله.
و في سياق الحديث عن الأرواح فقد ردّ أهل الكتاب و السنّة على القائلين بعقيدة تناسخ الأرواح... أو تقمّصها لدى المصريّين القدامى و بلاد الهند و الصّين و اليونان... فتناسخ الأرواح عندهم هو إنتقال روح الإنسان الميّت من جسده إلى جسد إنسان آخر بحسب عمله.
أمّا تقمّصها فهو إنتقال روح الميّت إمّا إلى إنسان آخر و إمّا إلى حيوان حسب عمله في تصوّرهم و إعتقادهم.
و قد أبطل علماء التّوحيد هذه العقيدة و قالوا : إنّ عقيدة تناسخ الأرواح أو تقمّصها تتنافى مع العدل الإلاهي بين العباد، لأنّها تنسب الظّلم إلى الخالق البارئ المصوّر، و اللّه منزّه عن الظّلم كما أنّها تتعارض مع الثّواب و العقاب الأخرويّ.
و قد إستند علماء أهل السنّة و الجماعة إلى أدلّة كثيرة و من الكتاب و السنّة لإبطال هذه العقيدة الفاسدة.

3 – الإيمان و التّصديق بقيام السّاعة و أشراطها :

"السّاعة" إسم من أسماء يوم القيامة، و هو يوم عظيم و أهمّ حدث كونيّ حيث تُطوى عنده السّماوات و الأرض. و أمّا ميقات السّاعة أي موعدها فهو في علم اللّه وحده و قد أخفاه اللّه تبارك و تعالى عن جميع خلقه بمن فيهم الأنبياء و الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام.

و قد صرَّح القرآن الكريم بهذا الأمر في العديد من الآيات منها قوله سبحانه : يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا، فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَاهَا، إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَاهَا، إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَاهَا، كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا. (1)

و في الحديث الشّريف حينما سأل جبريل عليه السّلام النبيّ عليه أفضل الصّلاة و أزكى التّسليم عن وقت السّاعة، أجاب : مَا المَسْؤُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ. (2)

أمّا أشراط السّاعة (جمع شرط) أي علاماتها (جمع علامة) و أماراتها (جمع أمارة)، فهي أحداث تؤذن بقرب فناء الكون و دماره و خرابه، و قد أخبر اللّه عنها في كتابه و أمر عباده بالتّصديق بها و عدم الغفلة عنها إستعدادا ليوم القيامة و ما يترتّب عنه من حساب و جزاء.

قال سبحانه : فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً، فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا، فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ. (3)

كذلك أخبر رسول اللّه بأشراطها و أماراتها، و هو عليه الصّلاة و السّلام الحاشر و العاقب الّذي ليس بعده نبيّ.

و قد قسّم العلماء أشراط السّاعة إلى قسمين :

القسم الأوّل : أشراط السّاعة الصّغرى :

و قد ذكر القرآن الكثير من أشراط السّاعة الصّغرى، كذلك تواترت الأحاديث الشّريفة حولها و أهمّها :

. بعثة النبيّ محمّد و ختم النبوّة و الرّسالة به. فعن أنس رضي اللّه عنه أنّ النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم قال : بُعِثْتُ أنا والسَّاعَةَ كَهذِه مِن هذِه، أوْ: كَهاتَيْنِ وقَرَنَ بيْنَ السَّبَّابَةِ والوُسْطَى. (4)

1- سورة النّازعات من 41 إلى 45
2- رواه مسلم و التّرمذي
3- سورة محمّد 19
4- رواه البخاري

.إنشقاق القمر، و قد ذكره الله في كتابه العزيز مقرونا بالإخبار بإقتراب السّاعة في قوله سبحانه: اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ، وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ. (1)

و قد انشقّ القمر فعلا على عهد رسول الله، و يُعْتَبَرُ إنشقاقه معجزة من معجزاته الّتي أيّد الله بها نبيّه الكريم.

.إضاعة الأمانات، و قد ظهرت هذه العلامة في معاملات النّاس خاصّة فيما بينهم.

و قد سئل رسول الله عن علامات السّاعة فأجاب بقوله : إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ, قال: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا يَا رَسُولَ اللَهِ؟ قال: إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ, فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ. (2)

. تقارب الزّمان بقلّة البركة في الأوقات، و رفع العلم، و البخل و الشحّ في الخير، و ظهور الفتن و المفاسد، و كثرة القتل في النّاس... و قد تفشّت هذه الآفات و غيرها بين النّاس في العصور الغابرة و عصرنا الحاضر، و قد أخبر عنها رسول الله الصّادق الصّدوق قائلا : يَتَقارَبُ الزَّمانُ، ويَنْقُصُ العِلْمُ، ويُلْقَى الشُّحُّ، وتَظْهَرُ الفِتَنُ، ويَكْثُرُ الهَرْجُ. قالوا: يا رَسولَ اللَّهِ، أيُّمَ هُوَ؟ قالَ: القَتْلُ القَتْلُ. (3)

.كثرة الزّلازل، و التّطاول في البنيان، و فشوّ الفواحش كالزّنا و الرّبا و الميسر (القمار) و شرب الخمر، و فساد الأخلاق و سقوط القيم، و تكذيب الصّادق، وتصديق الكاذب، و ظهور المتنبّئين و الدّجالين...

فلا أحد ينكر أنّ هذه العلامات تفشّت بين النّاس، و أنّ الإنسانيّة تعيش في تاريخها المعاصر خاصّة أزمات إجتماعيّة و إقتصاديّة و صحّية و نفسيّة و أخلاقيّة بالأساس.

نسأل الله تعالى أن يراجع بنا و يردّنا إلى ديننا ردّا جميلا.

القسم الثّاني : أشراط السّاعة الكبرى :

هذه الأشراط سُمِّيت بالأشراط الكبرى لشدّة الهول الّذي ينتاب النّاس من جرّاء حصولها، و هي كثيرة و لا يجوز للمؤمن إنكارها أو التّشكيك في حصولها لثبوتها في كتاب الله و سنّة رسوله، و منها هذا الحديث الشّريف الّذي جمع عشرا من علامات السّاعة الكبرى.

1- سورة القمر 1-2-3
2- رواه البخاري
3- أخرجه البخاري

فعن حذيفة بن أسيد الغفاري قال : اطَّلَعَ النبيُّ صلَّى اللّٰهُ عليه وآلِه وسلَّم علينا ونحن نتَذاكَرُ فقال ما تَذكُرونَ قالوا نَذكُرُ الساعةَ قال إنها لن تَقومَ حتى ترَوا قبلَها عشْرَ آياتٍ فذَكَر الدُّخانَ والدجَّالَ والدابَّةَ وطُلوعَ الشمس من مَغرِبِها ونُزولَ عيسى ابنِ مريمَ صلَّى اللّٰه عليه وآلِه وسلَّم ويَأجوجَ ومَأجوجَ وثلاثَ خُسوفٍ خَسفٌ بالمَشرِقِ وخَسفٌ بالمَغرِبِ وخَسفٌ بجزيرةِ العربِ وآخِرُ ذلك نارٌ تَخرُجُ من اليمَنِ تَطرُدُ الناسَ إلى مَحشَرِهم. (1)

و هذا تفصيل و بيان لما جاء في هذا الحديث الشّريف.

. العلامة الأولى : الدّخان: و هو دخان يملأ السّماء و الأرض قبل قيام السّاعة، و آية الدّخان ثابتة في كتاب اللّٰه و سنّة رسوله. قال تعالى : فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ، يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ، رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ. (2)

و عن أبي مالك الأشعري رضي اللّٰه عنه قال : قال رسول اللّٰه صلّى اللّٰه عليه و سلّم : إنَّ رَبَّكُمْ أنْذَرَكُمْ ثَلاثا: الدُّخانُ يَأْخُذ المُؤْمِنَ كالزُّكْمَةِ, ويَأْخُذُ الكَافِرَ فَيَنْتَفِخَ حتى يَخْرُجَ مِنْ كُلّ مَسْمَعٍ مِنْهُ, والثَّانِيَة الدَّابَّةُ, والثَّالِثَة الدَّجَّالُ. (3)

. العلامة الثّانية : ظهور المسيح الدجّال : و هو رجل يهوديّ الأصل، يخرج على النّاس في آخر الزّمان، و يدّعي الألوهيّة و يتظاهر بالصّلاح و الإستقامة فيتّبعه خلق كثير معظمهم من اليهود، إلّا أنّ رسول اللّٰه حذّر النّاس منه و من دجله و كذبه، و يخبر بإنجلاء أمره فيقتل على يد عيسى عليه السّلام عند نزوله.

فعن عائشة رضي اللّٰه عنها قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَهِ يَسْتَعِيذُ فِي صَلَاتِهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَجَّال. (4)

. العلامة الثّالثة : ظهور دابّة الأرض : قال سبحانه : وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ. (5)

ففي هذه الآية إخبار عن خروج دابّة تكلّم النّاس حينما يأتي أمر اللّٰه كمقدّمة من مقدّمات السّاعة.

1- رواه مسلم
2- سورة الدخان 9-10-11
3- رواه ابن جرير و الطّبراني
4- رواه البخاري
5- سورة النّمل 84

و عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ النبيّ قال : إِنَّ أَوَّلَ الآيَاتِ خُرُوجًا طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَخُرُوجُ الدَّابَةِ عَلَى النَّاسِ ضُحًى، وَأَيُّهُمَا كَانَتْ قَبْلَ صَاحِبَتِهَا فَالأُخْرَى عَلَى إِثْرِهَا قَرِيبَةً. (1)

و يجب على المؤمن الإعتقاد في أنّ خروج الدّابّة غيب من الغيوب، و الوقوف عندما أخبر به القرآن و السنّة الصّحيحة و لا ينبغي البحث عمّا وراء ذلك من التّفاصيل و الغرائب الّتي قيلت في وصف الدّابّة.

. العلامة الرّابعة : طلوع الشّمس من المغرب : عن أبي هريرة أنّ النبيّ قال : لا تَقُومُ السَّاعَةُ حتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِن مَغْرِبِها، فإذا طَلَعَتْ فَرَآها النَّاسُ آمَنُوا أجْمَعُونَ، فَذلكَ حِينَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا. (2)

و معنى طلوع الشّمس من مغربها، أنّها تظهر للنّاس طالعة من جهة المغرب، في وقت الصّباح، بدلا من ظهورها لهم من ناحية المشرق كما كان دأبها كلّ يوم.

. العلامة الخامسة : نزول عيسى بن مريم عليه الصّلاة و السّلام : من أهمّ الظّواهر الكونيّة الخارقة للعادة الّتي ستظهر و تكون علامة من العلامات الكبرى للسّاعة نزول عيسى بن مريم عليه الصّلاة و السّلام إلى الأرض حَكَمًا عَدْلًا، يمكث في الأرض مدّة من الزّمن، يقيم عليها عقيدة الإسلام و شرعه، و يقتل الدجّال، ثمّ يموت، ثمّ يكون يوم القيامة، تُقبض فيه أرواح العباد جميعا.

كذلك لا بدّ من الإشارة إلى أنّ الله أبطل ما إدّعته اليهود و النّصارى من قتل عيسى و صلبه، و قد أخبر الله أنّ الأمر لم يكن كذلك و إنّما شُبِّهَ لهم فقتلوا الشّبه و أنّ الله سبحانه رفع عيسى عليه السّلام إليه و أبقاه حيّا ثمّ ينزله يوم القيامة، و هذا مصداق قوله سبحانه : وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ، وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ، مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ، وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا، بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا. (3)

و قد جاء في الحديث الشّريف قوله صلّى الله عليه و سلّم : الأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ؛ أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُم وَاحِدٌ ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاس بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ ، وَإِنَّهُ نَازِلٌ ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ... (4)

1- رواه الشّيخان و أبو داود
2- رواه البخاري
3- سورة النّساء 156-157
4- رواه أبو داود

. العلامة السّادسة : ظهور يأجوج و مأجوج : قد تحدّث القرآن الكريم عن يأجوج و مأجوج، وهم أمّة كبيرة من الخلق، تظهر في آخر الزّمن، فتنشر الفساد و الدّمار في الأرض، غير أنّ كتاب اللّه أخفى عنّا طبيعتهم و ميعاد ظهورهم،إلّا أنّ الإيمان بظهورهم ضروريّ لثبوت أخبارهم في الكتاب و السنّة و لا عبرة في الخوض فيما ورد من تفصيلات في شأنهم. قال سبحانه مخبرا عنهم : حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ، وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ. (1)

كما أخبر رسول اللّه عنهم فقال عليه الصّلاة و السّلام : ويبعَثُ اللَّهُ يأجوجَ، ومَأجوجَ، وَهُم كما قالَ اللَّهُ: مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ، فيمرُّ أوائلُهُم على بُحَيْرةِ الطَّبريَّةِ، فيَشربونَ ما فيها، ثمَّ يمرُّ آخرُهُم فيَقولونَ: لقد كانَ في هذا ماءٌ مرَّةً. (2)

. العلامة السابعة : خروج النّار : ذكرت هذه العلامة الكبرى في الحديث السّابق حيث قال رسول اللّه في آخر الحديث : وَ آخِرُذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنْ اليَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ لِمَحْشَرِهِمْ.

فخروج النّار في آخر الزّمن علامة كبرى لقيام السّاعة يجب التّصديق بها دون البحث عن تفاصيلها.

. علامة أخرى من العلامات الكبرى : ظهور المهدي المنتظر : و خلاصة ما جاء في السنّة النبويّة في خصوص هذه العلامة الكبرى : أنّ المهدي المنتظر هو رجل صالح، يظهر في آخر الزّمان، يُعلِي كلمة التّوحيد و يمكّن الإسلام بين النّاس في عهده، و إثر ظهوره يخرج الدّجّال محاولا فتنة النّاس عن دينهم لكن اللّه يبطل عمله بإنزال عيسى عليه السّلام فيقتل الدّجّال و يحبط أمره و من معه من اليهود. ثمّ يحدث بعد ذلك النقصان، و لا يزال النّاس يبتعدون عن الدّين شيئا فشيئا حتّى يرتدّون عن الدين الحقّ فتقوم السّاعة و هم على ما هم عليه من كفر و ردّة، و ليس بعد الكمال إلّا الفناء و الزّوال و الرّجوع إلى اللّه.

1- سورة الأنبياء 95-96
2- رواه مسلم

و ممّا ورد في الصّحيحين قوله عليه الصّلاة و السّلام : لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ. (1)

و صفوة الكلام : هذه جملة الظواهر الكونيّة صغرى و كبرى، و هي أحداث يقينيّة ثابتة بالوحي الإلاهيّ كتابا و سنّة، و الّتي يجب على كلّ مؤمن الإعتقاد فيها و التهيّؤ لها لأنّ بظهورها يُغلق باب التّوبة على النّاس، و لا ينفع إيمانهم بعدها ما لم يكن آمنوا و ذلك لقوله جلّ ذكره : هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ، يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا، قُلِ انتَظِرُوا إِنَّا مُنتَظِرُونَ. (2)

و عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه و سلّم : ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ ، أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا : طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا وَالدَّجَّالُ ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ. (3)

4 – الإيمان و التّصديق باليوم الآخر و وقائعه (أحداثه) :

الإيمان باليوم الآخر هو ركن من أركان العقيدة الإسلاميّة الستّ، و هو العلم التّامّ و الإعتقاد الجازم بما سبق يوم القيامة من أشراط و بوقوعه و بما يكون و بما فيه من أحداث بعلم الله وحده دون أن يطلع عليه أحدا من خلقه، لا نبيّا مرسلا و لا ملكا مقرّبا، فهو غيب من الغيوب إستأثر الله به.

قال سبحانه : اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ، لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ، وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللهِ حَدِيثًا. (4)

في هذه الآية الكريمة إخبار و إقرار بتوحيد الله و تفرّده بالألوهيّة، و جمع لجميع خلقه يوم القيامة. الأوّلين منهم و الآخرين. في صعيد واحد ليجازي كلّ عامل بعمله.

و لقد إهتمّ القرآن الكريم أيّما إهتمام بتقرير الإيمان باليوم الآخر، فلا تكاد سورة من سوره تخلو من الحديث عنه، مع تقريبه إلى الأذهان تارة بالحجّة و البرهان و تارة بضرب الأمثال، و يعود هذا الإهتمام باليوم الآخر لعدّة أسباب أهمّها :

1- رواه الشيخان
2- سورة الأنعام 159
3- رواه مسلم
4- سورة النّساء 86

أوّلا : إنكار الكفّار و المشركين له أشدّ الإنكار.
ثانيا : التّصوّر الخاطئ و الفاسد له لدى اليهود و النّصارى و الهنود و الفرس... و غيرهم من الأمم.
ثالثا : التّصديق بيوم القيامة يجعل لحياتنا معنى و غاية و هدفا أعلى يتمثّل في فعل الخيرات، و ترك المنكرات، و التّحلّي بالفضائل، و التّخلّي عن الرّذائل، و الإستعداد لملاقاة ربّ العالمين و هو راض عنّا.
و إنّ لفظ "اليوم الآخر" أو "الآخرة" يدلّ على أنّه آخر يوم من أيّام هذه الحياة الدّنيا الفانية، و على بداية حياة أخرى خالدة.
و لليوم الآخر أسماء عدّة وردت في كتاب اللّه و سنّة رسوله، و كلّ إسم يدلّ على معنى سيحدث من أهوال هذا اليوم. و من أسماء اليوم الآخر : يوم الدّين، و يوم البعث، و يوم الحساب، و يوم الفتح، و يوم التّلاق، و يوم الجمع، و يوم التّغابن، و يوم الخلود، و يوم التّناد، و يوم الحسرة...
و من أسماء هذا اليوم كذلك : الآزفة، و الطّامّة، و الصاخّة، و الحاقّة، و الغاشية، و الواقعة، و الزّلزلة...
إقرؤوا إن شئتم سورة الواقعة، و الحشر، و الحاقّة، و المعارج، و القيامة، و الإنسان، و النبأ، و النّازعات، و التّكوير، و الإنفطار، و الإنشقاق، و البروج، و الغاشية، و الزّلزلة، و القارعة...
إنّه يوم عظيم شديد الهَوْل، يأذن اللّه فيه بإنقراض الكون و إنهاء الحياة الدّنيا، يوم تشيب فيه الولدان، و تضع فيه كلّ ذات حمل حملها، و تزلزل فيه الأرض، و تندكّ فيه الجبال فتصير هباء منثورا، و تنفطر فيه السّماء، و تتناثر فيه الكواكب، و تنكدر فيه الشّمس...
و لا بدّ من الوقوف عند أهمّ الأحداث التّي ستقع في هذا اليوم العظيم للذّكرى و الإعتبار، و نشير إليها هنا كما ذكرت في الكتاب و السنّة :

2- سورة الأنبياء 95-96
3- رواه مسلم

الحدث الأوّل : البعث و النّشر (أو النّشور) حقّ

يبدأ يوم القيامة بالبعث أو النّشر، و هو عبارة عن إحياء جميع الموتى من قبورهم بعد إعادة أرواحهم إلى أجسادهم، كما كانوا في الدّنيا، إثر النّفخ في الصّور (البوق) نفخة أولى و هي نفخة الفناء و الصّعق، و نفخة ثانية و هي نفخة البعث و النّشور و القيام لربّ العالمين.

قال سبحانه : وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ، ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ. (1)

و عن أبي هريرة قال : قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم :مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبعُونَ قالُوا يَا أَبَا هُرَيْرةَ، أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قالُوا: أَرْبعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، وَيَبْلَى كُلُّ شَيءٍ مِنَ الإِنْسَانِ إِلاَّ عَجْبَ الذَّنَبِ، فِيهِ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ، ثُمَّ يُنَزِّلُ اللَّه مِنَ السَّمَآءِ مَاءً، فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ"(2)

و عَجْبُ الذَّنَبِ هو عظم صغير في آخر العمود الفقري و هو جزء أصليّ لا يتفتّت و لا يتجزّأ.

الحدث الثّاني : الحشر في عرصات القيامة حقّ

الحشر هو جمع اللّه لكلّ الخلائق بعد بعثهم أحياء في مكان يُدْعَى عرصات يوم القيامة، و ذلك لفصل القضاء بينهم، و من أجل مجازاتهم عمّا صدر عنهم من أقوال و أفعال في الحياة الدّنيا، فإمّا الجنّة و إمّا النّار.

قال تعالى : يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ، ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ.(3)

و في الحديث الشّريف : يُحْشَرُ النَّاسُ يَومَ القِيامَةِ حُفاةً عُراةً غُرْلًا قُلتُ: يا رَسولَ اللهِ، النِّساءُ والرِّجالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ، قالَ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ: يا عائِشَةُ الأمْرُ أشَدُّ مِن أنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إلى بَعْضٍ. (4)

الحدث الثّالث : الحساب حقّ

المراد بالحساب هو توقيف اللّه عباده على جميع أقوالهم و أفعالهم في الحياة الدّنيا، خيرا كانت أم شرّا بعد أخذهم كتبهم و صحائفهم.

قال سبحانه : هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الحِسَابِ.(5)

1- سورة الزّمر 65
2- رواه الشّيخان
3- سورة التّغابن 9
4- رواه البخاري و مسلم
5- سورة ص 53

فإذا كان يوم الحساب جيئ بالكتب و الصّحائف للخلائق كلّهم و الّتي دوّنها و سجّلها الملائكة الموكّلون لعرضها على أصحابها. و الحساب هو مقتضى العدل الإلاهيّ، لأنّ اللّه هو العدل، فلا يظلم أحدا من خلقه، و هو الحكيم فلا يضع الشيء في غير موضعه.

و في الحديث الصّحيح عن عائشة رضي اللّه عنها أنّها قالت : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ يَقُولُ : مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ. فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَيْسَ يَقُولُ اللَّهُ : "فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَ يَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَ أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا وَ يُصَلَّى سَعِيرًا". (1) قَالَ إِنَّمَا ذَلِكَ العَرْضُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ يُحَاسَبُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا هَلَكَ. (2)

الحدث الرّابع : الميزان و الوزن حقّ

المراد بالميزان هو وزن الأعمال الّتي إكتسبها الإنسان خلال حياته، ففي يوم الحساب يضع اللّه الموازين العادلة ذات الدقّة المتناهية لحصر أعمال العباد و إن قلّت و دقّت، و بحسب نتيجة الوزن تكون السّعادة أو الشّقاوة.

قال سبحانه : وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا، وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا، وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ. (3)

و جاء في الحديث الشّريف قوله صلّى اللّه عليه و سلّم : يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسِعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. (4)

الحدث الخامس : الصّراط حقّ

الصّراط نوعان كما بيّن علماء التّوحيد.

<u>النّوع الأوّل :</u> صراط في الدّنيا، و هو المنهج الّذي شرّعه اللّه لعباده، و أمرهم بإتّباعه و الإلتزام به، و هذا المعنى مفهوم من قوله تعالى : إِهْدِنَا الصِّرَاطَ المُسْتَقِيمَ. (5)

<u>النّوع الثّاني :</u> صراط في الآخرة، و هو عبارة عن جسر ينصب على نار جهنّم، يمرّ عليه كافّة الخلق ـ الأوّلون و الآخرون ـ بعد إنصرافهم من الموقف، فأهل الجنّة يمرّون عليه بيسر و يدخلون الجنّة، و أهل النّار يسقطون في سعير جهنّم.

1 . سورة الإنشقاق من 7 إلى 12
2 . رواه الشّيخان
3 . سورة الأنبياء 47
4- رواه الحاكم
5- سورة الفاتحة 5

و هذا المعنى يستشفّ من قوله سبحانه : وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا. (1)

و ورد في الحديث الصّحيح قوله عليه الصّلاة و السّلام: وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا، وَلا يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَ فِي جَهَنَّمَ كَلَالِيبٌ مِثْلَ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُعْلَمُ مَا قَدْرُ عِظَمِهَا إِلَّا اللّٰهُ عَزَّ وَ جَلَّ، تَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ. (2)

الحدث السّادس : الجنّة حقّ

المراد بالجنّة هي دار الخلود الّتي أعدّها اللّٰه لعباده المؤمنين المتّقين جزاء لهم على إيمانهم الصّادق و عملهم الصّالح في دنياهم.

و الجنّة درجات و مراتب، و لها تسميات عدّة ذكرها اللّٰه في كتابه العزيز فأفضلها "الفردوس" و هي أعلاها، و تليها في الأفضليّة "عدن" ثمّ "الخلد" ثمّ "النّعيم" ثمّ "المأوى" ثمّ "دار السّلام" ثمّ "دار الجلال" و من أسمائها "دار المقامة" و "المقام الأمين".

و قد بشّر اللّٰه بها عباده المخلصين له الدّين، القائمين بجلائل الأعمال المتّصفين بمكارم الخصال، في كثير من آياته، منها قوله جلّ جلاله : وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ، كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا، قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ، وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا، وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ، وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ. (3)

و قد وصفت آيات كثيرة أحوال أهل الجنّة و سعتها و أبوابها و أنهارها و مطاعمها و مشاربها و سائر نعيمها.

و قد جاء في الحديث القدسيّ الّذي رواه رسول اللّٰه عن ربّه : {قال اللّٰه عزّ و جلّ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. (4)} (5)

الحدث السّابع : النّار حقّ

المقصود بالنّار هي جهنّم أو هي "دار البوار" الّتي هيّأها اللّٰه للكافرين و المشركين و المنافقين جزاء لهم على كفرهم و شركهم و نفاقهم و أعمالهم الطّالحة في دنياهم.

1- سورة مريم 71-72
2- رواه مسلم
3- سورة البقرة 24
4- سورة السّجدة 17
5- رواه مسلم

و النّار دركات أو طبقات أو منازل، و لها تسميات عديدة ذكرت في كتاب اللّه و سنّة رسوله و أعلاها "جهنّم" ثمّ "لظى" ثمّ "الحطمة" ثمّ "السّعير" ثمّ "سقر" ثمّ "الجحيم" ثمّ "الهاوية".

و قد أنذر اللّه عباده من شديد عذابها في كثير من آياته منها قوله تعالى : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ. (1)

و قد وردت كثير من الآيات في وصف أحوال أهل النّار و سعتها و أهوالها و سائر أنواع الشّقاوة فيها.

و قد جاء في الحديث الشّريف قوله عليه الصّلاة و السّلام : أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ. (2)

و صفوة الكلام في هذا المبحث : التّصديق بكلّ هذه الأحداث الّتي ستقع يوم القيامة كما أخبر بها اللّه و رسوله واجب، و هي من أصول العقيدة الإسلاميّة.

فاللّهم يا خالق العباد و السّماوات و الأراضين و يا ربّ العرش العظيم، ألطف بعبادك الضّعفاء و اهدهم صراطك المستقيم فأنت أرحم الرّاحمين و أكرم الأكرمين يا ربّ العالمين.

5- الإيمان و التّصديق بأمور غيبيّة هامّة متعلّقة بأحداث يوم القيامة :

ذكر علماء التّوحيد أمورا غيبيّة هامّة تتعلّق بأحداث يوم القيامة و ما يقع فيه من أهوال، و هي من السّمعيّات الّتي يجب على المؤمن التّصديق بها ليكتمل إيمانه و هي :

الأمر الغيبيّ الاوّل : فصل القضاء بين النّاس حقّ

المراد بفصل القضاء هو رغبة النّاس يوم الفصل أن يحكم اللّه فيهم أو بينهم بما هو أهله، و ذلك من شدّة الهول و صعوبة الموقف الّذي هم فيه. و هذا مصداق قوله تعالى : وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ، لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ، لِيَوْمِ الْفَصْلِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ، وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ. (3)

1- سورة التّحريم 6
2- رواه التّرمذي
3- سورة المرسلات من 11 إلى 15

هذا الموقف يقفه النّاس لمّا يَعْظُمُ كَربُهُمْ فيلجؤون إلى طلب الشّفاعة من الأنبياء و المرسلين ليخفّف اللّه عمّا حلّ بهم.
و عن أبيّ بن كعب أنّ النبيّ قال : إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ كُنْتُ إِمَامَ النَّبِيِّينَ وَخَطِيبَهُمْ وَصَاحِبَ شَفَاعَتِهِمْ مِنْ غَيْرِ فَخْرٍ. (1)

الأمر الغيبيّ الثّاني : الشّفاعة حقّ

الشّفاعة هي السّؤال في التّجاوز عن الذّنوب من الّذي وقعت الجناية في حقّه، و هي مظهر من مظاهر رحمة اللّه بعباده. و لا تكون الشّفاعة إلّا بإذن اللّه، و لمن إرتضى اللّه أن يُشفَعَ له، على مقتضى العدل الإلهي.
و ليس في الشّفاعة ما يدعو إلى الغرور و التّهاون في ترك ما كلّف اللّه به عباده.
و الشّفاعة أنواع :
. الشّفاعة العظمى و تكون في موقف يوم القيامة حين يفصل الحقّ تبارك و تعالى بين عباده، و هي خاصّة بنبيّه محمّد، و هي المقام المحمود الّذي وعده اللّه كما قال تعالى : وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا. (2)
. الشّفاعة في إستفتاح باب الجنّة، و أوّل من يستفتح بابها نبيّنا محمّد، و أوّل من يدخلها أمّة محمّد ثمّ بقيّة الأمم.
. الشّفاعة في أقوام قد أمر بهم إلى النّار أن لا يدخلوها فلا يدخلوها برحمة ربّ العالمين. و هما شفاعتان لجميع الأنبياء و المرسلين.

الأمر الغيبيّ الثّالث : الحوض حقّ

الحوض جسم مخصوص كبير متّسع الجوانب، يكون على الأرض المبدّلة البيضاء، من شرب منه لا يظمأ أبدا.
و قد ذهب أغلب المفسّرين إلى أنّ اللّه أكرم كلّ نبيّ من أنبيائه حوضا يشرب هو و أمّته منه بعد الموقف و قبل دخول جنّات الخُلْدِ.
و ذهب آخرون إلى أنّ الحوض و الكوثر شيء واحد، أصله في الجنّة، و ما كان جاريا منه في داخلها فهو ماء الكوثر. و الحوض أو الكوثر هو مكرمة خاصّة لنبيّنا محمّد، و قد خاطب اللّه سبحانه رسوله الكريم بقوله : إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ، إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ. (3)

1- رواه أبو داود و الحاكم
2- سورة الإسراء 79
3- سورة الكوثر

و أمّا الواردون على حوضه الشّريف هم الّذين آمنوا بالله و رسوله، و إتّبعوا كتاب اللّه و سنّة رسوله، و لم يبدّلوا من تعاليمها شيئا.
و أمّا الّذين كفروا و بدّلوا، فلا حظّ لهم في حوضه الشّريف و لا شفاعته.
قال رسول اللّه : إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ مَنْ مَرَّ عَلَيَّ شَرِبَ ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا ، لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي ، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ. (1)

الأمر الغيبيّ الرّابع : العرش حقّ

العرش هو جسم نورانيّ عظيم، و قد جاء في حقّه قوله تعالى : الرَّحْمَانُ عَلَى العَرْشِ إِسْتَوَى. (2)
على أنّه يجب على المؤمن الإعتقاد بأنّ اللّه سبحانه مستغن عن كلّ ما خلقه، لأنّه هو الغنيّ، و غير محتاج إلى عرش يقلّه أو يظلّه و لا إلى غيره، و هو سبحانه قبل الزّمان و المكان، ليس كمثله شيء، لا تدركه العقول، و لا تجري عليه الأحوال.
و الأولى الإيمان بالعرش لوروده بالدّليل القطعيّ في الكتاب و السنّة، و الإمساك عن القطع بتعيين حقيقته فقد ثبت في الصّحيح أنّ رسول اللّه قال : إِنَّ اللَّهَ قَدَّرَ مَقَادِيرَ الخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ. (3)
وقد سئل الإمام مالك عن قوله تعالى :"الرَّحْمَانُ عَلَى العَرْشِ إِسْتَوَى."فأجاب:الكيف غير معقول، و الإستواء منه غير مجهول، و الإيمان به واجب، و السؤال عنه بدعة.

الأمر الغيبيّ الخامس : الكرسيّ حقّ

الكرسيّ هو كذلك جسم نورانيّ عظيم، تحت عرش الرّحمان، و الأولى بالمؤمن كذلك التّصديق به، و الإمساك عن الجزم بتعيين حقيقته لعدم العلم به، و هو غير العرش.
و قد ورد ذكره في قوله تعالى : وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ. (4)
و عن أبي ذرّ الغفاري قال : سمعت رسول اللّه يقول : مَا الكُرْسِيُّ فِي العَرْشِ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مِنْ حَدِيدٍ أُلقِيَتْ بَيْنَ ظَهْرَيْ فَلاةٍ مِنَ الأَرْضِ. (5)

1- رواه البخاري
2. سورة طه 4
3. أخرجه مسلم
4. سورة البقرة 254
5. رواه ابن جرير الطّبري

الأمر الغيبيّ السّادس : اللّوح حقّ

اللّوح هو جسم نورانيّ، كتب فيه القلم بإذن اللّه، ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة، و هو يُكتَبُ فيه الآن على التّحقيق من أنّه يقبل المحو و التّغيير، و الإمساك عن الجزم بتعيين حقيقته واجب، إلّا ما جاء في كتاب اللّه و سنّة رسوله.

ففي الكتاب، ورد قوله سبحانه : بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ، فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ. (1)

و عن عبد الرحمان بن سلمان قال : قال رسول اللّه : مَا مِنْ شَيْءٍ قَضَى اللَّهُ: الْقُرْآنُ، فَمَا قَبْلَهُ، وَمَا بَعْدَهُ، إِلَّا وَهُوَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَاللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ بَيْنَ عَيْنَيْ إِسْرَافِيلَ، لَا يُؤْذَنُ لَهُ بِالنَّظَرِ فِيهِ. (2)

الأمر الغيبيّ السّابع : القلم حقّ

القلم هو جسم نورانيّ عظيم خلقه اللّه، و أمره بِكَتْبِ ما كان و ما يكون إلى يوم القيامة، و الأولى الإيمان به دون تشكيك أو تأويل في حقيقته.

قال ابن عبّاس رضي اللّه عنه في شأن القلم : إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ فَقَالَ لَهُ: اكْتُبْ. قَالَ: رَبِّ وَمَاذَا أَكْتُبُ؟ قَالَ: اكْتُبْ مَقَادِيرَ كُلِّ شيء حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ. (3)

صفوة الكلام أنّ علماء العقيدة من أهل السنّة و الجماعة كانوا على نهج واحد و هو وجوب الإيمان بكلّ هذه الأمور الغيبيّة دون تشكيك أو تكلّف أو تأويل.

1- سورة البروج 21-22
2- أخرجه ابن أبي حاتم
3- رواه التّرمذي

الفصل الحادي عشر : نواقض التّوحيد و الإيمان في نظر أهل الكتاب و السنّة

تمهيد :

الكلام عن التّوحيد أو الإيمان يقتضي الكلام عن نواقضه، لأنّه كما يقال "تتمايز الأمور بأضدادها". و المقصود بنواقض التّوحيد أو الإيمان، مبطلاته و مخالفاته و معارضاته، و هذه النّواقض كما حدّدها علماء العقيدة هي : الشّرك و الكفر و النّفاق و الفسق و الردّة و المعاصي.

و سنوردها بشيء من البيان و التّفصيل لمعرفة حقيقتها و أنواعها و ما يتعلّق بأحكامها لكلّ نوع منها، تحذيرا من إرتكابها و إجتنابا للوقوع فيها و بعدا عن مخاطرها و شرورها.

و هذا بيان لنواقض التّوحيد أو الإيمان في نظر أهل الكتاب و السنّة.

1. النّاقض الأوّل : الشِّرْكُ أَوْ الإِشْرَاكُ :

الشّرك لغة : أَشْرَكَ يُشْرِكُ شِرْكًا و إِشْرَاكًا أي جعل شريكا أو ندّا، يقال : أشرك بالله أي جعل له شريكا و ندّا. و يقابل الشّرك التّوحيد و الإخلاص.

إصطلاحا : الشّرك أو الإشراك هو الإيمان و الإعتقاد بتعدّد الآلهة أو هو عبادة غير اللّه من المخلوقات كالأنبياء أو الملائكة أو البشر أو الحيوانات أو الظّواهر الطّبيعيّة كالشّمس و القمر أو عبادة الأصنام...

قال تعالى محذّرا عباده من الشّرك : إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ. (1)

و في الحديث الصّحيح أنّ النبيّ قال : مَنْ مَاتَ وَ هُوَ يَدْعُو لِلَهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ. (2)

و قد قسّم العلماء الشّرك إلى ثلاثة أنواع و هي :

1- سورة المائدة 74
2- رواه البخاري

أوّلا الشّرك الأكبر :

و هو صرف العبادة لغير اللّه، و هذا النّوع يُخْرِجُ صاحبه من ملّة الإسلام، و يخلّده في النّار، و لا يغفره اللّه إلّا بالتّوبة النّصوح.

و من أمثلته : إتّخاذ أنداد من دون اللّه أو صرف العبادة لغير اللّه من صلاة أو دعاء أو نذر أو ذبح...

قال تعالى : إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ، وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا. (1)

ثانيا الشّرك الأصغر أو الشّرك الظّاهر في الأقوال و الأفعال :

سُمِّيَ بالشّرك الأصغر لأنّه لم يصل إلى حدّ الشّرك الأكبر، و هو إرتكاب المعاصي أو الذّنوب، و هذا النّوع لا يُخرج صاحبه من الملّة و لا يخلّد في النّار، فهو تحت مشيئة اللّه إن شاء رحمه و غفر له، و إن شاء عذّبه بقدر ذنبه و معصيته.

و من أمثلته: قول الإنسان : لولا اللّه و أنت، و الحلف بغير اللّه، و تعليق التّمائم (مفردها تميمة) خشية العين و الجنّ...

ثالثا الشّرك الخفيّ أو شرك الإرادات و النيّات :

و هو الإعتقاد في أنّ من الأعمال ليست صادرة عن اللّه و هذا النّوع أيضا لا يُخرج صاحبه من الملّة و لا يُخلّد في النّار و هو كذلك تحت مشيئة اللّه إن شاء رحمه و غفر له، و إن شاء عذّبه بقدر ذنبه و معصيته.

و من أمثلته : أداء عبادة من العبادات كالصّلاة أو الزّكاة أو الصّوم أو الحجّ رياءًا، أو القول : أنا متوكّل على اللّه و عليك...

و إنّ الإسلام هو دين التّوحيد، ينهى عن الشّرك بجميع أصنافه و يحذّرنا من الوقوع فيه.

و قد جاء في محكم التّنزيل قوله سبحانه : قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ، فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا. (2)

1- سورة النّساء 47
2- سورة الكهف 105

2. النّاقض الثّاني : الكُفْرُ أَوْ الإلْحَادُ :

الكفر لغة : كَفَرَ يَكْفُرُ كُفْرًا و كُفْرَانًا أي ستر الحقّ و أظهر الباطل، يقال : كفر بالله أي أنكر وجوده و كذّب به. و يقابل الكفر أو الإلحاد الإيمان و التّصديق.

الإلحاد لغة : أَلْحَدَ يُلْحِدُ إِلْحَادًا أي أنكر و طعن و كذّب، يقال : ألحد في اللّه أي أنكر وجوده و كذّب به فهو ملحد.

إصطلاحا : الكفر أو الإلحاد هو الإنكار لوجود اللّه سبحانه أو هو الطّعن في الدّين و التّكذيب بعقائده و شرائعه.

و قد توعّد اللّه الكفّار و الكافرين و الملاحدة و الملحدين بالعذاب الشّديد و أنذرهم بسوء المصير في الدّنيا و الآخرة، حيث قال سبحانه في الكتاب العزيز : فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ. (1)

و قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و سلّم : سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَ قِتَالُهُ كُفْرٌ. (2)

أنواع الكفر : الكفر كفران كما بيّن علماء التّوحيد.

أوّلا : الكفر الإعتقاديّ : و هو كفر يخرج عن الملّة و يوجب الخلود في النّار.

و من أمثلته : إنكار وجود اللّه أو التّكذيب بأحد أركان العقيدة الإسلاميّة الستّة أو الطّعن و الإستهزاء بأحد الأحكام الشّرعيّة كالصّلاة و الزّكاة و الصّوم...

ثانيا : الكفر العمليّ : و هو لا يخرج عن الملّة و لا يوجب الخلود في النّار.

و من امثلته ترك الصّلاة و منع الزّكاة و السّرقة و الكذب و الرّبا...

عن جابر بن عبد اللّه قال : قال رسول اللّه : بَيْنَ الرَّجُلِ وَ بَيْنَ الكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ. (3)

قال العلماء : المقصود بالكفر في هذا الحديث هو الكفر العمليّ الّذي لا يخرج من الملّة و لا يوجب الخلود في النّار.

إذن من أصول أهل السنّة أنّهم لا يحكمون بالكفر على من يدّعي الإسلام بمطلق إرتكابه المعاصي كبائر كانت أو صغائر، و يرون أنّ الأخوّة الإيمانيّة ثابتة مع المعاصي و يعتبرون أنّ المؤمن العاصي أو الفاسق، مؤمن ناقص الإيمان و ليس كافرا و لا يخلّد في النّار.

1. سورة آل عمران 55
2- متّفق عليه
3- رواه مسلم وأحمد

إذن من أصول أهل السنّة أنّهم لا يحكمون بالكفر على من يدّعي الإسلام بمطلق إرتكابه المعاصي كبائر كانت أو صغائر، و يرون أنّ الأخوّة الإيمانيّة ثابتة مع المعاصي و يعتبرون أنّ المؤمن العاصي أو الفاسق، مؤمن ناقص الإيمان و ليس كافرا و لا يخلّد في النّار.

و دليلهم على ذلك قوله تعالى : وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا، فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ، فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ. (1)

و قول رسول الله : أَيُّما رَجُلٍ قالَ لأخِيهِ: يا كافِرُ، فَقَدْ باءَ بها أحَدُهُما، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَ إِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ. (2)

و قال الإمام الشّافعيّ : أدركت النّاس و هم يختلفون و لا يكفّر أحد منهم أحدا و لا يبدّعه و لا يردّ شهادته.

كذلك لا يكفّر المسلم و لا يحكم عليه بالكفر إلّا بعد تحقّق شروط تكفير المعيّن كما حدّدها العلماء و هي :

. القصد إلى القول أو الفعل المكفّر، فإن كان القائل ناسيا أو مخطئا أو غالطا بسبق لسان فهو معذور.

.كون المتكلّم تلفّظ بكلمة الكفر مكرها و الحال أنّ قلبه مملوء إيمانا فهو ليس بكافر.

. كون المتكلّم متأوّلا طالبا للحقّ غير متّبع للهوى فلا يحكم عليه بالكفر.

. كون المتكلّم مغلوبا على عقله كالنّائم و المجنون و الصبيّ.

. قيام الحجّة على المتكلّم فلا يحكم على أحد بالكفر إلّا بعد قيام الحجّة عليه و إستتابته.

3. النّاقض الثّالث : الفِسْقُ أَوْ الفُسُوقُ :

الفسق لغة : فَسَقَ يَفْسُقُ فِسْقًا و فُسُوقًا أي عصى و خرج عن الطّاعة، يقال : فَسَّقَ فُلَان عَلَّانا أي نسبه للفسق و المعصية.

إصطلاحا : الفسق أو الفسوق هو الخروج عن طاعة الله بترك الأوامر كالصّلاة و الصّوم و الزّكاة... مع الإعتقاد في وجوبها أو إرتكاب النّواهي كشرب الخمر و السّرقة و الغشّ...مع الإعتقاد في حرمتها.

1. سورة الحجرات 9
2. رواه مسلم

و قد نهى الله سبحانه المؤمنين عن الكفر و الفسوق و العصيان حيث قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ. (1)

قال المفسّر ابن كثير:" و المراد بالفسوق الذّنوب الكبار و بالعصيان جميع المعاصي."

جاء في الحديث الشّريف قوله عليه أفضل الصّلاة و أزكى التّسليم : يا معشرَ من أسلمَ بلسانهِ ولم يُفضِ الإيمانُ إلى قلبهِ ، لا تُؤذُوا المسلمينَ ولا تُعيّروهُم ولا تَتّبعوا عوراتهم ، فإنه من يتبِعْ عورةَ أخيهِ المسلمِ تتبعَ اللّه عورتَهُ ، ومن يتّبع اللّه عورتهُ يفضحْه ولو في جوفِ رحلهِ. (2)

كذلَك التّفسيق فهو منهيّ عنه لأنّ من عقيدة أهل السنّة أنّ المؤمن التّارك للأوامر و المرتكب للمعاصي و لو كانت من الكبائر لا يسلبه فسوقه إيمانه، و لا يخرجه من الملّة و لا يخلّده في النّار، و هو تحت مشيئة اللّه إن شاء عذّبه و إن شاء غفر له.

4. النّاقض الرّابع : النِّفَاقُ أو المُنَافَقَةُ :

النّفاق لغة : نَافَقَ يُنَافِقُ نِفَاقًا و مُنَافَقَةً أي أظهر ما لا يضمر، يقال : نافق فلان أي أظهر خلاف ما يبطن فهو منافق و هو الّذي يظهر الخير و يبطن الشرّ.

إصطلاحا : النّفاق هو إظهار الإيمان و الخير و إبطان الكفر و الشرّ.

أنواعه : النّفاق نفاقان كما بيّن العلماء :

أوّلا : نفاق عقائديّ : و هو نفاق يُخرج عن الملّة و صاحبه يُخلّد في النّار و في الدّرك الأسفل منها.

و من أمثلته : . تكذيب اللّه بما جاء في كتابه من عقائد و أحكام

. تكذيب رسول اللّه بما جاء في سنّته الشّريفة

. البغض و الكراهيّة لله و لرسوله و لدينه

ثانيا : نفاق عمليّ : و هو من كبائر الذّنوب و لا يخرج صاحبه من الدّين و لا يوجب الخلود في النّار.

1- سورة الحجرات 7

2- أخرجه الحافظ أبو يعلى

و من أمثلته : ـ خيانة الأمانة و الكذب في الأقوال و الغدر في العهود و الإخلاف في الوعود و الفجور في المخاصمة...
و قد كان عبد الله بن أبيّ بن سلول رأس المنافقين زمن رسول الله لكن الرّسول لم يحاربه خشية أن يقال محمّد يحارب أصحابه.
و قد أنزل الله في شأنه و شأن المنافقين عدّة آيات خاصّة الواردة في سورة البقرة و التّوبة و المنافقين... و كلّها تنهى عن النّفاق بنوعيه لأنّه آفة تسبّب العداوة و البغضاء بين النّاس.
قال تعالى مخبرا عن مصير المنافقين : إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا. (1)
و عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنّ النبيّ قال : أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ. (2)

5. النّاقض الخامس : الرِدَّةُ أو الإرْتِدَادُ :

الردّة لغة : إِرْتَدَّ يَرْتَدُّ رِدَّةً و إِرْتِدَادًا أَي رجع، يقال : إرتدّ عن دينه أي رجع عنه و كفر به.
و المرتدّ هو من رجع عن دينه و كفر به بعد إيمانه و تصديقه.
إصطلاحا : الرِدّة هي رجوع المسلم العاقل البالغ عن الإسلام إلى الكفر، مختارا غير مكره، و يستوي فيه الذّكر و الأنثى.
أنواع المكفّرات : نبّه علماء التّوحيد من خطورة الأمور المتعلّقة بأصول المكفّرات الّتي تؤدّي إلى الردّة و الهلاك و غضب الله و عذابه في الدّنيا و الآخرة.
و قد قسّموا هذه المكفّرات إلى ثلاثة أنواع و هي :
النّوع الأوّل : المكفّرات الإعتقاديّة :
و هي كلّ عقيدة تخلّ بركن من أركان الإيمان الستّة أو تخالف أيّ معتقد من المعتقدات الإسلاميّة القاطعة و الثّابتة بكتاب الله و سنّة رسوله.
و من أمثلتها : ـ نوع أوّل يتّصل بالإلاهيّات كإنكار الله سبحانه أو إنكار صفة من صفاته أو وصفه بأنّه ثالث ثلاثة أو أنّه غير عادل في أحكامه...

1- سورة النّساء 144
2- متّفق عليه

. نوع ثان يتّصل بالنبوّات كإنكار بعثة الأنبياء أو تكذيبهم أو السّخريّة و الإستهزاء بهم...
. نوع ثالث يتّصل بالغيبيّات و السّمعيّات كإنكار الملائكة و الجنّ و إنكار يوم القيامة و البعث و النّشر و الحشر و الجنّة و النّار و الحساب و الجزاء...

النّوع الثّاني : المكفّرات القوليّة :

و هي كلّ قول فيه إعتراف بعقيدة مكفّرة أو فيه جحود لعقيدة من عقائد الإسلام المعلومة من الدّين بالضّرورة أو فيه إستهزاء بالدّين في عقائده و أحكامه.
و من أمثلته : . سباب الخالق أو سباب الأنبياء و الإعتراض عن عدل اللّه في قضائه و قدره...

النّوع الثّالث : المكفّرات العمليّة :

و هي كلّ عمل يُعتبر أمارة على عقيدة مكفّرة.
و من أمثلته : تمزيق المصحف أو إلقائه في القاذورات أو رسم صور كاريكاتوريّة مسيئة للأنبياء و الرّسل أو تعليق الصّليب على الصّدر...
قال سبحانه محذّرا عباده من الردّة : وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ.(1)

أحكام الردّة : بيّن الفقهاء الأحكام الّتي تترتّب عن الردّة أو الإرتداد، و هذه أهمّها :
أوّلا : إستتابة المرتدّ، فإن تاب و رجع إلى الإسلام خلال ثلاثة ايّام قُبِلَ منه ذلك، و إذا إمتنع عن التّوبة يمكن للقاضي أن يأمر بقتله.
و من الفقهاء من ترك التّقدير إلى القاضي، فقد نُسب إلى الإمام مالك قوله : "من صدر عنه ما يحتمل الكفر من تسعة و تسعين وجها، و يُحتمل الإيمان من وجه، حُمِّل أمره على الإيمان."
و قال الإمام النّخعي : "يُسْتَتَابُ أَبَدًا"
ثانيا : من الفقهاء من يرى إنقطاع التّوارث بين المرتدّو بين أقاربه، فلا يرثهم و لا يرثونه.
ثالثا : من الفقهاء من ذهب إلى القول إنّ إرتداد الزّوج أو الزّوجة يوجب إنقطاع الحياة الزّوجيّة.

1- سورة البقرة 215

رابعا : قال بعض الفقهاء في حال موت أو قتل المرتدّ أو المرتدّة فلا يُغَسَّلُ و لا يُصَلَّى عليه و لا يدفن في مقابر المسلمين.
هذه جملة من الإجتهادات في شأن المرتدّ أو المرتدّة أقرّها الفقهاء حفاظا على سلامة الأمّة الإسلاميّة من الوهن و الضّعف و وقاية لكلّ ما يهزّ أركانها و يزعزع بنيانها.

6. النّاقض السّادس : المَعَاصِي أَوْ الذُّنُوبُ أَوْ الآثَامُ :

المعاصي لغة : عَصَى يَعْصِي عِصْيَانًا و مَعْصِيَةً و جمعها معاصي أي خرج عن الطّاعة و خالف الأمر، يقال: فلان عصى الله أي خرج عن طاعته و خالف أوامره فهو عَاصٍ و جمعه عُصَاةٌ.
إصطلاحا : المعاصي هي ترك المأمورات و فعل المحظورات أو هي ترك الواجبات و الفرائض، و إرتكاب المنهيات و المحرّمات من أقوال و أفعال ظاهرة أو باطنة منهيّة عنها في القرآن و السنّة.
و قد جاء معنى المعصية بألفاظ كثيرة في الكتاب و السنّة منها : الذّنب و الإثم و الخطيئة و السيّئة و الحُوبُ و الفساد و العتوّ...
و كلّ هذهالألفاظ تحمل نفس المعاني للفظ "المعصية". و قد حذّر الله عباده من إرتكاب المعاصي و الذّنوب و الآثام في كثير من الآيات في كتابه العزيز منها قوله سبحانه : وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا. (1)
كذلك نبّه الرّسول المؤمنين من إرتكابها و خاصّة الموبقات السّبع و هي أعظم المعاصي و المهلكات.
فعن أبي هريرة عن النبيّ قال : اِجْتَنِبُوا الْسَّبْعَ المُوبِقَاتِ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَهِ، وَمَا هُنَّ؟ قالِ: الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ. (2)
أنواع المعاصي : قسّم الفقهاء المعاصي إلى نوعين :
النّوع الأوّل : الكبائر : المراد بالكبائر (جمع كبيرة) هي كلّ الذّنوب الّتي ذكرها الله و ختمها بنار أو غضب أو لعنة أو عذاب.

1- سورة الجنّ 23
2- متّفق عليه

و من العلماء من قال عن الكبائر : "هي إلى السّبعين أقرب منها إلى السّبع"
و قال آخرون : "هي أكثر من ذلك بكثير"
و من أمثلتها: الموبقات السّبع، و الزّنا، و شهادة الزّور، و اليمين الغموس، و النّميمة، و السّرقة و شرب الخمر، و عقوق الوالدين، و الكذب، و الخيانة، و الرّشوة، و تشبّه الرّجال بالنّساء، و عكسه...
قال سبحانه : إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلاً كَرِيمًا. (1)
و قال رسول الله : الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إلى الجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إلى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ ما بيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتْ الكَبَائِرَ. (2)
و قد أجمع أهل الكتاب و السنّة على عدم تكفير مرتكب الكبيرة و قالوا في شأنه : "إنّ مرتكب الكبيرة مؤمن بإيمانه، فاسق بكبيرته، أو هو مؤمن ناقص الإيمان، أو هو مؤمن عاص، و هذاالحكم عليه إنّما هو في الدّنيا، أمّا في الآخرة فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له و إن شاء عذّبه و لا يُخلّد في النّار."
و هذا خلاف ما ذهبت إليه بعض الفرق الكلاميّة، كالمعتزلة الّذين قالوا عن مرتكب الكبيرة : "لا هو مؤمن و لا كافر، بل هو في منزلة بين المنزلتين."
و قالت المرجئة :"إنّ صاحب الكبيرة، يُؤَخِّرُ إلى يوم القيامة و لا يحكم عليه بحكم في الدّنيا، لا بإيمان و لا بكفر و إن شاء غفر له الله أو عذّبه."
أمّا الخوارج فقالوا :"مرتكب الكبيرة كافر و مُخَلَّدٌ في النّار."

<u>النّوع الثّاني : الصّغَائِر أو اللّمم :</u>

المقصود بالصّغائر (جمع صغيرة) هي الذّنوب الصّغيرة الّتي ليس فيها حدّ في الدّنيا و لا وعيد في الآخرة. و اللّمم هي كذلك صغائر الذّنوب و محقّراتها.
و قد أمر الله سبحانه عباده بإجتناب كبائر الذّنوب و صغائرها، إذ الإصرار عليها يشكّل خطرا على صاحبها و ربّما يؤدّي به الأمر إلى التّهلكة.
قال سبحانه : الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ، إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ، هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ، فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ، هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ.(3)

1- سورة النّساء 31
2- رواه مسلم
3- سورة النّجم 31

فقد أخبر الله عباده المؤمنين في هذه الآية أنّ رحمته وسعت كلّ شيء، و مغفرته تسع الذّنوب كلّها كبيرها و صغيرها لمن تاب منها.

و قال رسول الله : إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ، فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا بَطْنَ وَادٍ فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ حَتَّى حَملوا مَا أَنْضَجُوا بِهِ خُبْزَهُمْ وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذُ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكُهُ. (1)

و قد أجمع علماء أهل السنّة و الجماعة على أنّ مرتكب كبائر الذّنوب و كذلك صغائرها هو مؤمن عَاصٍ و ليس بكافر، و هذا من رحمة الله الواسعة بخلقه.

و على العبد إذا ما إرتكب كبيرة أو صغيرة أن يسارع إلى التّوبة النّصوح إلى الله، و أن يدفع السيّئات بالحسنات، لأنّ الحسنات تمحو السيّئات مصداقا لقوله سبحانه : إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ. (2)

و كما ورد في الحديث الشّريف قوله صلّى الله عليه و سلّم : اتَّقِ اللهِ حيثُما كنتَ، وأَتْبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمْحُها. (3)

1. أخرجه الطّبراني
2- سورة هود 114
3- رواه التّرمذي

خاتمة الكتاب : كن مع الله في الحال و المآل

الحمد لله الّذي هدانا لهذا، و ما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه.
و الحمد لله الّذي أسبغ علينا نعمه ظاهرة و باطنة، " وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ." (1)
و "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ، ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ." (2)
يا ربّ لك الحمد حتّى ترضى، و لك الحمد إذا رضيت، و لك الحمد بعد الرّضا.
و أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده لا شريك له، و أشهد أنّ محمّدا عبده و رسوله.
و أصلّى و أسلّم على النبيّ المجتبى، و على إخوته الأنبياء، و على آله و صحبه أجمعين، و من تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.
أمّا بعد، إنّ علم التّوحيد هو أشرف العلوم و أرفعها قدرا على الإطلاق، لأنّه يهتمّ أوّلا و بالذّات ببيان حقيقة الإيمان و أركانه الستّة و مقتضياتها، و يهدف أساسا إلى معرفة اللّه سبحانه، ذاتا عُلْيَا، و أسماء حسنى، و صفات فضلى، و أفعالا عظمى، و يرشد العباد كذلك إلى توحيد اللّه جلّ و علا و إفراده بالعبادة دون سواه.
و قد أخبر الْقرآن الكريم أنّ الغاية من خلق الإنس و الجنّ هي عبادة اللّه و طاعته وحده و عدم الإشراك به.
قال سبحانه : وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ، مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ. (3)
قال ابن كثير في تفسيرها تين الآيتين الكريمتين :"معنى الآية أنّه تبارك و تعالى خلق العباد ليعبدوه وحده لا شريك له، فمن أطاعه جازاه أتمّ الجزاء، و من عصاه عذّبه أشدَّ العذاب، و أخبر أنّه غير محتاج إليهم، بل هم الفقراء إليه في جميع أحوالهم، فهو خالقهم و رازقهم." (4)
و قد جاء في الحديث القدسيّ : "يَا ابْنَ آدَمَ تَفَرَّغْ لِعِبَادَتِي أَمْلَأْ صَدْرَكَ غِنًى وَأَسُدَّ فَقْرَكَ وَإِلَّا تَفْعَلْ مَلَأْتُ يَدَيْكَ شُغْلًا وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ." (5)

1- سورة الحجّ 8
2- سورة الأنعام 1-2
3- سورة الذّاريات 56- 57
4- تفسير ابن كثير. مجلّد 3 . ص 387
5- رواه أحمد و التّرمذي و ابن ماجة

إعلم أخي المؤمن و أختي المؤمنة أنّ عقيدة التّوحيد هي عقيدة الفطرة السّليمة، و هي أكمل و أفضل و أسلم العقائد، و لا يمكن لأيّ إنسان الإستغناء عنها، لتحقيق إنسانيّته، و إستكمال شخصيّته، و بناء حضارته و إسعاد أفراد أمّته بإحيائهم حياة طيّبة مباركة في دنياهم و آخرتهم.

هذا وعد اللّه لمن آمن و عمل صالحا في قول اللّه سبحانه : مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً، وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ. (1)

كما جاء في الحديث الشّريف عن عبد اللّه بن عمر أنّ رسول اللّه قال : قَدْ أَفْلَحَ مَن أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللَّهُ بما آتَاهُ. (2)

و عقيدة التّوحيد مَثَلُهَا مَثَلُ شجرة طيّبة أصلها ثابت و فرعها في السّماء، تؤتي أكلها كلّ حين بإذن ربّها.

و هل من قول أصدق من كلام اللّه عزّ و جلّ : أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَآءِ، تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ. (3)

قال ابن عبّاس حبر الأمّة في بيان هذه الآية الكريمة : "قوله 'مثل كلمة طيّبة' شهادة أن لا إله إلّا اللّه، 'كشجرة طيّبة' و هو المؤمن، 'أصلها ثابت' يقول : لا إله إلّا اللّه في قلب المؤمن، 'و فرعها في السّماء' يقول : يرفع بها عمل المؤمن إلى السّماء." (4)

أختم بكلمات غاية في الرّوعة و الحسن و الجمال للدّكتور محمّد راتب النّابلسي: "نحن لسنا السّكّان الأصليّين لهذا الكوكب (الأرض)!! بل نحن ننتمي إلى (الجنّة) حيث كان أبونا آدم يسكن في البداية، لكنّنا نزلنا هنا مؤقّتا لكي نؤدّي إختبارا قصيرا ثم نرجع بسرعة...

حاول أخي المؤمن، أختي المؤمنة، أن تعمل ما بوسعك للّحاق بقافلة الصّالحين... و لا تضيع وقتك في التّفاهات على هذا الكوكب الصّغير.

نحن لا نملك تغيير الماضي، و علينا فقط بذل الجهد لرسم المستقبل، و النّتيجة ما يقدّره اللّه، فما شاء اللّه كان، و ما لم يشأ لن يكون، فلماذا نقتل أنفسنا على شيء لا نستطيع تغييره؟!

1- سورة النّحل 97
2- رواه أحمد
3- سورة إبراهيم 26-27
4- تفسير ابن كثير. مجلّد 2. ص 296

الحياة قصيرة و أهدافها كثيرة، فانظر إلى السّحاب، و لا تنظر إلى التّراب، و إذا ضاقت بك الدّروب، فعليك بعلّام الغيوب، و قل الحمد لله على كلّ شيء...

الفراق ليس السّفر، و لا فراق الحبّ، و حتّى الموت ليس فراقا سنجتمع في الآخرة، الفراق هو أن يكون أحدنا في الجنّة و الآخر في النّار. جعلني ربّي و إيّاكم من سكّان جنّته.

الحياة ما هي إلّا قصّة قصيرة !! (من تراب، على تراب إلى تراب) ثمّ (حساب فثواب أوعقاب) فعش حياتك لله تكن أسعد الخلق."

و أنا أقول في تواضع و خشوع و تذلّل لله ذي الجلال و الجمال و الكمال :"أخي المسلم، أختي المسلمة، كن مع اللّه في الحال و المآل، و احمد اللّه على نعمة الإسلام و الإيمان و الإحسان، و اشكر اللّه على كلّ حال، و ارض تمام الرضا بالمآل في رفقة النّبيّين و الصّديقين و الشّهداء و الصّالحين و حسن أولئك رفيقا، في جنّات الخلد، في حضرة ربّ عظيم كريم، مجيب للدّعوات، مانح للمكرمات، و لا حول و لا قوّة إلّا بالله العظيم، ربّ العرش العظيم.

اللّهم أصبحنا في حفظ اللّه الحافظ و رحمة الرّحيم الرّحمان، و ارزقنا حمدا يملأ الميزان، وشكرا يزيد في الإحسان، و صحّة في الأبدان، و توبة نصوحا تدخلنا الجنان.

يا اللّه، يا كريم يا منّان، إملأ قلوبنا بالتّوحيد، و مُنَّ علينا بالعقل الرّشيد، و العلم المديد، و العمل المفيد، و القول السّديد.

و الحمد لله حمدا كثيرا طيّبا مباركا فيه في البدء و المنتهى، و الصّلاة و السّلام الأتمّان الأكملان على نبيّنا المَبْعُوثِ رحمة للعالمين و على إخوته الأنبياء الصّالحين، و على آله و صحبه أجمعين.

سبحانك اللّهم و بحمدك، نشهد أن لا إله إلّا أنت نستغفرك و نتوب إليك.

" وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ" (1)

" وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ " (2)

1- سورة المؤمنون 119
2- سورة الحجّ 54

و السّلام عليكم و رحمة اللّٰه تعالى و بركاته
تمّ تحرير هذا الكتاب بتوفيق من اللّٰه و فضل منه بقصيبة المديوني (تونس)
يوم 2 رجب 1443 هجريّة الموافق ل 3 فيفري 2022 ميلاديّة
المؤلّف : محمّد كمال ونّاس

مصادر و مراجع الكتاب

+ القرآن المجيد

+ كتب الحديث

. صحيح البخاري لمحمّد بن إسماعيل البخاري
. صحيح مسلم لمسلم بن الحجّاج القشيري
. سنن أبي داود و النّسائي و ابن ماجة و ابن حنبل و ابن حبّان و الدّارقنطي و البيهقيّ...
. الموطّأ للإمام مالك بن أنس

+ كتب التّفسير

. جامع البيان في تفسير القرآن لمحمّد بن جرير الطّبري
. تفسير القرآن العظيم لإسماعيل بن كثير الدّمشقي
. أنوار التّنزيل و أسرار التّأويل للقاضي ناصر الدّين البيضاوي
. التّحرير و التّنوير للشّيخ محمّد الطّاهر بن عاشور
. صفوة التّفاسير للشّيخ محمّد عليّ الصّابوني
. نهج البيان في تفسير القرآن للشّيخ محمّد المختار السّلامي

+ كتب في السنّة و السّيرة النّبويّة

. السّيرة النبويّة لعبد الملك بن هشام المعافري
. الشّفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض
. علوم الحديث و مصطلحاته للدّكتور صبحي الصّالح
. فقه السّيرة للشّيخ محمّد سعيد رمضان البوطي
. السنّة و مكانتها في التّشريع الإسلامي للدّكتور مصطفى السّباعي

+ كتب في العقيدة الإسلاميّة

. الدرّ الثّمين و المورد المعين للشّيخ محمّد بن أحمد ميّارة
. الرّسالة لابن أبي زيد القيرواني
. رسالة التّوحيد للشّيخ محمّد عبده
. الإسلام عقيدة و شريعة للشّيخ محمود شلتوت
. في العقيدة و المنهج للشّيخ الصّادق الغرياني
. العقيدة الإسلاميّة للشّيخ السيّد سابق
. الإيمان بالله جلّ جلاله للدّكتور عليّ الصلّابي
. عقيدة المؤمن للشّيخ ابو بكر جابر الجزائريّ
. المرشد المفيد إلى علم التّوحيد للدّ كتور عمر وفيق الدّاعوق
. طريق الهداية . مبادئ و مقدّمات علم التّوحيد عند السنّة و الجماعة . للدّكتور محمّد يسري
. عقيدة المسلمين للشّيخ صالح إبراهيم البليهي
. كبرى اليقينيّات الكونيّة للدّكتور محمّد سعيد رمضان البوطي
. علم العقيدة بين الأصالة و المعاصرة للدّكتور أحمد السائح
. خصائص أهل السنّة للدّكتور أحمد فريد
. علم التّوحيد عند خلّص المتكلّمين للدّكتور عبد الحميد عليّ عزّ العرب

+ كتب في المذاهب و الفرق الإسلاميّة

. الملل و النّحل لمحمّد بن عبد الكريم الشّهرستاني
. الفصل في الملل و الأهواء و النّحل لابن حزم الظّاهري
. الفرق بين الفرق للبغدادي
. تاريخ المذاهب الإسلاميّة للشّيخ محمّد أبو زهرة
. دراسات في الفرق و العقائد للدّكتور عرفان عبد الحميد
. أصول الفرق و الأديان و المذاهب الفكريّة للدّكتور سفر الحوالي

. مباحث في عقيدة أهل السنّة و موقف الحركات الإسلاميّة منها للدّكتور ناصر بن عبد الكريم العقل
. أديان و فرق للدّكتور محمّد الخطيب
. تاريخ الفرق الإسلاميّة لمحمّد عليّ الغرابي
. الغلوّ في الفرق الغالية في الحضارة الإسلاميّة للدّكتور عبد السّلام السّامرّائي

+ كتب في الثّقافة الإسلاميّة

. المقدّمة لعبد الرّحمان بن خلدون
. إحياء علوم الدّين لأبي حامد الغزالي
. رياض الصّالحين من كلام سيّد المرسلين لمحيي الدّين النّووي
. سماحة الإسلام للدّكتور عمر عبد العزيز قريشي
. الفكر الإسلامي و المجتمع المعاصر للدّكتور محمّد البهيّ
. نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام للدّكتور عليّ سامي النّشار
. الإسلام للشّيخ سعيد حَوَّى

السّيرة الذّاتيّة للمؤلّف

1- **بطاقة إرشاديّة** :

• الإسم و اللقب : محمّد كمال ونّاس

• تاريخ الولادة و مكانها : 22 أوت 1950 بقصيبة المديوني (ولاية المنستير) الجمهوريّة التّونسيّة.

• متزوّج و أب لبنت و ثلاثة أبناء.

2- **المستوى التّعليمي** :

• زاول تعليمه الإبتدائي بداية من سنة 1956 إلى سنة 1962 بالمدرسة الإبتدائيّة بمسقط رأسه قصيبة المديوني.

• إلتحق بالتّعليم الثّانوي من سنة 1963 إلى سنة 1966 بالمعهد الثّانوي بالمنستير.

• واصل تعليمه الثّانوي و التّرشيحي من سنة 1966 إلى سنة 1969 بمدرسة ترشيح المعلّمين بصفاقس و تحصّل على "ديبلوم الدّروس الثّانويّة و التّرشيحيّة" سنة 1969 (دورة جوان).

• إلتحق في سنة 1969 بالكليّة الزّيتونيّة للشّريعة و أصول الدّين بتونس التّابعة للجامعة التونسيّة.

• توّج تعليمه العالي سنة 1973 بالحصول على "الإجازة في أصول الدّين" (دورة جوان) بملاحظة قريب من الحسن.

3- **الحياة المهنيّة** :

• عمل بالمدارس الإبتدائيّة كمعلّم من سنة 1969 إلى سنة 1973.

• باشر التّعليم بالمدارس الإعداديّة و الثانويّة كأستاذ تعليم ثانوي، إختصاص التربية و العلوم الإسلاميّة بداية من 1973 إلى سنة 2005.

• تمّ إلحاقه من سنة 1981 إلى سنة 1985 بالمركز الإسلامي و الثّقافي ببروكسال (بلجيكيا) كمدرّس للدّين الإسلامي باللّغتين العربيّة و الفرنسيّة للجالية الإسلاميّة.

• أحيل على التّقاعد سنة 2005.

4- **الحياة الجمعياتيّة** :

شارك في الحياة الجمعياتيّة بمدينة قصيبة المديوني بصفة :

• عضو مؤسّس لجمعيّة أحبّاء المكتبة و الكتاب من سنة 1978 إلى سنة 1980.

• نائب رئيس جمعيّة التّضامن الإجتماعي من سنة 1986 إلى سنة 1988.

• رئيس الجمعيّة القرآنيّة من سنة 1990 إلى سنة 1992.

• مدرّس آفاق تابع لوزارة الشّؤون الدّينيّة بداية من جانفي 2013 إلى سنة 2015.

• رئيس جمعيّة الدّعوة و الإصلاح من سنة 2013 إلى سنة 2016.

5- المقالات و المؤلّفات :

• نشر العديد من المقالات و القصص و القصائد في الصّحف التّونسيّة.

• كتب مؤلّفات أبرزها :

- القرية المهجورة (مسرحيّة 1976).
- عقلاء أم مجانين (مجموعة قصصيّة 2005).
- البيان المفيد في علوم القرآن المجيد (دراسة 2013).
- قطوف دانية (مجموعة من الرّسائل 2018).
- القول السّديد في علم التّوحيد (دراسة 2022).

محتويات الكتاب

. تصدير أوّل.....4
. تصدير ثان.....5
.إهداء.....7
.مقدّمة الكتاب.....8
الفصل الأوّل : الإسلام إيمان و عمل أو عقيدة و شريعة.....12
.تمهيد.....12
1. الدّعامة الأولى : الإيمان أو العقيدة.....13
أوّلا : الإيمان لغة و شرعا.....13
ثانيا : العقيدة لغة و شرعا.....13
ثالثا : الإيمان يزيد و ينقص.....13
رابعا : أركان الإيمان أو أصول العقيدة.....14
خامسا: منهج الأنبياء و الرّسل في تصحيح العقيدة و تثبيتها في نفوس النّاس..15
سادسا : خصائص العقيدة الإسلاميّة عند أهل السنّة و الجماعة.....15
2. الدّعامة الثّانية : العمل أو الشّريعة.....17
أوّلا : الشّريعة لغة و شرعا.....17
ثانيا : أقسام الشّريعة الإسلاميّة.....17
ثالثا : خصائص الشّريعة الإسلاميّة عند أهل السنّة و الجماعة.....19

الفصل الثّاني : أهل السنّة و الجماعة : خصائصهم و منهجهم في البحث، أهمّ آرائهم في المسائل العقائديّة.....21
.تمهيد.....21
1. مذهب أهل السنّة و الجماعة.....22
أوّلا : تعريف أهل السنّة و الجماعة.....22
ثانيا : أشهر أئمّة أهل السنّة و الجماعة.....22

ثالثا : عناية أهل السنّة و الجماعة بعلم التّوحيد و أشهر مصنّفاتهم.....25
2. الخصائص العامّة لمذهب أهل السنّة و الجماعة.....27
الخاصيّة الأولى.....27
الخاصيّة الثّانية.....27
الخاصيّة الثّالثة.....27
الخاصيّة الرّابعة.....27
3. منهج أهل السنّة و الجماعة في تقرير مسائل الإعتقاد.....28
أوّلا : قواعد و ضوابط الإستدلال على مسائل العقيدة.....28
ثانيا : ثمار الإلتزام بهذه القواعد و الضّوابط.....31
ثالثا : أهمّ المسائل العقائديّة الخلافيّة بين أهل السنّة و الجماعة و بقيّة الفرق الكلاميّة 32

الفصل الثّالث : أشهر الفرق الكلاميّة : نشأتها ، أهمّ مقولاتها و آرائها و أشهر علمائها :.....36
. تمهيد.....36
1. الأسباب الّتي أدّت إلى ظهور الفتنة و نشأة الفرق الكلاميّة.....36
أوّلا : الأسباب الخارجيّة.....36
ثانيا : الأسباب الدّاخليّة.....37
ثالثا : الأسباب الموضوعيّة.....38
2. أشهر الفرق الكلاميّة و أهمّ مقولاتها.....38
أوّلا : فرقة الخوارج أو الحروريّة أو الشّراة.....39
ثانيا : فرقة الشّيعة أو الرّافضة أو الباطنيّة.....40
ثالثا : فرقة المرجئة.....44
رابعا : فرقة المعتزلة أو القدريّة أو أهل العدل و التّوحيد.....45
خامسا : فرقة الجبريّة أو الجهميّة أو المعطّلة أو النّفاة أو الكلّابيّة.....47
سادسا : المجسّمة أو المشبّهة أو الكرّاميّة.....47

3. نهي الإسلام عن الجدل في العقيدة و التّعصّب للمذهب.....48

الفصل الرّابع : أشهر الإتّجاهات و التّيّارات الفكريّة و موقف الإسلام منها...50
.تمهيد.....50
1. أشهر الإتّجاهات و النّظريّات الفكريّة المعاصرة.....52
أوّلا : الدّاروينيّة أو نظريّة النّشوء و الإرتقاء أو "التّفسير العلمي" للإنسان....52
ثانيا: الماركسيّة أو الشّيوعيّة أو نظريّة التّفسير المادّي للتّاريخ أو الماديّة الجدليّة...53
ثالثا : الفرويديّة أو نظريّة التّفسير الجنسي للسّلوك البشري.....53
رابعا : نظريّة أو فلسفة الوجوديّة.....54
خامسا : إتّجاهات و تيّارات فكريّة معاصرة أخرى.....55
2. موقف الإسلام من الإتّجاهات و التيّارات الفكريّة قديما و حديثا.....56
3. التّفسير الإسلامي للحياة الإنسانيّة.....60
أوّلا : أصل الإنسان و كيفيّة خلقه و إيجاده و نشأته.....60
ثانيا : تكريم الله للإنسان و تفضيله عن سائر مخلوقاته.....61
ثالثا : تسخير الله للإنسان و إسباغ النّعم عليه.....61
رابعا : إستخلاف الله للإنسان و تحميله للأمانة.....62
خامسا : الغايات من الخلق و التّكريم و التّسخير و الإستخلاف.....62

الفصل الخامس : علم التّوحيد أفضل العلوم و أرقاها.....64
. تمهيد.....64
1. المبادئ الأساسيّة للإلمام بأيّ علم من العلوم.....64
2. مباحث علم التّوحيد العشرة.....66
المبحث الأوّل : حدّ علم التّوحيد أو تعريفه.....66
المبحث الثّاني : موضوع علم التّوحيد.....66
المبحث الثّالث : أسماء علم التّوحيد.....67

المبحث الرّابع : حكم علم التّوحيد.....68
المبحث الخامس : فضل علم التّوحيد.....69
المبحث السّادس : إستمداد علم التّوحيد.....70
المبحث السّابع : نسبة علم التّوحيد.....71
المبحث الثّامن : واضع علم التّوحيد.....72
المبحث التّاسع : غاية علم التّوحيد.....72
المبحث العاشر : مسائل علم التّوحيد.....73

الفصل السّادس : في الإلاهيّات [المبحث الأوّل] الإيمان باللّه وحده أعظم أصول الدّين 75
تمهيد 75
1. تطوّر فكرة الألوهيّة عند القبائل و الشّعوب و الأمم.....76
2. الأدلّة و البراهين على وجود اللّه و وحدانيّته سبحانه.....78
الدّليل الأوّل : الوجدان الفطريّ و الإحساس الباطنيّ.....81
الدّليل الثّاني : بعثة الرّسل و إنزال الرّسالات السّماويّة.....82
الدّليل الثّالث : معرفة اللّه ذاتا و أسماء و صفات و أفعالا.....82
3. فوائد و ثمرات التّوحيد الخالص.....83

الفصل السّابع : في الإلاهيّات [المبحث الثاني] معرفة اللّه سبحانه ذاتا و أسماء و صفات و أفعالا أسمى المعارف.....87
.تمهيد.....87
1. معاني التّوحيد و أنواعه.....87
النّوع الأوّل : توحيد الرّبوبيّة أو توحيد المعرفة و الإثبات.....88
النّوع الثّاني : توحيد الألوهيّة أو توحيد العبادة.....88
2. ذات اللّه العليا.....,.....89

3. أسماء الله الحسنى.....90
4. صفات الله الفضلى.....94
5. أفعال الله العظمى.....99

الفصل الثّامن : في الإلاهيّات [المبحث الثّالث] مسائل عقائديّة متعلّقة بمباحث الإلاهيّات 102
. تمهيد.....102
1. مسألة خلق أفعال العباد.....102
2. متعلّقات أفعال العباد.....104
3. مسألة القضاء و القدر خيره و شرّه.....107
4. مسألة رؤية الله جلّ جلاله.....109
5. مسألة كلام الله و هل القرآن قديم أم مخلوق؟.....110

الفصل التّاسع: في النبوّات [مبحث واحد] الإيمان بالرّسل الكرام و الكتب المنزّلة و الملائكة و الجنّ.....112
. تمهيد.....112
1. الإيمان و التّصديق بالأنبياء و الرّسل الكرام دون إستثناء.....115
2. الإيمان و التّصديق بالكتب المنزّلة كلّها.....116
3. الإيمان و التّصديق بجميع الملائكة و الجنّ.....117
أوّلا : بالنّسبة للملائكة.....118
ثانيا : بالنّسبة للجنّ.....118

الفصل العاشر : في الغيبيات أو السّمعيات [مبحث واحد] الإيمان بكلّ الغيبيات المتعلّقة بالموت و ما بعد الموت من حياة برزخيّة و أحوال يوم القيامة.....121
. تمهيد.....121

1. الإيمان و التّصديق بكلّ الأمور الغيبيّة المتعلّقة بالموت.....122
2. الإيمان و التّصديق بالحياة الغيبيّة البرزخيّة و أحوالها.....124
3. الإيمان و التّصديق بيوم القيامة و أشراطها.....126
القسم الأوّل : أشراط السّاعة الصّغرى.....126
القسم الثّاني : أشراط السّاعة الكبرى.....127
4. الإيمان و التّصديق باليوم الآخر و وقائعه (أحداثه).....131
5. الإيمان و التّصديق بأمور غيبيّة هامّة متعلّقة بأحداث يوم القيامة.....136

الفصل الحادي عشر : نواقض التّوحيد و الإيمان في نظر أهل الكتاب و السنّة 140
. تمهيد.....140
1. النّاقض الأوّل : الشّرك أو الإشراك.....140
2. النّاقض الثّاني : الكفر أو الإلحاد.....142
3. النّاقض الثّالث : الفسق أو الفسوق.....143
4. النّاقض الرّابع : النّفاق أو المنافقة.....144
5. النّاقض الخامس : الردّة أو الإرتداد.....145
6. النّاقض السّادس : المعاصي أو الذّنوب أو الآثام.....147

. خاتمة الكتاب : كن مع الله في الحال و المآل.....150
. مصادر و مراجع الكتاب.....154
. السّيرة الذّاتيّة للمؤلّف.....157
. محتويات الكتاب.....159